الجُزْء الثّاني من كتاب قلائد الْعِقْيان
في محاسن الوزراء والقضاة والكُتَّاب والأُدباء والأعيان
تأليف أبي نَصْرٍ الفتحِ بنِ خاقانَ رحمةُ اللَّهِ عليه[1]

(١) الجزء الثّاني... رحمة الله عليه: لم ترد في بقيّة النسخ.

هـل تَجِدُ إلاَّ مَنْ يَمُـرُّ بَيْنَ يَدَيْـكَ في شَخْصٍ ضَئِيـلٍ، وَيَنـظُرُ إليـكَ من طَـرْفٍ كليل؟، وهَلْ تَجِسُّ[1] إلاَّ ضُلوعاً من سَاكنيهَا قفاراً، أَوْ دُمـوعاً من التَّـأسُّفِ على التَّخلُّفِ جِـراراً، لا تَسْتَعِرُ[2] إلاَّ بـالتَّسليم لِسَبْقِكَ، والتَّعـظيمِ لِحقّك، إنْصـاراً بأَدْنى لَمْحةٍ من نَثيرٍ منك أو نَظيمٍ، يردُّ[3] مِنَ الأفهـام والأَوْهام كُـلَّ لَفْحةٍ، ولـو كانت من نار إبراهيمَ، وتُرْكِدُ من البصائر والخواطر كُلَّ نَفْحـةٍ[4]، ولو كـانت مِنَ الرِّيحِ العَقيم، دَعْ[5]ذا وَعَدَّ القَوْلَ في هَرِمٍ هذا الـزَّمان، مُعْلي هِممَ الأَعْيـان، جمالِ الدِّين والدُّنيا، الرَّئيسِ الأَسْنَى أبي[6] يَحْيى، وأُقسِمُ بمساعيه العظام[7]، وأياديهِ الجسام الحاليةِ[8] لأعناقِ الكرام، الزَّاريةِ[9] بأطواق الحمَام، لقـد نَشَرْتُ عليـه ثَـوْبَ إحْسـانٍ، تَقْصُـرُ عنـه صَنْعَـةُ قُسٍّ[10] وسَحْبَانَ، وأَنَّهُ لأَبْصَـرُ بكـرامةِ الضِّيفانِ، من زَرْقاءِ[11] اليمامة بعَسْكَرِ حسَّان.

---

(١) س: تحسّ.

(٢) ر ط: لا تستعد، ب ق: ولا تستعدّ، س: لا يستعدّ.

(٣) ب ق: فيردّ، س ط: فتردّ.

(٤) ولو كانت من نار... كل نفحة: ساقطة في ط.

(٥) إشارة إلى قول زهير بن أبي سُلمى في هرم بن سنان المرِّي. (الشعر والشعراء: ١/ ١٤٤).

(٦) س: أبو يحيى.

(٧) ط: الكرام.

(٨) ب ق: المحلية.

(٩) ب ق: المزرية، ط: الرازية.

(١٠) قُسّ بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، (البيان والتبيين: ١/ ٥١).

وسحبان: هو سحبان بن زفر بن إياس، كان من ألسنة العرب في الجاهلية وخطباء الناس في الإسلام. (البيان والتبيين: ١/ ١٩).

(١١) زرقاء اليمامة: العرب تضرب المثل بها في جودة البصر وحدَّة النظر، ويقال: إنَّ اليمامة اسمها، وبها سمِّيت بلدهـا اليمامـة، ثم أضيفت إلى البلدة. وهي امرأة من جديس. (ثمار القلوب: ص ٣٠٠ رقم: ٤٥٢).

وأمَّا ذلك المُصْحَفُ المُبَدَّلُ للمعاني والأغـراض، المُقَابِـلُ لما لا يَفْهَمُـهُ بـالاعتـراض، / فمـا الحسـابُ، كمـا [1] ظنَّ الـذُبـابُ؟ إذا طَنَّ [2] لا يُنـاويـهِ [١٤١/ظ] بِصفيـره العُصْفُورُ، فكَيْفَ يُجاريـه [3] بـزئيـرِهِ اللَّيْثُ الهصـورُ! ولَـوْ لَا تَمْـريثُ الزَّمانِ بذكره، وتلْويثُ الأوان [4] بقبائحه ونُكْرِهِ، لأَرَيْتُكَ من خَـطَلِهِ وزَلَلِـهِ، مـا يُضْحِكُ الثَّكلى، ويَسْتَدْرِكُ به الجاحظُ [5] بابَ النَّوْكى.

دَعْ عَنْـك رواحـلَ الضَّليـل [6]، والاشتغـالَ بـالأبـاطيـلِ من الأقـاويـل، ألْحَقَ اللَّهُ ثـانيَهُ ابْنَ أبي سُلْمَى بخيـار أَهْل مِلَّتِـهِ، فلقـد انْتَفَـعَ السَّلَفُ والْخَلَفُ بحِكْمَتِهِ، ونادَى عليه لسـانُ الزّمان، فأَسْمَعَ مَنْ كـانت لَهُ أُذُنـان، وكأَنَّـهُ ما عَنَى غَيْرَ ذَلك الإنسانِ، وإنْ كان في غَيْر هذا الأوان [7]:

(طويل)

وذي خَـطَلٍ في القَـوْلِ يَحْسِبُ أَنَّـهُ مُصيـبٌ فمـا [8] يُلْمِمْ بِـهِ فهـو قـائِلُهْ
عَبَـأْتُ لـه حِلْمـاً وأكْـرَمتُ غَيْـرَهُ وأَعْـرَضْتُ عَنْـهُ وهـو بـادٍ مَقَـاتِلُهْ

وفي القَطْر الذي أَنْتَ فيه، أدام [9] الله بَسْطَةَ نـاصِرِه وحـاميه، ووصَـلَ عِزَّةَ

---

(١) ب ق: لما ظنَّ.
(٢) ب ق س ط: إذا ظنّ أنه لا يناويه.
(٣) ب ق ط: يجاوبه.
(٤) ب ق: الأواني.
(٥) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، المتوفى ٢٥٥ هـ.
(٦) إشارة إلى امرىء القيس، وأراد قوله: (الديوان: ١٧٤).

دَعْ عنـك نَهْبـاً صِيـح في حَجَـراتِـهِ ولكنْ حـديثاً، مـا حديثُ الـرَّواحـل؟

(٧) البيتان في ديوان زهير بن أبي سُلْمى: ١٣٨ ـ ١٤٣، والشعر والشعراء: ١٥٠.
(٨) ر: فلم.
(٩) ر: وصل.

حاضره وباديه[1]، شَـرَفٌ قَديمٌ، وسَلَفٌ كـريم، وآدابٌ وَعلُومٌ، وأَلْبابٌ وحُلومٌ، وأَوْدِيةٌ يَجْتَابُها الطَّوْلُ والفَضْـلُ عِذابٌ، وانـديةٌ يَنْتَـابُها القَـوْلُ والفِعْل[2] رحـابٌ، وعَلَيْكَ[3] السَّلام، ما لاَحَ بِشِهَابٌ، وَوَكَفَ سَحابٌ.

---

(١) ر: وأدام عزّه وأياديه، ب: ووصل عزَّة حاضره ونائيه، ط: ووصل عزَّته باديه وحاضريه.

(٢) حاشية س: عجز بيت زهير، وقبله: (الدّيوان: ٤٢).

«وفيهـم مقـامـات حِسـانٌ وجـوهها»

(٣) بقيَّة النسخ: وعليك سلام الله.

الْوُزَرَاءُ[1] بَنُو القَبْطُرنَةَ[2]

هم لِلْمَجْدِ كالأثافي، وَما مِنْهُم إلاَّ مَوْفورُ القَوادم والخَوَافي[3]، / إنْ [١٤١/و] ظهروا زَهروا، وإنْ تجمَّعوا تَضَوَّعوا[4]، وإن نَطَقُوا صَدَقُوا، ماؤُهم صَفْوٌ، وكُلُّ واحدٍ منهم لصاحبه كُفْؤٌ، بارَتْ[5] بهم نُجومُ المعالي وشموسُهَا، ودانَتْ لهم أرْواحُهَا ونفوسُهَا، ولهم النَّظْمُ[6] الصَّافي الزُّجاجةِ، المُضْمَحِلُّ العَجَاجَةِ.

وقد أَثْبَتُّ منه ما يَنْفَحُ عِطْراً، وَيَتَّضِحُ فَخْراً[7]، ويسفح قَطْراً، فمن ذلك ما كتب به إليَّ الوزيرُ أبو محمّدٍ[8] منهم:

---

(١) الوزراء بنو القبطرنة: ساقطة في ر، ب ق: الوزراء بنو القبطرنية من أهل بَطلْيوس، ع: الوزراء الكتّاب الشعراء بنو القبطرنة، وهؤلاء الأخوة الوزراء الثلاثة هم: أبو محمّد طلحة وأخواه أبو بكر عبدالعزيز وأبو الحسن محمّد، وهم كما في الذخيرة: ٧٥٣/٢/٢: أُسْرةُ أصالة، وبيت جلالة، أخذوا العلم أوّلاً عن آخر، ورووه كابراً عن كابر، ومنتهى قول القائل، واعجوبة الأواخر والأوائل. (وسنعرّف بهم كلّما ورد ذكرهم).

(٢) بعدها في س: أعزَّهم الله.

(٣) إشارة إلى قول بشّار بن برد: (ابن خلكان: ٢٧٢/١).

ولا تجْعَل الشُّورى عليك غضاضةً قُريشُ الخوافي تسابعُ للقوادم

(٤) م: تضرّعوا.

(٥) ر ب ق س: أنارت.

(٦) ر س: النظام.

(٧) ويتضح فخراً: ساقطة في بقيّة النسخ.

(٨) هو أبو محمد طلحة بن سعيد بن القَبْطُرْنَة، أخذ عن مشيخة بلده، وهو أحد الأدباء الأذكياء، وكان يصادق أبا بكر بن العربي، وتوفي في حياة أخيه أبي بكر عبدالعزيز بن =

(طويل)

أبا[1] النَّصْرِ إنَّ الجَدَّ لا شكَّ عائِرُ ... وإنَّ زَمَاناً شَاءَ بَيْنَكَ جائِرُ
فَلاَ تُوِّجَتْ مِنْ بَعْدِ بُعْدِك راحَةٌ ... بِراحٍ، ولا حَنَّتْ عَلَيْها المزامِرُ[2]
ولا اكْتَحَلَتْ مِن بَعْدِ نَأْيِكَ مُقْلَةٌ ... بِنَوْمٍ ولا ضُمَّتْ عَلَيْها المحاجِرُ
وَلي رَغْبَةٌ جاءَتْكَ وَهْيَ مُدِلَّةٌ ... لِتُهْدِي[3] إليك الحَمْدَ وهي أزاهِرُ
لِتَعْلَمَ أنّي عَنْ جَوابِكَ عاجِزٌ ... ومُعْتَذِرٌ فيه، فَقُلْ أنا عاذِرُ
وكَيْفَ أُجاري سابقاً لَمْ يَقُمْ لَهُ ... هُبُوبُ الصَّبا والعاصفاتُ الخواطِرُ
إذا قيلَ: مَنْ هذا؟ يقولون: كاتِبٌ ... وإنْ قيلَ: مَنْ هذا؟ يقولون: شاعِرُ
وإنْ أَخَذَ التَّحقيقُ فيه بحقّه ... فقيلَ[4]: ومَنْ هذا؟ يقولون: ساحِرُ
تُشَيِّعُكَ الأَلْبابُ وَهْيَ أَوَاسِفٌ ... وتَتْبَعُكَ الأَلْحاظُ وَهْيَ مواطِرُ

ولَهُ:

(كامل)

يا صَاحِبيَّ تَنبَّها لِمُدامةٍ ... صفراءَ تُجْلَى فَوْقَ كفِّ أَحْمَرِ
[١٤٢/ظ] /واسْتَقْبِلا بَرْدَ النَّسيمِ وَطيبِهِ ... تَحْتَ الدُّجَى فَوْقَ الكثيب الأَعْفَرِ
واسْتعملاَها سَكْرَةً قَرويَّةً ... قَبْلَ الصَّباح وقَبْلَ صوت العُصْفُرِ[5]
فالَيَوْمَ بَيْنَ مُحدِّثٍ ومُخَبِّرٍ ... وَغَداً تَرَى أُحْدُوثَةَ المُسْتَخْبِرِ

= سعيد. (التكملة: ٢٣٧، والمغرب: ١/٣٦٧، والإحاطة: ١/٥٢٠، والذخيرة: ٢/٢/٧٥٣، والخريدة: ٢/٤١٣، والمطرب: ١٨٦).

(١) انظر الأبيات: الخريدة: ٢/٤١٣، وأبو النصر: هو الفتح بن خاقان.

(٢) ط: مزامر.

(٣) بقيّة النسخ: تسوق إليك الْحَمْدَ وهو أزاهر.

(٤) ب ق: وقيل.

(٥) هو العصفور نفسه.

ولَهُ[1]:

(مجزوء الرمل)

يـا خـلـيـلـيَّ لِـقَـلْـبٍ نِـيـلَ مِـنْ كُـلِّ الـجِـهَـاتِ
لِـيـمَ[2] إنْ هَـامَ بـلَـيْـلـي وبـرَيّـا والـبَـنَـات
وبـأنْ صـادَتْـهُ أسْـمـا[3] بَـيْـنَ بِـيـضٍ خَـفِـرَاتِ
بـلـحـاظٍ سـاحـراتٍ وجُـفـونٍ فـاتـراتِ
وَبـجـيـدِ[4] الـظَّـبْـيَـةِ ارْتـا عَـتْ فَـظَـلَّتْ فـي الْـتِـفـاتِ
وبِـعَـيْـنَـيْ مُـغْـزِلٍ تَـرْ عَـى غـزالاً فـي فَـلَاتِ
تَـتَـمَـشَّـى بَـيْـن أتْـرا بٍ لـهَـا حُـورٍ لِـدَاتِ
وعـلـيـهـا الـوَشْـيُ والـخَـزْ زُ وَبُـرْدُ الـجَـبَـرَاتِ
رَاعَـهَـا لـمَـا الْـتَـقَـيْـنـا مـا دَرَتْ مِـنْ فَـتَـكَـاتِ
عَـثَـرَتْ ذُعْـراً فَـقُـلْـنـا والَـعَـاً لـلـعَـثَـرات[5]
ضَـحِـكَـتْ عُـجْـبَـاً وقـالَـتْ لِأخَصٍّ[6] الـفَـتَـيَـاتِ:
راجِـعـيـه ثُـمَّ قُـولـي[7]: إيـتـنـا فـي الـسَّـمَـراتِ
وارْقُـبِ الأعْـدَاءَ وآحْـذَرْ لـلْـعُـيُـونِ الـنَّـاظِـراتِ

---

(١) الخريدة: ٢/٤١٣ ـ ٤١٥.

(٢) رع: ليم إن هام بريّا وبلبني والبنات.
وفي ب ق: بالبنين والبنات.

(٣) ب ق: سمر.

(٤) ر: وبجيدٍ منك جيد الظُّبْي حُسْناً في التفات.

(٥) ب ق: ولعاً للعاثرات.

(٦) ر: ادْنُ خُصَّ الفتيات، ع: لأحسن الفتيات.

(٧) ر: قومي.

[١٤٢/ر] /فإذا أغلَقَ فيها[1] النـ ـنَوْمُ أشْراكَ السِّناتِ
وَعَلاَ البَدْر جَلابيـ ـبُ لِباسِ الظُّلُماتِ
فاطْرُقِ الْحيَّ تَجِدْنا في[2] ظُهورِ الحُجُراتِ
فالْتَقَيْنا بَعْدَ يأسٍ بدليلِ النَّفَحاتِ
وتَلازَمْنا اعْتِناقاً كالْتواءِ[3] الأَلِفاتِ
وبَتْنا بَيْنَنا شَجْـ ـواً كَنَفْثِ الرَّاقِياتِ
وبَرَدْنا لَوْعَةَ الحُـ ـبِّ بِماءِ العَبَراتِ
وتَشاغَلْنا ولَمْ نَغْـ ـلَمْ بأنَّ الصُّبْحَ آتِ
وبَدَتْ فيهِ تَباشيـ ـرُ مَشيبٍ في شَوَاتِ[4]

ولَهُ[5]:

(طويل)

ومُنْكِرَةٍ شَيْبي لعِرْفَانِ مَوْلِدي تَرجَّعُ والأَجْفانُ ذاتُ غُرُوبِ
فقُلْتُ: يَسوقُ[6] الشَّيْبَ من قَبْلِ وقته زوالُ نَعيمٍ أَوْ فِراقُ حَبيبِ

ولَهُ يخاطب الوزيرَ أبا مُحمدِ بنَ عَبْدون:

(بسيط)

يا خابِطَ[7] اللَّيْلِ فَوْقَ الفُوَّقِ الجُونِ مُسَهَّدَ الجَفْنِ يَحْدو البَيْنَ بالْبِينِ

---

(١) ط: فينا.
(٢) ر ط: من وراء الحجرات.
(٣) ط: كاعتناق.
(٤) ب ق ع: في شيات، والشوى: ظاهر الجلد، واحده: شواه.
(٥) ع: وله أيضاً في الشيب، وانظر البيتين: الخريدة: ٢/ ٤١٥.
(٦) ر: يشوق، س: نذير.
(٧) ر: يا خاطب اللّيل فوق النُوق والجون. والفُوَّق: جمع فوقاء وأفوق، وهو ما يكون باحد طرفيْ السَّهم من مَيْل أو انكسار.

يُكابِدُ النَّوْمَ قَدْ مالَتْ عِمامَتُهُ ... أَبْلِغْ مُعَطَّرَةً عَنِّي ابنَ عبدون

مِسْكِيَّةً رَبَعَتْ في حَوْمَلٍ وَنَشَتْ[1] ... بالجَزْعِ[2] ما بَيْنَ قَيْصومٍ[3] ونَسْرينِ[4]

وزارتِ الْغَوْرَ مَمْطوراً وَسَارَ بها ... ساري الجنوبِ[5] على أَكْتافِ دارينِ[6]

/تُذكِّرُ العَهْدَ قَدْ شَدَّتْ[7] أوائلَهُ ... وِرائَةٌ من[8] مطاعيمٍ مَطاعينِ [١٤٣/ظ]

وَيَحْمِلُ الوُدَّ قَدْ ضاقت[9] أواخِرُهُ ... أصالةً مِنْ مَناجيبٍ مَيامين

ورَغْبَةً تُخْجِلُ الْعَلْيا مُتَوَّجةً[10] ... إليكَ عن صاحبٍ بالغَيْبِ مَأْمُونِ[11]

وله:

(مجزوء الوافر)

إذا ما الشَّوْقُ أَرَّقني ... وباتَ الهَمُّ من كَثَبِ

فَضَضْتُ الطِّينَةَ الحَمْرا ... ءَ عَنْ صَفْرَاءَ كالذَّهَبِ

---

(١) بقيَّة النسخ: وشتت.

(٢) الجزع: اسم لمواضع مختلفة، والجزع: منعطف الوادي. (معجم البلدان: ١٣٤/٢).

(٣) والقيصوم: نبات طيّب الريح يكون بالبادية. (معجم البلدان: ٤٢٣/٤).

(٤) والنسرين: ضرب من الرياحين. (اللسان: نَسَر).

(٥) ر: ساري النسيم.

(٦) دارين: فُرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. (معجم البلدان: ٤٣٢/٢).

(٧) ر: قد مالت، س: قد صينت.

(٨) بقيَّة النسخ: عن.

(٩) ر: قد شدَّت، ب ق س: قد صانت، ط: قد صارت.

(١٠) س: موجهة.

(١١) ط: ميمون.

وله[1] في زوجه وقد أقلقه الحزن، وتدفّقت دموعه مثلَ المُزْنِ:

(مخلع البسيط)

يـا كَـوكَـبٌ أسْـعِـداً حَـزيـنـاً ... اسْـهَـرَ لَـيْـلُ الـقـريضِ عَـيْـنَـهْ

يـا وَيْـلتي كـانَ لـي حَـبـيـبٌ ... فَـرَّق[2] بـيـني الـمـدى وبَـيْـنَـهْ

أهْـونُ وَجْـدي عـلى نَـواهُ ... وَجْـدُ جـمـيـلٍ[3] عـلى بُـثَـيْـنَـهْ

وله فيها أيضاً:

(وافر)

مـعـاذَ الـلّهِ أنْ أسْـلو بِـبَـدْرٍ ... وأنْ أصْـبـو إلـى كـأسٍ وخَـمْـرِ

ولا لِأراكـةٍ نَـهَـضَـتْ بـحَـقْـبٍ ... ولا لـروادفٍ وهَـضـيـمِ خَـصْـرِ

ولا تُـفّـاحـةٍ طَـلَـعَـتْ بـخـدٍّ ... ولا رُمّـانـةٍ نَـبَـتَـتْ بـصَـدْرِ

وأنْ الـهـو مـن الـدُّنـيـا بـشَـيْءٍ ... وأمُّ الـفَـضْـلِ - يـا أسَـفي - بـقَـبْـرِ

وباتَ مع أخَوَيْـه[4] في أيّـام صِبَاهُ، واسْـتطابَتِهِ[5] جَنُـوبَ الزَّمـانِ وَصَبَاهُ، بالمُنْيَة المُسمّاةِ بالبديع، وهي روضٌ كـان المتوكّـلُ يَكْلَفُ[6] بموافـاتِهِ، ويبتَهـجُ بحُسْن صفـاته، ويَقْـطِفُ رَياحينَـهُ وزَهْرَهُ، ويقفُ عليـه إغفاءَهُ وسَهـرَهُ، ويستفزُّهُ الطَّرَبُ مَتَى ذَكَرَهُ، ويَنْتَهِزُ فُرَصَ الأُنْسِ فيه رَوْحَاتِهِ وَبُكَرَهُ، ويديرُ حُميَّـاهُ[7] على

---

(١) هذه المقطوعة والتي تليها لم تردا في م ر س ط ع.

(٢) ب: فرُق الدّهر بيني وبينه.

(٣) جميل بثينة: أبو عمرو جميل بن عبدالله بن معمر، الشاعر المشهور، صاحب بثينة، أحد عشّاق العرب، عشقها وهو غلام، فلّما كبر خطبها فرُدَّ عنها، فقال الشعر فيها، ومنزلهما وادي القرى. (وفيات الأعيان: ١/٣٦٦ - ٣٧١، والموشح: ١٩٨).

(٤) ط: اخوته، ع: إخوانه.

(٥) ر ب ق س: واستطابه جنوب الشباب وصباه، ط: جنوب الشمال.

(٦) ر: يألف.

(٧) ط: محياه.

ضَفَّةِ نَهْره، ويَخْلَعُ سِرَّهُ فيه لطَاعَـةِ جَهْـره، ومَعَهُ أَخَـواهُ، فَطارَدُوا اللَّذاتِ حَتَّى أَنْضَوْهَا؛ وَلبسوا بُرودَ السُّرور وما نَضَوْهَا، حتى صَرَعَتْهُمُ العُقارُ، وَطَلَحَتْهُم تلك الأوقار، فلمَّا هَمَّ[1] رِدَاءُ الفَجْرِ أَنْ يَنْدا، وجبينُ الصُّبْح أَنْ يَتَبَدَّا، قـامَ الوزيـرُ أبو مُحمّد فقال[2]:

(خفيف)

يـا شَقيقي وافى الصَّبَـاحُ بـوَجْـهٍ ... سَـتَـر الـلَّيْـلَ نُـورُهُ وَبَـهَـاؤُهُ[3]

فـاصْـطبِـحْ واغْتَنِـمْ مَسـرَّةَ يَـوْمٍ ... لَسْتَ[4] تَـدْري بمَـا يَجيءُ مَسـاؤُهُ

/ثُمَّ استَيْقَظ أخوه ابو[5] بكْرٍ فقال[6]: [١٤٣/و]

(خفيف)

يا أخي قُـمْ تَـرَ النَّسـيمَ عـليـلا ... بـاكـرِ الـرَّوْضَ، والْمُـدامَ شَمـولاَ

---

(١) همَّ: ساقطة في ر.

(٢) المغرب: ٣٦٧/١، والمطرب: ١٨٦: أتى بَدَلاً من: وافى، وانظرهما: الذخيرة: ٧٧٣/٢/٢، والخريدة: ٤١٦/٢، والإحاطة: ٥٢٢/١.

(٣) م: بهاره، ط: ضوءه وبهاؤه.

(٤) ر ب: ليس، ق: ليست.

(٥) هو أبو بكر عبدالعزيز بن سعيد البطليوسي، أحد فرسان الأدب ورؤسائه، كاتب مترسل، كتب للمتوكل بن الأفطس، ثم لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكانت وفاته ٥٢٠ هـ ووصفه صاحب «إحكام صنعة الكلام»: ص ١٣٧، بأنه من رؤساء العصر في صنعة النظم والنثر، وأنه جرت بينهما مكاتبات ومراسلات تضمنها كتابه: «ثمرة الأدب». (الذخيرة: ٧٥٣/٢/٢، المطرب: ١٨٦، الإحاطة: ٥٢٠/١، والتكملة: رقم ١٧٤٣، والخريدة: ٤١٦/٢، والمغرب: ٣٦٧/١).

(٦) انظر: الذخيرة: ٧٧٣/٢/٢، والمطرب، والمغرب، والإحاطة: ٥٢٢/١، والخريدة.

في [1] رِياضٍ تَعانَقَ النَّوْرُ فيه [2] مثلما عانَقَ الخليلُ خليلا
لا تَنَمْ واغْتَنِمْ مَسَرَّةَ يَوْمٍ إنَّ تَحْتَ التُّراب نَوْماً طويلا

ثُمَّ اسْتَيْقظ اخوهما أبو الحسن[3]، وقد هَبَّ[4] من غَفْلة الوَسنِ، فقال[5]:

(بسيط)

يا صاحِبَيَّ ذَرَا لَوْمي ومَعْتَبَتي قُمْ نَصْطَبِحْ [6]خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ ما ذَخروا[7]
وبادِرا غَفْلةَ الأيَّام واغْتَنِمَا «فاليَوْمَ [8]خَمْرٌ ويَبْدو في غَدٍ خَبَرُ»

وللوزير أبي بَكْرٍ مراجعاً لي:

(طويل)

إلى اللَّهِ أشْكو[9] ما لَقيتُ برُقْعَةٍ وَرَتْني وأَحْمَتْ في ضُلوعي مَكاوِيَه
أَتَتْني أبا نَصْرٍ وأنسي مُعَرَّسٌ عزائِمُ عَزَّت في عَزاكَ[10] عَزَائيا
بِطِرْسٍ وجِبْرٍ رائعَيْن[11] تَطلَّعا من الحُسْن أسْطاراً فَعُدْنَ أفاعِيَا

---

(١) البيت ساقط في م ر س ع.
(٢) ب ق: الزهر فيها.
(٣) هو محمد بن سعيد، كان يكتب للمتوكل بن الأفطس، ويحظى بالمكانة نفسها، ولكن المصادر لا تترجم له. (انظر المصادر المتقدمة في ترجمة أخويه).
(٤) ب س: ذهب.
(٥) انظر: الذخيرة، والمطرب، والإحاطة، والمغرب، والخريدة.
(٦) الذخيرة: ولنصطبح.
(٧) وردت قافية البيتين في ط: ذخرا، الخبرا.
(٨) الإشارة هنا إلى قول امرىء القيس: «اليوم خمر وغداً أمر»، ولكن القول لبشّار بن برد في قوله: (الديوان: ٤/٨٥، وفيه: اليوم همّ.

اليوم خمر ويبدو في غدٍ خَبَرُ والدَّهْرُ ما بين إنعام وإبآس

(٩) ر ب ق س ع: منّي.
(١٠) بقيّة النسخ: نواك.
(١١) بقيّة النسخ: رائقين.

لَـدَغْنَ فؤادي إذْ بَثَثْنَ ليَ النَّـوى (١) فـأَصْبَحْتُ لا أَلْقَى (٢) لِبَـثِّي راقِيَـا
فهـذي دُمُـوعي تَسْتَهِـلُّ صَبَـابَـةً ونَفْسيَ من وَجْـدٍ تَحُـلُّ التَّـراقيَـا

وله يستدعي (٣) :

(متقارب)

دَعَـاكَ خَـليـلُكَ والـيَـوْمُ طَـلُّ وعـارضُ خَـدِّ الثَّـرى (٤) قَـدْ بَقَـلْ
لِـقِـدْرَيْـنِ فـاحَـا وَشَـمَّـامَـةٍ وإبـريـقِ رَاحٍ ، ونِـعْـمَ الـمَـحَـلّ
وَلَـوْ شـاءَ زادَ ولـكـنَّـه يُـلامُ الـصَّـديـقُ إذا مـا احْـتَـفَـلْ

وله في مثل ذلك (٥) :

(متقارب)

هَـلُمَّ إلـى رَوْضِـنَـا يـا زَهَـرْ (٦) وَلُـحْ فـي سَمـاءِ الْـمُنى يـا قَمَـرْ
/هَلُمَّ (٧) إلـى الأُنْسِ سَهْـمَ الإخـاءِ فَـقَـدْ عُـطِّلَتْ قَـوْسُـهُ والـوَتَـرْ [١٤٤/ظ]
إذا لـمْ تَـكُـنْ عِـنـدنـا حـاضـراً فـمـا لـغُـصـونِ الأمـانـي ثَـمَـرْ
وقَـعْـتَ مـن الـقَـلْبِ وَقْـعَ الـمُـنَى وَحُـسِّـنْـتَ في الـعَيْـنِ حُسْـنَ الحَـوَرْ

---

(١) ط: الهوى.
(٢) ر ب: لا ألفي، ق: لا ألفي لبيني.
(٣) ط: وله يستدعي إلى مجلس أنس. وانظر الأبيات: الخريدة: ٤١٧/٢، والمغرب: ٣٦٨/١/١.
(٤) ر: خدّ الثريا، ,ط ع: وجه الثرى.
(٥) في الإحاطة: ٥٢١/١: من شعر أبي محمّد، قوله في الاستدعاء، وانظر: المغرب، والخريدة.
(٦) الإحاطة: يا زهير.
(٧) الإحاطة: وفوّق إلى الأنس.

وله إلى الوزير أبي الحسين[1] بن سَرَّاج بقُرْطُبَةَ[2] ويذكر لَمَّةً من إخوانه:

(كامل)

يـا سَيِّـدي وابي، هُـدىً وجَـلالـةً ... ورَسُـولَ وُدِّي إنْ طَـلَبْـتَ رَسُـولاَ
عَـرِّجْ بـقُـرْطبـةٍ إذا بُـلِّغْتَـهـا ... بـأبي الحسين ونَـادِهِ تَـمْـويـلا
وإذا سعِـدْتَ بنَـظْرَةٍ مِـنْ وَجْـهِـهِ ... فـاهْـدِ الـسَّـلامَ لِكَـفِّـهِ تَقْبـيـلا
واذْكُـرْ لَـهُ شَـوْقِي وشُكْـري مُجْمَـلاً ... وَلَـوِ اسْتَـطَعْتُ[3] شَـرَحْتُـهُ تَفْصيـلا
بتـحـيَّـةٍ تُـهْـدَى إلـيـه كـأنَّـمـا ... جَـرَّتْ على زَهْـرِ الـرِّيـاضِ ذُيـولا
وَأشِـمُّ منهـا الْمُصْحَفِيَّ[4] على النَّوى ... نَـفَـسـاً يُـنَـسِّـي الـسَّـوْسَنَ الـمَـبْـلُولا
وإلـى ابي مَـرْوانَ مـنـهـا نَـفْـحَـةً ... تُـهْـدي لَـهُ نَـوْرَ الـرُّبـا مَـطْلولا
وإذا لَـقيـتَ الأخْـطليَّ[5] فَسَـقِّـهِ[6] ... مـن صَفْـوِ وُدِّي قَـرْقَـفَـا وشَمـولا
وأبـو[7] عـلـيٍّ بُـلْ مِـنْـهُ رَبْـعَـهُ ... مِـسْكـاً بـمـاءِ غَـمَـامـةٍ مَـحْلولا
واذكُـرْ لـهم زَمـنـاً يَهُـبُّ نَسِـيـمُـهُ ... أُصُلاً كَنَفْـثِ الـرَّاقِـيـات[8] عـلـيـلا

---

(١) ستأتي ترجمته في القسم الثالث.

(٢) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني أُميّة، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة. (معجم البلدان: ٤/٣٢٤).

(٣) ر ب: ولو اسطعت.

(٤) المصحفي: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان المُصْحَفي، ولي الحجابة للحكم المستنصر بالله، نكبه المنصور محمد بن أبي عامر ومحا أثره من الدولة. (المطمح: ١٥٣، المغرب: ١/١٩٥، الحلة: ٢/٢٥٧، الذخيرة: ٤/١/٤٦، النفح: ١/٤٠٢).

(٥) ر ب ع: الأخطبيّ.

(٦) ع: فشمّه.

(٧) ب ق: وأبا عليّ بُلْ منها رَبْعه، ر: وأبو عليّ سقِّ منها ربعه، ط: وأبو عليّ ساق منها ربعه.

(٨) ر: الراقيات.

مَـوْلـىً وَمُـولي نِـعْـمَـةٍ وكَـرَامَـةٍ ... وأخـا إخـاءٍ مُـخْلِصَـاً وخَـلـيـلا

بـالخَيْـرِ[1]، لا عَبَسَتْ هُنَـاكَ غَمامـةٌ ... إلَّا تُـضَـاحِـكُ إذْخِـرَاً وجَـلـيـلا

/يَوْمـاً ولَـيْـلاً كـانَ ذلـك كُـلُّه ... سَـحَـراً وهـذا بُـكْـرَةٌ واصـيـلا [١٤٤/و]

لا أدْرَكَـتْ تِـلْكَ الأهـلَّةُ دَهْـرَهـا ... نَـقْـصَـاً ولا تـلْكَ الـنُّجـومُ أفُـولا

وهذا[2] الخَيْرُ الـذي ذكره هنـا، هو خَيْـرُ[3] الزجَّـالي، خارجَ بـاب اليهود بقرطبةَ الذي يقول فيه أبو عامر[4] بنُ شُهَيْد:

(متقارب)

لَقَـدْ[5] اطْلَعـوا عنْـدَ بـابِ اليَهـو ... دِ شَمْسـاً أبَى الحُسْنُ أنْ تُكْسَفَـا

تَـراهُ الـيـهـودُ عـلى بـابِـهَـا ... أمـيـراً فَتَـحْسَـبُـهُ يُـوسُـفَـا[6]

وهذا الخَيْرُ مِنْ أبْدعِ المواضع وأجملها، وأتمِّهـا حُسْناً وأكْملِهـا، صَحْنُه مَرْمَرٌ صـافي البياض، يَخْتَـرِقُهُ جَـدْول كالحيَّـة النَّضْناض، بـهِ جابِيَـةٌ، كُلُّ لُجَّـةٍ فيها[7] كابِيَةٌ، قَدْ قُرْنِسَتْ بالذَّهبِ واللَّازَوَرْدِ[8] سَماؤُهُ، وتأزَّرت بهمـا[9] جوانبـه

---

(١) ر: بالخير ما عبست، ب: بالحيـر عابسـة، وفي معجم البلدان: ٢/٣٢٨: بالحير، لا غشيت. وسيأتي ذكر هذا الحير بعد قليل.

(٢) وهذا: ساقطة في ب ق س ع.

(٣) خَيْرُ الزَّجَّالي: بفتح الحاء، وياء ساكنة، وراء، موضع بباب اليهود وبقرطبة من جزيرة الأندلس. (معجم البلدان: ٢/٣٢٨).

(٤) أبو عامر بن شهيد: أحمد بن أبي مروان عبدالملك بن شُهيد، من أشجع، وكان جدّ أبيه أحمد بن عبدالملك وزيـر الخليفة الأمـوي الناصـر عبدالـرحمن الثالث، تـوفي سنة ٤٢٦ هـ. (الذخيرة: ١/١/١٩١، المغرب: ١/٧٨، والمطرب: ١٤٧).

(٥) انظر: ديوان ابن شُهيد: ١٢٧.

(٦) إشارة إلى النبيّ يوسف بن يعقوب عليه السّلام.

(٧) فيها: ساقطة في س، ر: منها.

(٨) ب س ط: والأزورد.

(٩) س ط: أبه.

وأرْجاؤه، والرَّوْضُ قد اعْتَدَلَتْ أسْطارُهُ، وابتَسَمَتْ مِنْ كمائمها أزْهارُه، ومَنَع الشَّمْسَ أنْ تَرْمُقَ ثراهُ، وتَعَطَّر النَّسيمُ بمروره[1] عَلَيْه ومَسْراهُ، شَهِدْتُ بهِ ليالِيَ وأيّاماً كأنَّما تصَوَّرتْ من لَمَحات الأحْباب، أوْ قُدَّت مِنْ صَفَحاتِ أيّام الشَّباب.

وكانت لأبي عامرِ بنِ شُهيدٍ به فُرَجٌ وراحاتٌ[2]، أعْطاهُ الدَّهْرُ فيها ما شَاءَ، ووالَى[3] عَلَيْه الصَّحْوَ والانتشاءَ، وكان هو وصاحبُ الرَّوْضِ المدفُونُ بإزائه أليفَيْ صَبْوَةٍ، وحليفَيْ نَشْوَةٍ، عَكَفا فيه على جرْيالِهِمَا، وتَصرَّفا بين
[١٤٥/ظ] زهوهما/ واختيالهماحتى رَدَّاهما الرَّدى، وَعَداهُمَا الحِمَامُ عن ذلك المَدى[4]، فَتَجاوَرا في الممات، تَجاوُرَهُمَا في الحياةِ، وتقلَّصَت عنهما وارفاتُ تلك الفَيْئات[5]، وإلى ذلك العهد أشَارَ، وبهِ[6] عرَّضَ، وبشوقه صَحَّ وما مَرَّضَ، حَيْثُ يَقُولُ عند موتِهِ يُخاطبُ أبا مَرْوانَ[7] صَاحِبَهُ، وأمَرَ أنْ يُدْفَنَ إلى جانِبِهِ[8]، ويُكْتَبَ على قَبْرِه[9]:

(مخلع البسيط)

يا صَاحِبي قُمْ فَقَدْ أطَلْنَا ... أنَحْنُ طُولَ المَدَى هُجُودُ؟
فَقال لي: لَنْ نَقُومَ مِنْها ... ما دامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّعيدُ

---

(١) بقيَّة النسخ: بهبوبه.
(٢) بعدها في ب ق: وغدوة وروحات.
(٣) ر: وولي.
(٤) حاشية م: المنتدى.
(٥) م س: الفئات.
(٦) ر: وما عرّض، ط: أشار وغرَّض.
(٧) هو أبو مروان الزجّالي، ورد ذكره في الذخيرة: ١/١/٣٣٣، والنفح: ١/٦٣٥، ولا نعرف عنه المزيد.
(٨) بقيَّة النسخ: بإزائه.
(٩) انظر: الذخيرة: ١/١/٣٣٤، والديوان: ٩٨، والنفح: ١/٦٣٦.

تـذكَّـر كَـمْ لَـيْـلَةٍ نَـعِـمْـنَـا[1] فـي ظِـلِّهـا، والـزَّمـانُ عِـيـدُ
وكَـمْ سُـرُورٍ هَـمَـى عَـلَيْـنـا سَـحَـابَـةٌ ثَـرَّةٌ تَـجُـودُ
كُـلٌّ كـأَنْ لَـم يَـكُـنْ تَـقَـضَّـى [2]وَشُـؤْمُـهُ حـاضِـرٌ عَـتِـيـدُ
حَـصَّـلَهُ[3] كـاتِـبٌ حَـفِـيظٌ وضَـمَّـهُ صَـادِقٌ شـهِـيـدُ
يـا وَيْـلَتَـا[4] إنْ تَـنَـكَّـبَـتْـنـا رَحْـمَـةُ مَـنْ بَـطْشُـهُ شـديـدُ!!
يـا رَبِّ عَـفْـواً فَـأَنْـتَ مَـوْلـىً قَـصَّـرَ فـي شُـكْـرِكَ[5] الـعَـبِـيـدُ

ولَهُ أيضاً يخاطب الوزيرَ أبا محمّد بنَ عَبْدون، ويستدعي منْهُ شُوذَانِقاً[6]:

(طويل)

أغـاديـةٌ بـاتَتْ مَـعَ النَّـوْرِ[7] والْتَقَتْ على الغَوْرِ ريحُ الفَجْرِ مرَّت بـدارينِ
خَـطَّتْ فَوْقَ أَرْضٍ من عَرَارٍ وحَنْوَةٍ[8] وحَـطَّت بَـرَوْضٍ مِنْ بهَـارٍ ونَسْـرين
وباتَتْ بَوادي[9] الشَّحْرِ تَحْتَ نَدى الصَّبَا إلى الصُّبْح فيما بَيْنَ رَشٍّ وتدخين[10]
/ومـرَّت بوادي[11] الرَّنْدِ لَيْلاً فأَيْقَظَتْ بـه نـائمـاتِ الـوَرْدِ بَيْنَ الـرِّيـاحين [١٤٥/و]

---

(١) الديوان: لهونا.
(٢) ر: وشؤمها.
(٣) ر: فصّله.
(٤) ر ب ق: يا ويلنا، وكذا الديوان.
(٥) س: حقّك، ع: في أمره؛ والديوان: في أمرك.
(٦) الشُّواذانق أو السّوذانق: الصقر أو الشاهين، فارسية مُعرَّبة. وانظر الأبيات: الخريدة: ٢/٤١٨.
(٧) ر ب ق س: مع الروض.
(٨) س: خطّت بأرض، ب ق: حبوة، ط: وجندة.
(٩) الشُّحر: بكسر أوله، وسكون ثانيه؛ صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن أو هو بين عَدَن وعُمان قد نُسب إليه بعض الرواة. (معجم البلدان: ٣/٣٢٧).
(١٠) الخريدة: وتدجين.
(١١) الرَّند: اسم نبت طيّب الرّيح. (معجم البلدان: ٣/٧٣).

إذا مِلْتِ عَنْ مَجْرَى[1] الجَنُوب فَبلِّغي ... سَلامِيَ مَبْلولَ الجَنَاحِ ابنَ عَبْدونِ
وبَيْنَ يَدَيْ شَوْقي إليه لُبانَةٌ ... تخفَّفُ[2] مِنْ قَلْبٍ لِلُقْيَاهُ مَحْزُونِ
مَضَى الأُنْسُ إلاَّ لَوْعَةً تَسْتَفِزُّني ... إلى الصَّيْد إلاَّ أَنَّني دُونَ شاهِينِ
فَمُنَّ بِه ضَافي الجَناحِ كأَنَّهُ ... على دُسْتبانِ الكَفِّ بَعْضُ السَّلاطين
إذا أَخَذَتْ كَفَّاهُ يَوْماً فَريسَةً ... فَمِنْ عَقْدِ سَبْعِينٍ إلى عَقْدِ تسْعِينِ

ولَهُ يَرْثي زَوْجَهُ ابْنَةَ الحَضْرِميِّ[3]:

(بسيط)

يا رَبَّةَ القَبْرِ فَوْقَ القَبْرِ ذُو حَزَنٍ[4] ... يَرْثي[5] لَهُ القَبْرُ مِنْ شجوٍ وَمِنْ شَجَنِ
تَبايَنَتْ فيك أَحْوالي أسىً فَمَضَى ... إلى لقائكِ صَبْري طَالِبَ الوَسَنِ
وخَالَفَ القَلْبُ فيكِ العَيْنَ مِنْ كَمَدٍ ... فاسْوَدَّ بالغَمِّ وابْيَضَّتْ من الحَزَنِ

ولَهُ مُراجعاً لأبي [6] الحَسَن بنِ الوقَّادِ عن قِطْعَةٍ كَتَبَ بها إليه من سِجْنِ [7] بَطَلْيوسُ، وكانَ سَبَبُ سجْنِهِ أَنَّ أَهْلَ أُشْبُونةَ [8] ثاروا بأبي زكريَّاءَ [9] بنِ

---

(١) ط: جَري الجنوب. . . . مقصوص الجناح. وفي الخريدة: عن مجرى النجوم.

(٢) ر: تخففت، ر ب: تخفُّق.

(٣) ابنة الحضرمي: ساقطة في بقيَّة النسخ.

(٤) بقيَّة النسخ: ذو حرق.

(٥) ط: يبكي.

(٦) ر: لأبي الحسن بن الرمادي، ب: لأبي الحسن بن الرمَّاد، س: لأبي الحسن بن الرقَّاد، ط: لأبي الحسين بن الوقاد. ولم نعثر على ترجمته.

(٧) ر ب ق س ع: من السجن، ط: في السجن. و: بطليوس: ساقطة في بقيَّة النسخ. وبَطَلْيُوس: بفتحتين وسكون اللام: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة، وكانت حاضرة بني الأفطس. (معجم البلدان: ١/٤٤٧).

(٨) أُشبونة: مدينة بالأندلس، يقال لها لَشْبونة، قريبة من البحر المحيط. (معجم البلدان: ١/١٩٥).

=

تينبراهيم، وأضْحَوْهُ من ظلالها، ورَمَوْهُ بصائب[1] أنبالها، وانْتَزَوْا[2] على أمير المسلمين فيها، وغَزَوْا[3] مُوَاصِلَها ومُوَافيها، وأوْقَدُوا نَاراً لم يُصْلَ[4] بِحَرِّها، وأقاموا حَرْباً عادوا غَرْقَى في بَحْرها، وكان أبو الحسن من أصْلَبِهم فيها عُوداً، وأثقبهم[5] بروقاً، وأصْوَلهم رُعُوداً[6]. فلمّا انجلَى لَيْلُها، وتَقَلَّصَ ذَيْلُهَا، وظَفِرَ الأميرُ[7] بِبَطَلِهِمْ ومِقْدامِهِمْ، وأَخَذَهُمْ بنواصِيهِمْ وأقْدامِهِمْ، وعاقَبَهُمْ على جُرْأتهم وإقدامهم، بَعَثَهُ/ الأميرُ إلى بَطْلْيُوس مَصْفوداً، ووجَّهَ إليه مِنَ النِّكايات [١٤٦/ظ] وُفُوداً، فكتَبَ إلى أبي بَكْرٍ يَسْتريحُ من بَثِّه، ويُريح نَفْسَهُ بَنَفْثِهِ، فراجَعَهُ:

(طويل)

أَتَتْني عَلى رَغمي فَما شئتَ عَبْرَةً ... أَرَشَّتْ بها عَيْنَايَ طَلَّهُمَا وَبْلُ

ومِنْ زَفْرَةٍ أَمْسَكْتُهَا لَوْ بَعَثْتُها ... لَذابَ لها النِّكْلانِ: قَيْدُكَ والقُفْلُ

تَساوَتْ[8] بنا حَالٌ وإنْ كُنْتُ سَارِحَاً ... فداري بكُمْ سِجْنٌ ونَعْلي بكم كَبْلُ

عَنِ المجدِ عَاقَ الحِجْلُ رِجْلَكَ[9] والعُلَى ... كما حَبَسَتْ دُونَ المَدى السَّابحَ الشُّكْلُ[10]

ولا عَجَبٌ أَنْ ضَمَّكَ[11] السِّجْنُ إنَّهُ ... لَعَمْرُ العُلَى غَمْدٌ وأَنْتَ بِهِ[12] نَصْلُ

= (٩) ر ب ق س: بأبي زكريا يحيىٰ بن تين إبراهيم.

(١) بقيّة النسخ: بصائبات نِبالها.

(٢) ط: وامتروا.

(٣) ر: وغيروا واصلها، ب ق س ط: وغزوا واصلها وموافيها.

(٤) بقيّة النسخ: صلوا بحرّها.

(٥) ر: وأنقبهم.

(٦) ر: عودا.

(٧) ر: أمير المسلمين رحمه الله، ع: الأمير رحمه الله.

(٨) ط: تساوت منا حال فإن كنت سارجاً.

(٩) ر: رجلي، ط: عاق المجد رجلك والوغى.

(١٠) الشُّكل: جمع شكال.

(١١) ط: أن عاقك.

(١٢) ر ب ق ط: وأنت له.

ولأبي الحَسَن أخيه:

(متقارب)

ذَكَـرْتُ[1] سُـلَيْمَى وحَـرُّ الـوَغَى كـجـسـمـيَ سَـاعَـةَ فـارَقْـتُـهَـا
وأبْـصَـرْتُ بَـيْـنَ الـقَـنَـا قَـدَّهـا وقَـدْ مِـلْنَ نَـحْـوي فَـعَـانَـقْـتُـهَـا

وركبَ إلى سُوقِ الدَّوابِ بقُرْطبةَ، ومعه أبوالحُسَيْن[2] بنُ سرَّاج، فنَظَرإلى أبي الحكم بن حزمٍ غُلاماً كَمَا عَنَّ[3] تمائمهُ، وهويَرُوقُ كأَنَّهُ زَهْـرٌ فارَقَ كَمَائِمَـهُ، فسـألَ أبا الحسين بنَ سـرَّاجٍ أنْ يَقُولَ فيـهِ، فأُرْتِـجَ عَلَيْه، وثَنَى[4] عِنَـانَ القَوْلِ إليه، فقَالَ:

(طويل)

رَأَىَ[5] صاحبي عَمْـراً فكلَّفَ وَصْفَـهُ وحمَّلَني مِنْ ذاك مـا لَيْسَ في الـطَّوْقِ
[١٤٦/و] /فَقُلْتُ لَـهُ: عَمْـروٌ كعَمْـروٍ فقـال لي صَـدَقْتَ ولكنْ[6] ذا أشَبُّ عَنِ الـطَّوْقِ

---

(١) ط: تذكرت سلمى.
(٢) و ط: أبو الحسن.
(٣) ب ق: عنَّ، س ط: كما عنَّ الشباب تمائمه.
(٤) ع: فثنى عنان القول في يديه.
(٥) ر: أرى صاحبي عَمْراً تكلّف وصفه.
(٦) ط: ولكن ذاك شبٌّ عن الطوق. وأصل المثل: «شبَّ عَمْروٌ عن الـطوق»، وقائله هوجذيمةُ بن مالك بنن عامر التنوخي «الأبرش» (سرح العيون: ٧٧ ـ ٨٠).

الوَزيرُ[1] الكاتبُ أَبو مُحَمَّدٍ عَبْدُالرَّحيم بنُ عَبْدِالرَّزاق

وعَاءٌ حَمَلَ معارفَ، واشْتَمَلَ منها مطارف، كانَ قَدْ تَقلَّدَ كتابة الرِّئاسَةِ، فَقَرْطَسَ غَرَضَ البيانِ قَلَمُهُ، وتبجَّس بموادِّ البلاغَةِ كَلِمُهُ، وابتزَّ على مُعَدِّلي الأَوَان، كأَنَّما فاجَأَهُ بالغَيْثِ كيوان. ثُمَّ إِنَّهُ اشْتَغَلَ بطلب الكيمياءِ آخرَ عُمْرِهِ، واشْتَعَلَ حُبُّها في صَدْرِهِ، ولم يَحْصُلْ منها طائلٌ في يَدَيْهِ، غَيْرَ أَنَّها أَفْسَدَتْ شَكْلَ عَيْنَيْهِ؛ وكانَ عِلْمُهُ في التَّنْجيمِ أَوْسَعَ وأَكْثَرَ، وكانَ في الأدب أَنْظَمَ منه وأَنْثَرَ؛ وقد أَثْبَتُّ مِن كَلاَمِهِ البديع، ما يُضاهي بِهِ عَبْدَالحميدِ[2] والبديع[3].

فمن ذَلك قَوْلُهُ يتغزَّلُ[4]:

---

(١) لم ترد هذه الترجمة في بقيَّة النسخ، وترجم له ابن سعَيد في المغرب: ٢/١١٥، وعدَّة من وزراء عبدالله بن بلقين بن باديس ملك غرناطة، الذي خلعه المرابطون ٤٨٣ . وقال: ذكره صاحب الذخيرة، ولم نعثر على ذكره فيها، وأورده صاحب الخريدة: ٢/٤٢٠.

(٢) هو عبدالحميد بن يحيى، يرجع إلى أصول فارسية، وأنّه كان من أهل الأنبار، وسكن الرقّة فالشام. وكان في أول حياته يتنقل في البلدان معلماً، وكان في الكتابة إماماً. (ابن خلكان: ٣/٢٢٨، الجهشياري: ٨٧٢ ـ ٧٣، ثمار القلوب: ١٩٦).

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني الشهير ببديع الزمان، وهو الكاتب القدير والشاعر المبدع، أول مَنْ ابتدع المقامات، وكانت وفاته ٣٩٨ هـ، (شرح مقامات البهمذاني ـ المقدمة).

(٤) الخريدة: ٢/٤٢٠.

(طويل)

يُـذَكِّـرُني نُبْلُ[1] الهُمَـامِ أبي نَصْـرِ ... زَمـانَ اهْتِمـامي بـالقـريضِ وبـالنَّثْرِ
عَلَى [2] حينَ خَلَّيْتُ اليَـرَاعَةَ غَـاضِبَـاً ... عَلَيْهاوَعَـطَّلْتُ[3] الـدَّواةَ مِنَ الحِبْرِ
ومـا ليَ لا أُهْـدي المـلامَ إلَيْهمـا ... وقَـدْ رَفَعَـا مِنْ قَـدْرِ كُـلِّ عَـرٍ غَمْرِ
فللَّه مـا يُسْـدي ويُلْحِمُ طَبْعُـهُ ... وَيَنْثُـرُ مـن شَـذْرٍ وَيَنْـظِمُ مـن دُرِ
ولـلَّه مِـنْـهُ هِـمَّـةٌ عَـربـيَّـةٌ ... أَبَتْ أَنْ تُـرَى إلَّا على قِمَّـةِ النَّسْـرِ
لقَـدْ[4] احْـرَزَتْ عَلْيَـاهُ كُـلَّ فَضيلَةٍ ... مُـطَرَّزَةِ الأَبْـرادِ عـاطـرةِ النَّشْـرِ
إلىٰ حَسَبٍ كـالمـاءِ[5] يَصْقُلُهُ الصَّبَـا ... وَعَرْضٍ كَعَرْفِ الرَّوْضِ غِبَّ حَيَاً يَسْري

ومرَّ على دار الملْكِ بقُرْطُبَةَ المُطلِّ على النَّهْر، بُرْهَـةً من الدَّهْـرِ، بَعْد مـا حَلَّلَتْهُ الإمَامَةُ، وَطَلَّلَتْهُ تلْكَ الغَمامةُ، فرأىَ خَيْلاً مُرْمَطةً[6] في أعْلاهُ، فاسْتَعْبَرَ ممّا نَظَرَ فيه وجَلاهُ[7] فَقَال:

(وافر)

بـدَارِ المُلْكِ من صَـرْفِ الـزَّمـانِ ... حـوادثُ تَـجْتَـليـهَـا الـنَّـاظِـران
تَبَـدَّلَـتِ الـحـوافِـرُ من خـدودٍ ... وغُـرُّ الخَيْـل مِنْ غُـرِّ الغَـوَاني[8]

---

(١) ب: نَيْل.
(٢) البيت ساقط في ب.
(٣) رق س ع: وأخليت.
(٤) البيت ساقط في رع.
(٥) كالماء: ساقطة في ر.
(٦) مُرْمطة: رمطه رمطاً: عابه وطعن عليه.
(٧) ومرَّ على دار الملك... وجلاه: ساقطة في بقيَّة النسخ: وفيها: وله أيضاً.
(٨) ر: القران.

مَـطالِـعُ أوْجُـهِ الـغيـدِ الـحِسَـانِ غُضِضْـنَ بكُلِّ[1] يَـعْبُـوبٍ حَـصـانِ
/كـأنَّ نُـــورَ أيْـديـهـنَّ فـيـهـا يَـطَأنَ غُـرابَ عَـيْـنـي[2] أوْجَـنَـانـي [١٤٧/و]

ولَهُ أيْضاً:

يـا هَـاجـرينَ أضَـلَّ اللَّهُ سَعْيَكُمُ كَمْ تَهْجُـرونَ مُحبِّيكُمْ بِـلَا سَبَبِ!
ويـا مُـبِـرِّين لـلأخـوانِ غـائـلةً ومُـظْهِـرينَ وُجُـوهَ البِـرِّ والـرَّحَبِ[3]
مـا كانَ ضَـرَّكُمُ الإخْلاصُ لـو طُبِعَتْ تلْكَ النُّفُـوسُ على عَلْيَـاءَ أوْ أدَبِ!!
أشْبَهْتُمُ الـدَّهْـرَ لمَّـا كـانَ والـدُكُـمْ فـأنْـتُـمُ شَـرُّ أبْـنـاءٍ لـشَـرِّ أبِ
مَـا[4] زِدْتُـمُ قَـدْري أيَّـامَ وصْلِكُـمُ نَبَـاهَـةً لَا، ولا ذِكْـري ولَا حَسَبي
وَلَا ازْدَرَيْـتُـمْ بـهِ أيَّـامَ هَـجْـرِكُـمُ فلَسْتُمُ من صُعُودي، لَا، ولا صَبَبِ[5]

ولَهُ أيضاً[6]:

(بسيط)

رَأيْـتُ الـكـتـابـةَ، والـجـاهـلو نَ قَـدْ لَـبِـسُـوا عِـزَّهَـا لامَـهْ
فَـقُـلْتُ لـكـلِّ فَـتـىً كـاتـبٍ بَـديـعِ الـفَـصَـاحَـةِ عَـلَّامَـهْ:
إذَا عَـزَّ غَـيْـرُكُـمُ بـالْـمِـدادِ فـلا أنْـبَـتَ[7] الـلَّهُ أقْـلَامَـهْ

(متقارب)

---

(١) بكل: ساقطة في ر.
(٢) عيني: ساقطة في ر.
(٣) ر: والحسب.
(٤) ر: ما زادَ قدري في أيّام وصلكم.
(٥) ر ب س: صبي، والصَّبب: الانحدار.
(٦) انظر الخريدة: ٤٢١/٢.
(٧) ط: أثبت.

ولَهُ ايضاً[1] يَمْدحُ قاضي الجماعة أبا عبدالله بنَ حمدينَ رحمه الله[2]:

(كامل)

اركـابُكُمْ[3] شَـطْرَ الْـعُـذيبِ تُـسـاقُ ... يَـوْمَ النَّـوى أم قَلْبِـيَ الْمُـشْتَـاقُ؟!

عَمِيَتْ عَلَيَّ عُيُـونُ رَأْيِي في الهَـوى ... لِـلَّهِ مَـا[4] صَـنَـعَـتْ بِـيَ الأَشْـوَاقُ!

ولَقَـدْ أَقُـولُ لِصَـاحِـبٍ ودَّعْتُـهُ ... وقَـدْ اسْتَهَـلَّ بِـدَمْعِي الإِشْفَـاقُ[5]:

يـا فَـائِـزاً قَبْلِي[6] بِـرُؤْيَـةِ دَوْحَـةٍ ... أَشْفَتْ خِـلَالَ فُـرُوعِهَـا الأَغْـلاقُ[7]

[١٤٨/ظ] /مِن تَغْلِبِ الْحَرْبِ التي إنْ غُولِبَتْ[8] ... شَقِيَتْ بِحَـدِّ سُيُـوفِهَـا الأَعْنَـاقُ

فَـهُـمُ إذا مَـا جَـالَـسُـوا أَوْ وَاكَـبُـوا ... أَخَـذُوا بِحَقِّهِمُ الصُّدُورَ فَـرَاقُوا[9]

قَـاضٍ كَـأَنَّ اللَّيْثَ حَشْـوُ بُـرُودِهِ ... وَكَـأَنَّ ضَـوْءَ جَـبِـيـنِـهِ الإِشْـرَاقُ

بِـاللَّهِ[10] رَبُّكَ خُـصَّـهُ بِـتَـحِـيَّـةٍ ... مِـنْ ذِي خُـلُوصٍ قَـلْبُـهُ تَـوَّاقُ[11]

يَصْبُـو إلى تلك الْعُلَى فَـكَـأَنَّـهُ[12] ... صَـبٌّ أَصَـابَـتْ لُـبَّـهُ الأَحْـدَاقُ

---

(١) م ق: وله ايضاً، ر ب ط: وله.

(٢) هو محمد بن علي بن عبدالعزيز بن حمدين التَّغلبي، قاضي الجماعة بقرطبة، كان من أهل التفنُّن في العلوم، وكان حافظاً ذكياً، أديباً شاعراً، ولي القضاء بقرطبة سنة ٤٩٠، وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة ٥٠٨ هـ، وحضر وفاته ابنه أبو القاسم أحمد بن محمد. (الصلة: ٢/٥٧٠).

(٣) س ط: أركابهم! وانظر القصيدة: الخريدة: ٢/٥٢١.

(٤) ط: لله ما فعلت.

(٥) ق: الأهراق.

(٦) ط: قلبي.

(٧) ر ب ق ط ع: الأطواق، س: الاعراق، وكذا الخريدة.

(٨) ر ب ق ط: غولبت.

(٩) ر ب ق ط: فراق.

(١٠) ط: فالله ربُّك.

(١١) ر: شوّاق.

(١٢) الخريدة: فكأنما.

ثاوٍ بأرض بداوةٍ لكنّها ... بالمالكيّين الكرام عِراقُ
قومٌ إذا وَمضتْ بروقُهمُ همى ... صَوْبُ الحيا وأنارتِ الآفاقُ
وإذا[1] استقلّ بنائهم بيراعةٍ ... لبستْ وشيعُ بُرودِها الأوراقُ
وإذا انتدَوْا وتكلّموا أنبيتَ ... ما صانتْهُ مِنْ أغلافِها[2] الأحْقاقُ
أمْهارُكمْ[3] وحُماةُ مَجْدِكمُ وما ... أوْلاكُمُوهُ مِنَ العُلى الخلّاقُ
بلقالقٍ[4] ذُلْقٍ كأنّ حديثَها ... دُرٌّ يُفَصِّلُ بَيْنَهُ النُّسّاقُ
فهُمُ إذا ألقَوْا جِبالَ كلامِهِمْ[5] ... غلَبوا جَهابذةَ الكلامِ وفاقوا
لمّا جَرَوْا[6] شأواً ونالوا ما اشْتَهَوْا ... وثَنَوْا أعِنّتَهُمْ وهُمْ سُبّاقُ
نُصبتْ لهُمْ حَسَداً على ما خُوِّلوا[7] ... مِنْ سُؤْدُدٍ ونَفاسَةٍ أوْماقُ[8]

وكتبَ ايضاً[9]:

(كامل)

يا أيُّها القَمَرُ الّذي يَجْلوا دُجَى الـ ... خَطْبِ البَهيمِ[10] لنا سَناهُ
/هَلْ لامْرِىءٍ أُلْقَتْ إليكَ بهِ يَدُ الـ ... تّأميلِ أنْ يَلْقى مُناهُ؟ [١٤٨/و]

---

(٤) البيت ساقط في ر.
(٢) ر: أغلافها.
(٣) ب ق س: أنصاركم.
(٤) اللّقالق: جمع لقلق، وهو اللّسان. وفي الحديث: «مَنْ وُقِيَ شرَّ لَقْلَقِهِ وقَبْقَبِه وذبذبه فقد وقي، وفي رواية دخل الجنة».
(٥) بقيّة النسخ: بنانهم.
(٦) ب ق س ط: لما جَرَوا وشاوا.
(٧) س: ما نوّلوا.
(٨) الأوماق: جمع وهق، وهو الحبل.
(٩) يبدو أنّ النص موجه إلى قاضي الجماعة أبي عبدالله بن حمدين الأنف الذكر، ففي النص ما يرجّح ذلك عندما يردّه إلى التغلبيّة.
(١٣) ط: دجى الليل البهيم.

مع أنَّهُ لا يُحاولُ غالياً، ولا يُطاوِلُ عالياً، وإنَّما يَطْلُبُ ما طَفَّ، ويَخْطِبُ ما خَفَّ، وذلك لاحتشادِ الكَسادِ في أسْواق صنَاعَتِهِ، وإثمار[1] البَوار بأعلاق بضاعَتِهِ، التي هي جواهرُ، في أعْنَاقِ جآذر، وقلائدُ، على أطْوَاقِ خرائد، ونُحورٌ[2] مُفَصَّلَةُ العُقُود، وقُدودٌ، مُوشَّاةُ البرود[3]، وخَمائلُ مُصْنَدَلَةُ الغلائل، وَمَحانٍ[4] مَطْلولَةُ الأشجار، ومجانٍ مَعْسُولَةُ الثِّمار، من أدَبٍ كالذَّهَب، وكلامٍ كالمُدام، يُسْكِرُ، ممّا يَسْحَرُ، «إنَّ مِنَ البَيانِ لسِحْراً»[5]، ولكنّها أطْواقٌ اخْتُطِفَ عَمْرُهَا[6]، وأعْلاقٌ خُسِفَ بَدْرُهَا، فَجُهِلَتْ قيمَتُها، وجُعِلَت تِلْوَ الْخَرَزِ يتيمَتُهَا، ولولا هذه البقيّةُ التقيَّةُ، العادلة الفاضلةُ الزكيَّةُ، الشَّريفَةُ المُنيفَةُ التَّغْلبيَّةُ، ـ أعْلَى الله قَدْرها ـ وأوْزعني وجميعَ الآملينَ[7] شُكْرَها، ما بقي لصناعةِ اليراعةِ رسمٌ إلاَّ دُثِر[8]:

(كامل)

بَلْ بُدِّلَتْ أعْلى مَنَازِلِها[9] سُفْلاً وأصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلو

---

(١) بقيُّة النسخ: وإثمار.

(٢) ب ق: وخود.

(٣) وقدود موشاة البرود: ساقطة في م ر س ع.

(٤) ب ق: ومجاب.

(٥) إنَّ من البيان لسحراً: ساقطة في س ع.

(٦) هو عمرو بن عديّ، الذي جرى فيه المثل: شبَّ عَمْروٌ عن الطَّوق، وهو ابن أخت جَذيمة الأبرش، قاتل الزبَّاء؛ وهي القائلة فيه: «بيدي لا بيد عمرو».

(٧) ر ع: المسلمين.

(٨) س: ولا لأرباب البَراعة رسم إلاّ غبر.

(٩) ر: مساكنها، ع: مسالكها.

لِتُمْحَقْ فتُلْحَقَ[1] ، من الدَّاثر المعدوم، بسدوم[2] :

(طويل)

وذلكَ أنَّ الدَّهْرَ يَحْسُدُ نَفْسَهُ على كُلِّ فَضْلٍ أوْ يَؤوبَ به خُسْرا[3]

ولا لصناعةِ البلاغةِ اسمٌ إلَّا بَشَرَ بإذالةِ أهْلِهِ، وإذالةِ فَضْله، ليَخْفَى، فَيُلْفَى، من الدَّاثر المَفْقود، كثمود، ﴿هل تُحِسُّ منهم مِنْ أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم رِكْزاً﴾[4]، فَيَا لِدُرَر الآدابِ، وَاسْتِعْبَارِ تجّارها من/ بَوَارِهَا، وَيَا لِغُرَرِ نتائج [١٤٩/ظ] الأَلْبابِ، واسْتتار أقْمارِهَا، في اخْتِفَارِهَا[5]، ويا لِفَصاحَةٍ تَسْتَطيرُ الأَقْلامَ، ورَجَاحَةٍ تُحَيِّرُ الأفْهَامَ:

(البسيط)

فَقَدْ: «أخْنَىٰ عَلَيْها الَّذي أخْنَى على لُبَدِ»[6]

فلا دارٌ ولا سَنَدٌ، ولا نُؤْيٌ، ولا مَظْلومَةٌ جَلَدُ[7].

(الخفيف)

كلُّ شيءٍ مَصيرُهُ للزَّوال غَيْرُ رَبّي وَصَالِحُ الأعْمالِ

---

(١) ر: لتمتحَقَ فتلتحق.

(٢) سدوم: فعول من السُّدَم، وهو النَّدم مع غم. وهي مدينة من مدائن قوم لوط عليه السلام، كان قاضيها يقال له سدوم؛ وبه يضرب المثل، فيقال: «أجور من قاضي سدوم». (معجم البلدان: ٣/٢٠٠، والميداني: ١/١٩٠، والجمهرة: ١/٣٣٣).

(٣) ط: به خسر.

(٤) سورة مريم: آية ٩٨.

(٥) ب ق س ط: احتقارها، و: في اختفارها: ساقطة في ع.

(٦) عجز بيت للنابغة الذبياني، وأوله: (شرح القصائد العشر: ٥١٦).
أضحتْ خلاءً، وأضحى أهلها احتملوا.

(٧) هذا مأخوذ من قول النابغة: (شرح القصائد العشر: ٥١٤).
إلَّا أواريَّ لأيـاً مـا أبَيِّنُهـا والنُّؤْيُ كالحوضِ بالمظلومةِ الْجَلَدِ

(طويل)

«على مثله فَلْيَبْكِ مَنْ كانَ باكياً»

«ثمّ يرجع الحَديث إلى ابن إسحٰق».

فإنّي والله ما قَصَدْتُ، الّذي سَرَدْتُ، مِنْ تابين[1] هذِهِ المعَادن، لكنّ «الحديثَ ذو شُجُونٍ»[2]:

(الكامل)

ولرُبَّما سَاقَ المُحَدِّثُ بَعْضَ ما لَيْسَ النَّديُّ إليه بالمُحْتَاجِ

ولا أَرَدْتُ، الذي أَوْرَدْتُ، من الإعلان، بهذِهِ الأَشْجانِ

(الطويل)

«ولكن تفيضُ العين[3] عند امتلائها»

وأمَّا الَّذي أَرَدْتُهُ، فهو أَمْرٌ أَوْرَدْتُهُ على الحبير ابني وعَبْدِهِ، ثُمَّ حَدَّدْتُ لَهُ أَلَّا يَخْرُجَ عَنْهُ[4] إلَّا بَيْن يَدي مَجْدِهِ، إنْ حَلّ مِنْ عُقْدَةِ[5] لِسانِهِ التَّقْريبُ، واسْتَقَلَّ بعُهْدَةِ[6] بيانِهِ التَّرْحيبُ، ولئن كان ذلك، فلأَحْلِبَنَّ[7] ما هُنالِكَ، من سَلَفٍ كريمٍ، وشَرَفٍ صَميم، وهِممِ نُفُوسٍ أَبيَّة، وشَمَمِ[8] أُنوفٍ تَغْلِبيَّة، بشذور منثورٍ، هيَ الغِنَاءُ الْمَعْبَديُّ[9].

---

(١) ط: من تباين.

(٢) الحديث ذو شجون: أي ذو طُرق. (انظر المثل: الميداني: ١/١٩٧، معجم الأمثال القديمة: ١/٤٦١).

(٣) ع: تفيض النفس.

(٤) عنه: ساقطة في ع. س: إليه.

(٥) ر ب ق س ط: عقد، ع: بيد.

(٦) ر: ببعد، ب ق: بعين، ط: بعهد.

(٧) ر: فلأجلبنَّ، ب ق س: فلأحلينَّ، ط: فلأخلينَّ.

(٨) ع: وشيم.

(٩) نسبة إلى المغني معبد، وهو مَعْبد بن وهب، أبو عبّاد المدني، المغني المشهور =

(طويل)

فـإنّي[1] إذا أثْنَيْتُ أعْـرَبْتُ مُـطرِبَـاً كـأنّـيَ قَـدْ رَجَّعْـتُ واوَاتِ مَعْبَـدِ

/وعيونِ مَوْزُونٍ، هيَ السَّناءُ[2] الأبَدِيُّ: [١٤٩/و]

(بسيط)

إنّـي إذَا قُـلْتُ قَـوْلاً مَـاتَ قـائِـلُهُ وَمَنْ يُقـالُ لَـهُ والقَـوْلُ لم يَـمُتِ؟

وإنْ أخَذْنا[3] بأذْيال حُسْنِ الإصْغَـاءِ، وألاَّ تَقَعَ أواهـلُ[4] تَأْميلي عِنْدَهُ[5] في باب الإلْغاءِ، وَجَـد ذَلكَ الإحسـانَ، جواهـرَ تُقَرّطُ[6] بهـا الآذانَ، ومِسْكاً يُفتَّقُ، وعَنْبَراً يُحْرَقُ، إن شاءَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ[7].

وكتبَ إليه أيضاً[8]:

(كامل)

قولوا[9] لِصَخْرَةَ إذْ تُسايـلُ أُخْتَهَا[10]: جـيئي جُـهَيْنَـةَ تَـرْجَعـي بِيَـقـينِ

= في العصر الأموي، وكان أديباً فصيحاً، وعاش طويلاً، وكانت وفاته ١٢٦ الأغاني: (طبعة الدار): ١/٣٦ - ٥٩).

(١) البيت ساقط في ب ق ط: وهو في س: متصل بالبيت الذي يليه.

(٢) ر: الثناء.

(٣) ر ب ق: أخذ، ط: فإن أخذنا.

(٤) ب ق: عوامل، و: أواهل: ساقطة في ع.

(٥) بعدها في بقيّة النسخ: دام عزُّه.

(٦) ر: تقرطق.

(٧) ر ب: إن شاء الله تعالى، والعبارة لم ترد في ع.

(٨) بعدها في ط: مراجعاً، ولعلّ المراجعة لأبي عبدالله ابن حمدين.

(٩) ط: قالوا.

(١٠) ر س ط: جرمها، ب ق ع: حرمها. وفي حاشية س: مأخوذ من قول الشاعر؛ الأخنس بن كعب.

تسـائل عن أبيهـا كُـلَّ جِـرْمٍ وعنـد جُهَيْنَـة الخبـر اليقين =

أَقْـذَيْتُ عَيْـني بـالـزَّمـانِ وأَهْـلِهِ ... حَتَّى نَـظَرْتُ إلى بني [1] حَمْـديـنِ

الـوارثـينَ الـمـجْـدَ عـن آبـائِـهـمْ ... والحـامليـنَ العِلْمَ عَنْ سَـحْنـون [2]

قَـوْمٌ إذا حَضَـرُوا النَـديَّ تَـمَيَّـزوا ... بـعُـلُوِّ مَـرْتَـبَـةٍ ونُـورِ جَـبـيـنِ

مُـتَـزَلِّفيـنَ إلى الإلَـهِ فـشـانُـهُـمْ ... إصْـلاحُ دُنْـيـا أو إقَـامَـةُ ديـنِ

فَـمُـحَـمَّـدٌ [3]، لـلّهِ دَرُّ مُـحَـمَّـدٍ! ... مِـنْ مُـسْـتَـهَـامٍ بـالْـعُـلَى مَـفْـتُـون

قاضي القُضاةِ المُسْتَضيءُ [4] بمُسْفِرٍ ... مِـنْ رَأْيِـهِ مِثْـلَ الـصَّبـاحِ مُـبـيـنِ

طَـوْدٌ مِنَ الفَضْلِ اسْتَقَلَّ زَمَـاعُـهُ [5] ... بـإغـاثَـةِ المَلْهُـوفِ والـمَحْـزُونِ

وبـأَحْمَـدَ الـبـاني العُلى، نِلْتُ المُنَى ... وأَخَـذْتُ رايَـةَ بُـغْيَـتـي بـيَـمـيـنـي

قـاضٍ كـأَنَّ الحقَّ نُـورٌ سـاطِـعٌ ... يَغْشَى الـورَى مِنْ وَجْهِـهِ المَيْمُـونِ

قَمَـرا كـواكبَ تَغْلِبَ ابْـنَـةِ وائـلٍ ... ذاتِ الـغِنَـى والأَيْـدِ [6] والتَّـمـكـيـنِ

الـوارثـيـنَ كُـلَيْـبَـهُـمْ فَـهُـمُ إذا ... مـا نُـوزِعُـوا في المَجْـدِ أَشْـدُ عَـرينِ

= وجهينة بن زيد بن ليث، من قضاعة، أبو قبيلة من العرب، وفي المثل: «وعند جهينة الخبرُ اليقين». (الميداني: ٢/٣، ومعجم الأمثال: ٢/٦٣٨.

(١) بنو حمدين: تغلبيّون في نسبتهم، وقد كان لمحمّد بن علي منهم ولدان، أحدهما أبو القاسم أحمد (الصلة: ١/٧٨، والمغرب: ١/١٦٢ والنُّباهي: ١٠٣) وكان قاضياً للجماعة بقرطبة وتوفي ٥٢١، والثاني أبو جعفر حمدين تولى القضاء كذلك ثم صرف عنه سنة ٥٣٢ ثم أعيد وشهد انهيار الدولة المرابطية، فتسلّم زمام الأمر بقرطبة ودعي له على منابرها، وكانت وفاته سنة ٥٤٨ هـ.

(٢) سحنون: وهو عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التّنوخي الملّقب بسحنون، تقدّم لولاية القضاء بإفريقية، وانتهت إليه رياسة العلم في المغرب، مولده في القيروان، روى المدونة في فروع المالكية (النباهي: ٢٨ ـ ٣٠).

(٣) ب ق: بمحمّد، وهو أبو عبدالله.

(٤) ر ب ق: المستضاء، ع: المستفيض.

(٥) ع: زعامة.

(٦) ب: والأيدي.

/وإذا تـلَيَّنـهُم[1] خُـضُـوعُ مُنـازِعٍ فَـلُّوا لَـهُ من غَـرْبـهِـمْ[2] بـالـلّيـن [١٥٠/ظ]
أهْـلُ الـرَّصـانَـةِ والفَـطانَـةِ والنُّهَى والـعِلْمِ بـالـتَّقْـيـيـد[3] والـتَّـذويـن
فَـعَـلَيْـهِـمُ مـنّـي الـسَّـلامُ تَـحِـيَّـةً كـالـفـاغِم الـمَجلوبِ من دَاريـنِ

أَيَّدَ اللَّهُ الفقيهَ الأَجَلَّ، والغَيْثَ الواكفَ المُنْهَلَّ، قاضي الجماعةِ وسيِّدَها، وعاضِدَها ومُؤَيِّدَها، إنَّه ـ أعْلى اللَّهُ قَدْرَكَ، وأَوْزَعني وأَهْلَ العصر شُكْرَكَ ـ لمَّا أذابَتْني لَفَحاتُ الأَشْواقِ إلى تلك الآفاق، التي تُشْرِقُونَ بها أقماراً؛ وتَفْقَهُون فيها بِحَارا:

«وَمَا دَهْري بحبِّ تُرابِ أَرْضٍ»[4].

وإنَّما هو كما قيل: (طويل)

أُحِبُّ الحِمَى مِنْ أجْل مَنْ سَكَنَ الحِمَى ومِنْ أَجْـلِ أَهْليهـا تُحَبُّ المنـازلُ

وَرَابَتْني[5] غَمَراتُ الوَجْـدِ، بذلـك المجْدِ، العـالية قُلَلُهُ، الغـالية حُلَلُهُ، الرَّائعُ تَطْريزُها، الخالِصُ إبْريزُهَا.

(كامل) (٤)

كما: «رابَ العَليلَ تَغَامُزُ العُوَّادِ».

---

(١) ر: تلوَّنهم، ب ق: يلِيّنهم.
(٢) ر ب ق س: غربه، ط: عرفه.
(٣) بقيّة النسخ: بالتقليد.
(٤) ب ق ع:
وما دهري بحبّ ترابِ ارْضٍ ولكن حبُّ مَنْ سكن الدِّيار
وفي س:
..... ولكن مَنْ يحلُّ بها حبيبُ
وفي حاشيتها: ماخوذ من قول الشاعر:
وما حُبّي لطيبِ تـراب أرضٍ ولكن حبُّ مَنْ وطىءَ التُّـرابا
وفي ط: وما حُبِّي لحُسْن تراب ارضٍ.
(٥) ورابتني: ساقطة في ر.

وعَايَنْتُها نَفْساً صَبَّةً، وقَلْباً قد حُشِيَ مَحَبَّةً، بما رَقَمْتُهُ لِعُلاَك من بردٍ، كصفحاتِ الْخدود:

دَارَتْ[1] عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

ونَظَمْتُهُ من حُلاَكَ كلاماً، لو شُرِبَ لكانَ مُداماً، ولَوْ ضُرِبَ بِهِ لكانَ حُسَاماً، ثُمَّ انْهَيْتُهُ بَعْدمَا امْهَيْتُهُ:

(طويل)

[١٥٠/و] /لِيَعْلَمَ مَوْلايَ بِأَنِّيَ عَبْدُهُ وأَنَّ فُؤادي عِنْدَهُ وَهْوَ في صَدْري

وأَنِّيَ لا انْفَكُّ أَخْدُمُ مَجْدَهُ بِكُلِّ بديعٍ من قريضي وَمِنْ نَثْري

وَيَأْخُذُ بِأَذْيال، ما وَصَفْتُهُ من هذه الحال[2]، إنَّه:

(متقارب)

رَمَاني الزَّمانُ بِأَحْدَاثِهِ فَبَعضٌ[3] أَطَقْتُ وبَعْضٌ فَدَحْ

ومن أَثْقلها وأَقدحِهَا[4]، وأَغْلَبِها وأَعزِّها، وأَسْلَبِها وأَبَزِّها، ومَنْ عَزَّبَزَّ[5].

إنَّهُ كانَ لي نَسيبٌ قَريبٌ، وَرَبيبٌ حَبيبٌ:

(بسيط)

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظُمُهُ أُمَّ الطَّعامَ تَرَى في رِيشِهِ زَغَبا

---

(١) بقيَّة النسخ: جادت.

(٢) ع: وياخذ بأذيال هذه الحال، ما وصفته بالانتحال.

(٣) ر س ط ع: فبعضاً... وبعضاً، ب ق: فبعضاً... وبعض.

(٤) بعدها في ب ق س ط ع: وافضحها.

(٥) ومَنْ عزْ بزْ: ساقطة في ر.

أي من غلب سلب، قالت الخنساء:

كَأَنْ لم يكونوا حِمىً يُتَّقى إذ النَّاس إذْ ذاك مَنْ عَزَّ بَزّْ

(الميداني: ٣٠٧/٢، معجم الأمثال: ٩١٢/٢).

فلمّـا شَبَّ، دَبَّ ليطلب[1] الحَبَّ، فما قَمَصَ[2]، حتى قُنِصَ، ولا أَخَـذَ في الحركة، حَتَّى وَقَعَ في الشَّرَكَةِ.

(متقارب)

«ويَعْدو على المَرْءِ مَا يَأْتَمِر»[3]

وذلك أنّه أُمُّ قُرْطبةَ ـ حَرَسَها اللّهُ ـ طالباً جِذمَ مالٍ، كان قَدْ تَصَدَّقَ بِهِ عليه جَـدُّه[4] ـ رحمه الله ـ، فإذا بـه قَـدْ أَلْفَى هُنَـالِـكَ غـاصِبَـه، وَهْـوَ قـد نَصَبَ لـه مَجـانبَهُ[5]، وفَتَـح أشْراكَـهُ، وَبَسَط تَحْتَ هَذا المَطْمَعِ شِبَاكَهُ، فما نَـزلَ حَتَّى كُتِفَ، ولا حَصَلَ حَتَّى نُتِفَ، فأَصْبَحَ مَغْلوباً مَسْلوبًا، مَحْزونا مَسْجوناً

(طويل)

إذا قَـامَ عَنَّتْـهُ[6] على السَّـاق حِلْيَـةٌ بِهَـا خَـطْوُهُ وَسْطَ البيـوتِ قَصيـرُ

هَكَـذا ـ أدامَ اللّهُ عـزَّكَ[7] ـ أَوْرَدَ، بَـعْضُ مَنْ وَرَدَ، وأَخْبَـرَ بَعْضُ/ مَـنْ [١٥١/ظ] اسْتُخبرَ[8]

(السريع)

ـ «وفي النَّوى يُكْذِبُكَ الصَّادقُ» ـ

---

(١) ر ب ق ط: ليلقط.

(٢) ر: غصَّ، ب ق: خمص.

(٣) حـاشيـة س: هـذا عجـز بيت امـرىء القيس، وصـدره: (الـديـوان: قصيدة ٢٢/ ٩٤).

أحـارِ بـنَ عَمْـروٍ كـأنّـيَ خَمْـرٌ

(٤) حاشية م: أبوه.

(٥) المجانب: جمع مجنب، وهو الترس.

(٦) ب ق: غنته، ط: غنته... حلقة.

(٧) ر ب ق ط: أعزَّك الله.

(٨) ر: وأخبر من استخبر، ب: وبه أخير مَنْ استخبر.

فإنَّهُ قَدْ حدَّثَ غَيْرَهُ، أنَّه كان في وثاق، غَيْرَ مُخَلَّى السَّاق، وتحت اعتقال (طويل)

شديد، ولكنه بغير حديد:

ومَنْ يَسْألِ الرُّكْبانَ عن كُلِّ غائبٍ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَلْقَى بَشيراً ونَاعيا

فلَوْ تَرى أُمَّهُ أُمَّكَ ـ سَتَرها اللَّهُ ـ وَهْيَ مِنْ اليم اشْفاقِهَا، وعظيم وَجْدِهَا وانْطِبَاقِهَا، قَدْ ذَهَبتْ أَوْ كادَتْ، بَلْ قارَبَتْ وزادَتْ، لَوْلا ناظِرٌ عَريقٌ[1] يَطْرِفُ، وعَيْنٌ سخينةٌ[2] تَذْرِفُ، و «رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمام[3]»، لاخْتَدَمْتَ، ممّا[4] رَحِمْتَ، ولاسْتَعْبَرْتَ، ممّا أَبْصَرْتَ، وهذا المسجونُ المحزونُ، المظلومُ المكظومُ، الذي غَلَبَ صَبْرَهَا هَمُّهُ، وَمَلأَ صَدْرَهَا مُلِمُّهُ، فَقَتَلها، ممّا أَذْهَلَها، فَتىً يُعْرَفُ «بفُلانٍ» ـ أقال اللَّهُ عَثْرَتَهُ، وأزالَ غَمْرَتَهُ ـ فَهلْ لَكَ في تَدارُكِ هذه المِسْكينَةِ بحَسَنَةٍ، تَعْدِلُ عند الله عِبَادَةَ أَلْفِ سَنَةٍ[5]؟ لقولهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ومَنْ أَحْيَاها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جميعاً[6]﴾ وَنَبَّهْتُ[7] للخَيْرِ أَهْلَهُ، حَيْثُ خاطَبْتُ

---

(١) ب ق ط: غريق.

(٢) ر ب ق ط: سخيَّة.

(٣) عجز بيت للمتنبي، وصدره: (االديوان: ٤/٩٣).

ذَلَّ مَنْ يغبط الذليلَ بعيشٍ .....

(٤) ر ب ق: فما رحمت... فما أبصرت.

(٥) ر: عبادة سنة.

(٦) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٧) ز ب ق س ع: لنبهت، ط: فقد نبَّهْتُ.

مَوْلاي، فَهزَزْتُ[1] فَضْلَهُ، «ومَنْ نَبَّهَ عُمَرَ نـام»[2]، ومِثْلُكَ ـ اعزَّك اللَّهُ ـ مِمَّن بَـذَّ الكرامَ، وتوشَّحَ[3] في مِثْلِهَا بالحُسام، ثُمَّ أمرَ كَأساً بالالجام:

(طويل)

وإلاَّ فَلِمْ قـالـوا: عُتَيْبَـةُ فَـارِسٌ يُشِبُّ وَقُودَ الحَرْبِ بالْحَطَبِ الجَزْلِ؟

فَعلَ إن شاءَ اللَّهُ تعالى ما هو أَهْلُهُ، وعِنْدَ رَبِّـهِ من حُسْنِ الثَّوابِ/ عَـدْلُهُ، [١٥١/و] إنَّه لا يُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً[4]، والسَّلام.

---

(١) ط: وزرت.

(٢) ط: ومَنْ انَبَّهَ كمن نام. وفي حاشية س: هذا من قول بشّار: (الشعر والشعراء: ٧٥٨).

إذا أيقظتك حُروبُ العدى فنبِّهْ لها عُمَرَ ثمّ نَمْ

(٣) د س ع: توشح، ب ق: وشُح.

(٤) بعدها في ب ق: بحوله وطوله ومنّه ويُمْنه والسَّلام.

الوزيرُ[1] الْفَقيهُ أبو أيُّوبَ ابنُ أبي أُميَّة

وَاحِدُ الأَنْدَلُسِ الذي طَوَّقها فَخَارا، وطبَّقَهَا بأوانِهِ مُبَاهَاةً[2] وافتخاراً، ما شئتَ مِنْ وَقَارٍ لا تُحيلُ الحركَةُ سُكُونَهُ، ومقدارٍ يَتَمنَّى مُخيِّرٌ[3] أَنْ يَكُونَهُ، إذا لَاحَ رَأَيْتَ المَجْدَ مُجْتَمِعاً، وإنْ فَاهَ أضْحى كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَمِعَاً، تَكْتَحِلُ بهِ مُقَلُ المجْدِ، وَتَنْتَحِلُ المعالي أَفْعَالَهُ انْتِحَالَ ذي كَلَفٍ بهَا ووجد، لو تَفَرَّقَتْ في الخَلْقِ سَجاياهُ لَحُمِدَتِ الشِّيمُ، ولَوْ اسْتُسْقِيَ مُحَيَّاه لَما اسْتمسكتِ الدِّيمُ.

دُعِي للقضاءِ فما رَضِيَ، وأُعْفِيَ منْهُ فكَأَنَّهُ اسْتُقْضِيَ، لديه تَثْبُتُ الحقائق، وتَنْبُتُ العلائِق، وبَيْنَ يَدَيْهِ يُسْلَكُ من الحقِّ الجَدَد؛ ويَدَعُ الأَلَدَّ اللَّدَدَ، ولَهُ أدبٌ إذا حاضَرَ بهِ، فلا البَحْرُ إذا عَصَفَ، ولا أبو عثمان[4] ابنُهُ إذا صَنَّفَ، مَعَ حَلاوَةِ مُؤَانَسةٍ تَسْتَهْوي الجليسَ، وتَهْوي حَيْثُ شاءَتْ بالنفوس.

---

(١) هذه الترجمة لم ترد في بقيَّة النسخ، وهي من تراجم المطمح: (ص: ٢١٥). مع اختلاف يسير. وأبو أيّوب سليمان بن أبي أمية من فضلاء العلماء في الدّين والأدب، عرض عليه القضاء فأباه تصوّناً، وقد توفي سنة ٥٢٢، وترجم له صاحب الخريدة: ٤٩١/٢، والمغرب: ٢٤٨/١، وذكره ابن بسّام في مقدمة الذخيرة في القسم الثاني منها، ولكنّا لا نجد له ترجمة فيها، مع أن ابن سعيد صاحب المغرب ينقل عن الذخيرة في وصفه، وكذلك ترجم له ابن فضل الله في المسالك الجزء الحادي عشر الورقة ٤٢٤، ونفح الطيب: ٥٥٠/٣ وهو ينقل عن المطمح.

(٢) مباهاة: ساقطة في المطمح.

(٣) المطمح: مخيِّر.

(٤) يبدو أنها إشارة إلى أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ.

وأمّا تحبيرُهُ وإنشاؤه، ففيهِمَا للسَّامِعِ تَحْبيرُه وانْتِشَاؤُه؛ وقد أثبتُّ له بِدَعاً، يَثْني الإحْسانُ إلَيْها ليتاً[1] وأخدَعا. فمن ذلك قَوْلُهُ في منزلٍ حَلَّه مُتَنَزِّهاً[2]:

(بسيط)

يا مَنْزِلَ الأُنْسِ[3] أهْواهُ وآلفُهُ ... حَقّاً لَقَدْ جُمِعَتْ في صَحْنِكِ البِدَعُ

/للَّهِ ما اصْطَنَعَتْ نُعْماكَ عِنْدِيَ في ... يَوْم نَعِمْتُ بِهِ والشَّمْلُ مُجْتَمِعُ [١٥٢/ظ]

وحَلَّ مُنْيَةَ صِهْرِهِ، الوزيرِ أبي مرْوَانَ بنِ الدبّ، بعُدْوَةِ إشبيليةَ المُطلّة على النَّهْر، المُشْتَمِلَةِ بيانع[4] الزَّهْر، وهو مُعَرِّسٌ بِبِنْتِهِ، فأقام فيها أيّاماً مُتَأَنِّساً، وَلجَذْوَةِ السُّرور مُقْتَبِساً، فَوَالى عَلَيْهِ مِنَ التُّحَفِ، وأهْدَى إليه من الطُّرَف، ما غَمَرَ كَثْرَةً، وبَهَرَ نفاسَةً وأُثْرَةً، فلمّا ارتحل، وقد اكْتَحَلَ من حُسْن ذلك الموضع بما اكتَحَلَ، كتب إليه[5]:

(بسيط)

قُلْ للوزيرِ: وأيْنَ الشُّكْرُ مِنْ مِنَنٍ ... جاءَتْ على سَنَنٍ تُتْرَى وتَتَّصِلُ

غَشيتُ مَغْنَاكَ والرَّوْضُ الأنيقُ بِهِ ... يَنْدَى وصَوْبُ الحَيَا يَهْمي وَيَنْهَمِلُ

وجالَ طَرْفي في أرجائه مَرِحاً ... وَفْقَ اخْتياري يَسْتَعْلي وَيَسْتَفِلُ

يدعو تَلَفُّتُهُ حَيْثُ ارْتَمى زَهَرٌ ... عَلَيْهِ مِنْ مُنْثني أفنانِهِ كَلَلُ

مَحَلُّ أُنْسٍ نَعِمْنَا فيهِ آونةً ... من الزَّمانِ وَوَاتَانَا بِهِ الأَمَلُ

---

(١) المطمح: جيداً واخدعاً. وهو ينظر إلى قول الصمة بن عبدالله بن طفيل بن قشير بن كعب، وهو من أبيات في بنت عمر (ريّا): (دلائل للإعجاز: ٤٧، حماسة أبي تمام: ١١٤/٣).

تَلَفَّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتني ... وجعتُ من الإصغاء ليتاً وأخدعا

(٢) المطمح: ٢١٦، والخريدة: ٤٩١/٢.

(٣) الخريدة: يا منزل الحسن.

(٤) المطمح: على بدائع الزهر.

(٥) المطمح: ٢١٧، والنفح: ٥٥١/٣.

وحَـلَّ بَعْدَ ذَلـك مُتَنَزِّهـاً بها على عـادته، فـاحْتَفَـلَ في مُـوالاةِ ذلـك البـرّ وإعادَتِهِ، فلمّا رَحَل كتَب إليه[1]:

(مجزوء الكامل)

يَـا دارُ أَمْـنَـكِ الـزَّمـا نُ صُـرُوفَـهُ وَنَـوائـبَـهْ
وجَـرَتْ سُـعُـودُكِ بـالّـذي يَـهْـوَى نَـزيـلُك دائـمَـهْ
فَـلَنِعْـمَ مَـثْـوى الـضَّـيْـفِ أَنْـ ـتِ إذا تَـحـامَـوْا جـانِـبَـهْ
[١٥٢/و] /خَـطَرٌ شَـأَوْتِ بِـهِ الـدُّيـا رَ فَـأَذْعَـنَـتْ لـك قـاطِـبَـهْ

وله فيه أيضاً[2]:

(بسيط)

أَمِسْـكُ دارينَ حَـيُّـاكَ النَّـسـيمُ بـهِ أَمْ عَنْبَرُ الشَّحْرِ أم هـذي البساتينُ؟
بشـاطىء النَّهْـر حيث النَّـوْرُ مُؤتلقٌ والـرَّاح تَعْبَقُ، أم تلك الـريـاحينُ؟

وصَنَعَ ولدُ[3] ابنِ عبْدِالغفور رسالةً سمَّاها السَّاجَعة[4] والغِرْبيب، حَذَا بها حَذْوَ أبي العلاء المعري[5]، في «الصّاهل والشَّاحج»، وبعَثَ بها إليه، يَعْرضها عليه، فأقامَتْ عِنْدَهُ أيّاماً، ثُمَّ اسْتَدْعاها منه، فصَرَفَها إلَيْه، وكتَبَ معها[6]:

---

(١) المطمح: ٢١٨، والخريدة: ٤٩٢/٢، والنفح: ٥٥١/٣.

(٢) البيتان زيادة في المطمح: ٢١٨، والمغرب: ٢٤٨/١، والخريدة: ٤٩٢/٢.

(٣) لفظة «ولد» زيادة في المطمح. وابن عبدالغفور: هو أبو القاسم محمد بن أبي محمّد بن عبدالغفور بن أبي القاسم محمّد بن عبدالغفور. ترجم له ابن سعيد (٢٤٢/١) نقلاً عن صاحب «السمط»، وذكر أنه اعتبط شاباً، وله كتاب الاقتصار، ورسالة إحكام صنعة الكلام.

(٤) المطمح: سمَّاها بالسُّاجعة.

(٥) هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري، المتوفى ٤٤٩ هـ، صاحب الغفران.

(٦) المطمح: ٢١٨، والنفح: ٥٥١/٣.

بِكْرٌ ما[1] زَفَفْتُهَا ـ أعزَّك الله ـ نَحْوك، وَهَزَزْتُ بمَقْدِمِها سَنَاكَ وسَرْوَكَ، فلم أَلْفِظْهَا عن سَمْع[2]، ولا جَهِلْتُ ارتفاعَهَا عن[3] كُلّ ما يُجْتلى من نَوْعها ويُسْتَمَع، ولكن لِمَا أَنِسْتُهُ من أُنْسِكَ بانسجَاعها، وَحِرْصِكَ على ارتجاعِهَا، دَفَعْتُ في صَدْر الولوع، وتركتُ بَيْنها وبَيْن مجاثِمِهَا تلك الرُّبوع، حَيْثُ الأدبُ غَضٌّ، وماءُ البلاغَةِ مُرْفَضٌّ، فاسْعِدْ ـ أعزَّك اللَّهُ ـ بِكْرَتَهَا، وسَلْها عَنْ أفانين معزَّتها[4]، بما تقطفه مِن ثِمارِكَ، وتغرفُهُ من بِحارِكَ، وتَرْتَاحُ لَهُ ولإخوانِهِ من نتائج أَفْكارِكَ، «وإنَّها لَشِنْشِنَةٌ تُعْرَفُ فيكم من أَخْزَمَ»[5]، ومَوْهِبَةٌ حُزْتُمُوها واحْرَزْتُمُ السَّبْقَ فيها مُنْذُكَمْ؟ إن شاءَ اللَّهُ تعالى.

---

(١) لفظة «ما» ليست في المطمح.

(٢) المطمح والنفح: شبع.

(٣) المطمح والنفح: عمّا يجتلي.

(٤) المطمح والنفح: معزَّتها.

(٥) أصل المثل: «شنشنة اعرفها من اخزم»، وهو شطر بيت لأبي أخزم الطّائي، وكان له ولد يقال له أخزم»، وقيل كان عاقاً فمات وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم أبي أخزم، فأدموه، فقال:

إنَّ بَنيَّ ضَرَّجُوني بالدَّم ... شِنْشِنَةٌ اعرفها من من أخزم

(الميداني: ١/٣٦١، معجم الأمثال: ٢/٥٧٦).

الوزيرُ[1] الكاتبُ أَبُو مُحَمَّد
ابنُ عَبْدِ الغَفُورِ رَحِمَهُ اللَّهُ[2]

قَـدْ كُنْتُ نَوَيْتُ أَلَّا أُثبتَ لـه ذِكْراً، ولا أُعْمِـلَ فيه فِكْـرا، وأَدَعَهُ مُـطَّرَحـا، وأُقْطِعَهُ الإهْمالَ مَسْرحاً؛ لِتَهوُّره، وكَثْرَةِ تَقَعُّرِهِ، فـإنَّه كـانَ باديَ الهَـوَج، وَعِرَ[3] المنهج، لَهُ ألفاظٌ مُتَعقِّدةٌ، وأَغْراضٌ غَيْرُ مُتَـوقَّدَةٍ/ [١٥٣/ظ]، لا يُفَـكُّ مُعَمَّاهـا، ولا يُعْلَمُ مَرْماها، مع نَفْسٍ فـاسِدَةِ الاعْتَقَـاد، ثابتـةِ الأَحْقاد، وتَتَنَكَّـدُ بالأفـراح، وتَحْسُدُ حَتّى على الماءِ الْقَرَاح، وتَغَضُّ بفارس يَرَاعةٍ، وتتربَّصُ الدَّوائرَ بحاملِ بـراعَةٍ، إلى لسانٍ لا يَنْطِقُ إلَّا هُجْراً، وأَجْفانٍ لا تَرْمُقُ مِنْ تَوقُّدِ الْحِقْدِ فيها[4] فَجْراً، فَهْيَ تَرْعَى الظُّلَمَ مكان الأنوار، وتَودُّ أَنْ تَرى النِّجادَ كالأغْوار، أَسْتَغْفرُ اللَّهَ، إلَّا نَظْمَهُ فَرُبما أَلَمَّ فيه بالبدائع إلْماماً، وأَمْسَكَ[5] لَهَا زِمَامَاً، وصَـرَّفَ فيها لِسَـاناً صَنَـاعَاً، وأَسالَ لها بالمحاسن تِلَاعَا.

---

(١) هو ابن ذي الوزارتين أبي القاسم محمّد بن عبدالغفور صاحب المعتمد، كتب لأمير المرابطين عليّ بن يوسف بن تاشفين. ترجم له ابن بسّام في الذخيرة: ٢/١/٣٢٥، وابن سعيد في المغرب: ١/٢٤١، والخريدة: ٢/٤٢٤، وأشار إليه صـاحب المطرب: ٢٠٠.

(٢) ب ق: رحمه الله تعالى، وهذا الترحم لم يرد في س ط ع.

(٣) ب ق: واعر.

(٤) ط: منها، واللفظة ساقطة في ر س.

(٥) ر ب ق: وملك.

وَلَـهُ سَلَفٌ نَبيهٌ أَعْلَقَـهُ[1] في حِبَالـةِ هذا الـدِّيوان، وأَلْحَقَـهُ بأَعْيَانِ الأوان، وربُّما نَدَرتْ في نَثْـرِهِ أَلْفاظٌ سَهْلَةُ الفَـرَض، مُسْتَنْبَلَةُ[2] الغَرَض، سَلِسَـةُ القِيادِ، وَارِيَةُ الزِّنادِ، تَقْرُبُ ممَّا جَمَعْتُ، وتمْتَزِجُ بما رَوَّقْتُ وشَعْشَعْتُ، لئلَّا أكُـونَ ممَّن قَصَد إغْفَالاً، واعْتَقَد إهْمالاً، وتعصَّبَ بـاطلاً[3] وتـركَ مكانَ[4] الحُلْي عَـاطِلاً، فقـد علم الله، أنّي أنْحرفُ عن التَّعْليـلِ، وأغْفِرُ الكثيـرَ للقليل[5]، وأتَغـافَـلُ في الْهَناتِ، لذوي الهَيْئاتِ، وآخُذُ الحَسَنَةَ[6] من أثناءِ السَّيئاتِ.

وقد أثبتُّ لَهُ ما شَذَّ مِن أنْـواعِهِ[7]، ولم أبْخَـلْ بتضمينِهِ في هَـذَا التَّصنيف وإيداعه، ورَفَضْتُ كثيراً من كَلامِهِ، فقليلاً ما يتوضَّحُ فَجْرُ إحْسانٍ[8] في ظَلامِهِ، فممَّا انْتَخَبْتُ لَهُ قَوْلَهُ يَمْـدَحُ الأميرَ يَحْيَى بنَ سَيْـر[9]، ويَذْكُـرُ فَرَسـاً أشْهَبَ/ جاءَ سابقاً، وهو ـ إذن ـ لم يكتب له قبل استعمال أمير المسلمين إيَّاه[10]: [١٥٣/و]

(مخلع البسيط)

يـا مَـلِكـاً لَـمْ يَـزَلْ قَـديـمـاً ... بِـكُـلِّ عَـلْيَـاءَ جِـدَّ وامِـقْ
وَسَـابِـقـاً فـي الـنَّـدى أتَـتْـنَـا ... جِـيَـادُهُ فـي الـمـدى سَـوَابِـقْ

---

(١) ب ق: أعقله.
(٢) ر: مستهلة الغرض.
(٣) م: باطلاق.
(٤) مكان: ساقطة في ر.
(٥) ظ: واغفر للكثير القليل.
(٦) ظ: الحسنات.
(٧) بقيَّة النسخ: إبداعه.
(٨) ب ق: فجر إحسانه.
(٩) هو يحيى بن سيرين بن أبي بكر، ولي إشبيلية بعد أبيه عام سبعة وخمسمائة وعزل عنها عام ثمانية وخمسمائة، فكانت ولايته سنة واحدة. (البيان المغرب: ٤/١٠٦).
(١٠) وهو إذن... إيّاه: ساقطة في بقيَّة النسخ؛ وانظر القصيدة: الخريدة: ٢/٤٢٤.

على هـذا المُصاب، عـظيمَ الأَجْرِ وجـزيـلَ الثَّـواب بنعمَتِـه، والسَّـلام الكـريمُ العَميمُ، على الأَميرِ الجليل ورحمةُ الله وبركاتُهُ.

ولَهُ[1] مِن قصيدةٍ يَمْدَحُ بها أَميرَ المسلمين:

(طويل)

خَليليَّ عُوجا بي إلَى[2] جانِبِ الحِمَى ... عَسَى الظَّبْيَةُ اللَّعْسَاءُ تَكْشِفُ مِنْ ضُرِّي

وإن خِفْتُما جَوْراً عن القصْدِ فاكْشِفَا ... نَـوافِـجَ يَفْعَمْنَ التِّنُوفَةَ[3] بـالعِـطْرِ

وَلَمَّـا رَنَتْ[4] تلكَ القبابُ وأَعْـرَضَتْ ... إلى القُبَّـةِ الغَـرَّاءِ بـالْكُثُبِ العُفْـرِ

خَلَعْتُ لَهَـا نَعْلي حَيَـاءً من الحِجَـا ... وطُفْتُ بـأَرْكانِ العُلى ثَـانيَ[5] النَّحْـرِ

أُقَبِّـلُ مِنْهـا تُـرْبَ كِسْـرَى جَـلالَـةً ... وأَسْتَنْـزِلُ الشِّعْرَى[6] بـأَدْمُعيَ الغُـزْرِ

فيَـا مُقْلَةً مـا كـانَ أَضْيَـعَ دَمْعَهَـا ... ويـا لَوْعَـةً يَفْلي بهـا مَـرْجَـلُ الصَّـدْرِ

ومنها:

أَميرٌ لَـهَ في سُـدْفَـةِ الخَـطْبِ مَـطْلَعٌ ... كَمَا انْشَقَّتِ الظَّلْمَاءُ عَنْ وَضَحِ الفَجْرِ

لِأَرْهَبَ[7] فـالضِّـرغـامُ هـاجـرُ نَـوْمِـهِ ... وأَرْغَبُ[8] فالدُّنيـا بِـهِ جَمَّـةُ الـوَفْـرِ

---

(١) القصيدة زيادة في م، وأمير المسلمين هو عليّ بن يوسف بن تاشفين، وانظر: الخريدة: ٢/٤٢٦.

(٢) الخريدة: على.

(٣) التنوفة: المفازة.

(٤) الخريدة: ولمّا دنت تلك الفتاة وأعرضت.

(٥) الخريدة: تالي الفخر، وهو من تصويب المحقق.

(٦) الشعرى: نجمان يقتربان من سهيل، أحدهما تسمى الشعرى العبور، والثانية الشعرى الغميصاء.

(٧) الخريدة: لأذهب بالضرغام.

(٨) الخريدة: وأرعب فالدنيا به حُمَةُ الوكْر.

ومنها يَصِفُ الخَيْلَ:

بـأَشْـقَـرَ وَقَّـادِ الإهاب كـأَنَّـمـا ... تَجسَّمَ مِنْ جَمْرٍ صَريحٍ ومِنْ خَمْرِ
/أَطَـلَّ تَهـادِيـهِ علَى كُـلِّ رَبْـعَـةٍ ... كمـا نَبَّهَتْ نَـارُ المَعَـالِمِ للسَّـفْـرِ [١٥٥/ظ]
خَفِيُّ السُّرى كالطَّيْفِ لَمْ يَسْتَمِ الثَّرى[١] ... بِـوَقْعٍ ولَمْ يَشْعُرْ بِهِ نُـوَّمُ الْكُـدْرِ[٢]
تَـوَدُّ الْـثُـرَيَّـا أَنْ تَـكـونَ عَـلِيـقَـهُ ... ثَنَـا عَلَيْـه[٣] بـالسِّماكَيْن والنِّسْـرِ

ولَهُ في الأميرِ يَحْيَى المذكور[٤]:

(مخلَّع البسيط)

إنَّ الأَمـيـرَ الـجَـلـيـلَ[٥] يَـحْـيَـى ... بـنَ[٦] الأمـيـرِ الأَجَـلِّ سَـيْـرِ
بَـدْرُ تَـمـامٍ بـلا مَـحَـاقٍ ... يَـجِـلُّ[٧] عَـنْ هَـذِهِ الـبُـدورِ
حَـفَّ بِـهِ كُـلُّ ذي سَـنَـاءٍ ... أَبْـهَـى مِـنَ الْـكَـوْكَـبِ الْـمُـنـيـرِ
كـالـنَّـجْـمِ فـي رَجْـمِـهِ عِـدَاهُ ... بِكُـلِّ مـاضـي الـشَّـبـا طَـريـرِ
أَرْعَـى مِـنَ الـنَّـجْـمِ لـلرَّعـايـا ... أَرْوَعُ سـامٍ عَـنِ الـنَّـظـيـرِ
لُـذْتُ بـهِ مِـنْ صُـروفِ دَهْـري ... فـكـانَ مِن جَـوْرِهـا مُـجـيـري[٨]
ومَـدَّ نَـحْـويَ كَـفَّـاً[٩] بِـجُـودٍ ... أَهْـمَـى مِـنَ الْـعـارضِ الـمَـطـيـرِ

---

(١) الخريدة: لم يسم الندى.

(٢) ضرب من القطا غبر الألوان، رقش الظهور.

(٣) الخريدة: وإن كان ألوى، وهو من تصويب المحقّق.

(٤) رع: وله فيه، ب ق س ظ: وله في الأمير يحيى، (وقد سبق التعريف به)، وانظر الخريدة: ٢/٤٢٨.

(٥) بقيّة النسخ: الأجل.

(٦) بقيّة النسخ: نجل.

(٧) ط: تجلّى.

(٨) ر: نصيري.

(٩) ب ق: يدا.

أَلْقَى شُعَاعاً عَلَيَّ لَيْلاً ... فَخِلْتُنِي فِي فَحْمٍ[1] مُنِيرِ
حَمَى - فَأَرْضَى الإِلَهَ - ثَغْراً ... حَقّاً لَهُ لَذَّةُ الثُّغُورِ
قَرَّتْ بِهِ أَعْيُنُ البَرَايَا[2] ... فَأَغْمَلُوا أَكْؤُسَ السُّرُورِ
وَأَصْبَحَ الشِّرْكُ فِي تَبَابٍ[3] ... يَدْعُونَ بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ
يَا أَيُّهَا المَلِكُ اقْبَلَنْهُمْ ... غُرّاً[4] يَعَابِيبَكَ الذُّكُورِ
وَانْهَدْ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ نَهْدٍ ... يَأْبَى مِنَ[5] الأَيْنِ وَالفُتُورِ
[١٥٥/و] /وَشُنَّ[6] غَارَاتِهَا عَلَيْهِمْ ... مِثْلَ العَرَاجِينِ مِنْ ضَمُورِ
أَهِلَّةٌ لا تَزَالُ تَتْرِي ... لِتَخْرِزَ الحَظَّ مِنْ ظُهُورِ
أَصْدَرَكَ اللَّهُ ذَا انْتِقَامٍ ... مِنَ العِدَى شَافِيَ الصُّدُورِ

ولَهُ يمدحه[7] من قصيدةٍ:

(كامل)

بَدْرٌ يُضَاءُ مِنَ الشَّامِ بِعُوذَةٍ ... خَوْفَ المَحَاقِ وَلاتَ حِينَ مَحَاقِ
يَغْشَى الطِّعَانَ بِكُلِّ أَسْمَرَ ذَابِلٍ ... حَمَلُوهُ مِنْ عِزٍّ عَلَى الأَعْنَاقِ

وكَتَبَ[8] عَنْ أمير المسلمين، إلى أَحَد الأمراءِ جَواباً عن كتاب يَعْتَذِرُ عن

---

(١) ر ب ق ط ع: سنا.
(٢) ر ب ق: الرّعايا.
(٣) ب ق: ثبات.
(٤) ب ق: على.
(٥) ر ب ق ط: عن، س: على.
(٦) ر: وشُنَّ غاراتهم عليهم.
(٧) السيتلا زيادة في م.
(٨) الخص زيادة في م، وانظر: الخريدة: ٢/ ٤٣٠.

هزيمة انهزمها، ويصف من فر من العساكر، ومن لزمها، وكان هو في جملة من فر، وأحد من ولى وماكر.

وما بعثناك لتشهد، وإنما بعثناك لتجهد، في طعن بخطي، أو ضرب بمهند؛ فإذا لم تفعل[1]، فلا أقل من أن تتجلد وتصبر، وتحمل من معك على الصبر؛ ولا تكن أول من فر فتعدي بفرارك تثبت جارك، ولو كتمتها من [١٥٦ ظ] شهادة، لما أثم قلبك؛ فلا تؤثر الكتب بما يثير عليك العتب؛ ولتأنف في المستأنف، من إيثار الدنية على المنية، ولتكن لك نفس أبية، إن شاء الله، والسلام.

وله فيه حين ارتحل إلى قصر إشبيلية:

(مجزوء الكامل)

هذا محلك يا أمير[2] فاعمره متصل السرور
قصر تضاءلت القصو ر له ودانت بالقصور
فاسحب به ذيل العلا ء مدى الليالي والدهور
وانعم بإحراز الأما ني في الوفور[3] وفي الظهور

لا تزال به أبداً رئيساً، ولا يزال لك من كل ليث ضبارم نجيساً تداس فيه بين يديك جماجم الأعداء، حتى تكل أنامل العد والإحصاء، ويتردى[4] من قادة ذويك، وإخوتك السادة وأقربيك، بنجوم رجال، كالجبال، أنت بدرها المنير، ورضوى ماثلاً بينها أو ثبير، إن دنا من علائك شيطان فتنة، رجمته بمشرعات

---

(١) الخريدة: تعقل.

(٢) ر: أميري.

(٣) ب: الوفود.

(٤) ط: وتتردى... السيادة. وتردى الرواء: لبسه.

الأَسِنَّةِ، أو زاحمَ[1] رُكْنَ سَنَائِكَ مَنْكِبٌ عظيمٌ، حَطَمْتَهُ بمُقْرطاتِ[2] الأعِنَّة، تُطيعُ إقحامَهَا باللُّجُم، وتَثْنِهَمُ عنْ أهِلَّةِ لُثُم، كأنَّما اقتعدَتْ مِنْ صَهَواتِها بُرُوجا، واعْتَقَدَتْ إلى حَيْثُ المنازلُ المقدّرةُ لأشباهِهَا عُرُوجا، لَتِمُّ هُنالكَ بُدُورا، وتَمْثُلَ قَدَراً مَقْدوراً، وتُحْدِقَ نَحْوَكَ[3] في الهَيْجاءِ إحْداقَ مُقْلَةٍ[4] بإنْسانِها، وتَجْري في اللِّقاءِ على سَنَنِ أوَّليتِها واسْتِنَانِها:

(مجزوء الكامل)

وبِمِثْلِ قَوْمِكَ جَالَتِ الـ ـخَيْلُ الْيَعابيبُ الذُّكُورْ
وحَكَتْ سَماوَتُنَا السَّمَا ءَ بِهِمْ نُجوماً أوْ بُدُورْ
وَبِمِثْلِ رَأْيِكَ آذَنَتْ[5] دُهْمُ الحوادثِ بالسُّفُورْ
ماضٍ إذا أعْمَلْتَهُ أغْنَاكَ عَنْ عَضْبٍ ذكيرْ
[١٥٦/د] /وأرَاكَ مِنْ صُوَرٍ[6] العوا قِبِ كُلَّ مُخْتَجِبٍ سَتِيرْ

تُثَلُّ الصَّوارمُ ولا يُثَلُّ، وتُحَلُّ العَزَائِمُ ولا يُحَلُّ، لو ضَرَبَ بالْعُود لعادَ أبْيَضَ قاصلاً، أو عَالجَ شَعْرَ المَوْلودِ، لأصْبَحَ أسْوَدُهُ البهيمُ ناصلاً:

(مجزوء الكامل)

فَلَيُهْنِنَا أنَّا خُصِصْـ ـنَا مِنْكَ[7] بالعِلْقِ الخَطيرْ
يُغْنِي[8] على مِلْءِ العيـ ـنِ إذا بَدا مِلْءَ الصُّدورْ

---

(١) ر س: أو رجم، ب ع: وإن زحم.
(٢) ر س: بمقرظات.
(٣) بقيّة النسخ: بك.
(٤) ر ب ق س ع: مقلة العين.
(٥) ر: إذ أنت.
(٦) ط: هون.
(٧) ر ب ق س ع: منه.
(٨) ر: يغني، ب: يربو.

لَوْ جَاوَرَ البَحْرَ الخِضَـ ـمَّ أَلَمَّ بِالنَّزْرِ اليَسِيرْ
أَوْ دِيمَةً وَطْفَاءَ لَمْ تُنْسَبْ إِلى مَطَرٍ غَزِيرْ
إِنْ لَمْ يَضُعْ[1] شُكْرِي لَكُمْ أَذْكَى مِنَ الزَّهْرِ النَّضِيرْ[2]
لا نِلْتُ[3] مِنْ زَمَنِي سُرو رًا أَرْتَجِيهِ وَلا حُبُورْ
وَعَلَيْهِ مِنِّي مَا حَيِيـ ـتُ تَحِيَّةُ الرَّوْضِ النَّضِيرْ

وكتب إليه في غَزَاةٍ غَزاها[4]:

(كامل)

«سِرْحَلَّ[5] حَيْثُ تَحُلُّهُ النَّوَّارُ وَأَرادَ فِيكَ مُرادَكَ المِقْدارُ[6]»
«وإذا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلامَةٌ وَغَمامَةٌ لا دِيمَةٌ مِدْرارُ»
تَنْفِي الهَجِيرَ بِظِلِّها وَتُنِيمُ بِالرْ رَشِّ القَتامَ وَكَيْفَ شِئْتَ تُدارُ
وَقَضَى الإِلهُ بِأَنْ تَعُودَ مُظَفَّرًا وَقَضَتْ بِسَيْفِكَ نَحْبَها الكُفَّارُ

هذا ما تَمَنَّاه الوَلِيُّ، لا ما تَمَنَّاهُ الجُعْفِي[7]، فإنَّهُ قال: حَيْثُ ارتَحَلْتَ وديمة، وَمَا تَكَادُ تَنْفُذُ مَعَها عَزِيمَةٌ، وإذا سَفَحَتْ على ذي سَفَرٍ/، فما أَحْراها [١٥٧/ظ] بأَنْ تَعُوقَ عن الظَّفَر، ونَعَتَها بمدرار؛ فكانَ ذلك أَبْلَغَ في الإِضْرار:

(١) ب ق: يقع.
(٢) ر ب ق: المطير.
(٣) البيت ساقط في ر.
(٤) انظر: الخريدة: ٢/٤٢٩، والمغرب: ١/٢٤٢.
(٥) البيت والذي يليه للمتنبي. (الديوان: ٢/٨٦)، وصورتهما فيه:
سر حيث شئت يحلُّهُ النوار وأراد فيك مُرادك المقدار
وإذا ارتحلتَ فشيَّعتك سلامةٌ حيث اتجهتَ وديمة مدرار
(٦) ط: الأقدار.
(٧) ع: الكندي. وهو أحمد بن الحسين الجعفي الكندي المتوفى سنة ٣٥٤، نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة، وهو أبو حيّ من أحياء العرب.

(وافر)

فَبِرْذا رايَةٍ خَفَقَتْ بِنَصْرٍ وَعُدْ في جَحْفَلٍ بَهِجِ الجَمالِ
إلى حمصٍ فأنْتَ لها[1] حُلِيٌّ تُغايِرُ فيه ربَّاتِ الحِجَالِ

ولَهُ يُحرِّضُ[2] أميرَ المسلمين على إغاثة سَرَقُسْطَةَ، أعادها الله:

(كامل)

مَا إنْ لهَا ولِكَشْفِهَا مِنْ غُمَّةٍ جَثَمَتْ على أنْفَاسِ كُلِّ مُوَحِّدِ
أحَدُ سِوَاكَ فحُلْهَا بعزيمةٍ كالسَّيْف أو كالْبارقِ الْمُتَوَقِّد
فأنْهَدْ لها لَهْفَانَ مُضْطرمَ الحَشَى تُبْرِدْهُ مِنْ نَارٍ بأعْذَبِ مَوْرِدِ
وَصِلِ السُّرى وانْفِ الكرى واعْصِ الهَوَى مِن مُرْشِدٍ لَكَ في الحقيقةِ مُرْصِدِ
سافِرْ بِصُبْحٍ ولا تُصِخْ سَمْعاً إلى فَتْوَى الطَّبيبِ ولا انْتِصَاحِ العُوَّدِ
وَكَمَا اجْتَبَاكَ اللَّهُ حائطَ أُمَّةٍ فاحْتَطْ لَها فِعْلَ المُوَفَّق وانْجُدِ
وبِمَنْ نَماكَ إلى المعَالي فاهْتَدِ وبِمَنْ حَماهَا بالعَوالي فاقْتَدِ

---

(١) ب ق: بها، وكذا الخريدة.
(٢) هذه القطعة زيادة في م.

الوزيرُ[1] الكاتبُ[2] أبو بكرِ بنُ عَبْدِالعزيزِ رحمه الله[3]

ماضي اليَرَاعةِ، مَشْهورُ البَراعةِ، مُتحقّقٌ بالأدب، يَنْسُلُ إليه مِنْ كُلِّ حَدَبٍ، وله سَلَفٌ يَقْصُرُ عن مُداناته الأَقْدارُ، وشَرَفٌ تَمَكَّنَ فيه القُطْبُ المُدَار[4]، مع سالفةٍ يُتَّفق عليها ولا يُختلف، ومَنْزِلَةٍ يُتَطلَّعُ إليها ويُسْتَشْرَف، وهِمَّةٍ طالت السِّماكَ[5] وطَاوَلَتْهُ، وتَنَاوَلَتْ كُلَّ ما حَاوَلَتْهُ، وبنو عَبْدالعزيز، أُولو[6] سَبْقٍ وتَبْريزٍ، ما مِنْهُمْ إلاَّ عالِمٌ مناظرٌ، ولا فيهم إلاَّ مَنْ هو للدَّهْر ناظر. [١٥٧/و]

وقد أثبتُّ لَهُ ما يَبْهَرُ النَّفْسَ ويروقُهَا، ويَحْسُدُه طُلوعُ الشَّمْسِ وشروقُهَا، فمن ذلك قَوْلُهُ[7]:

---

(١) هو أبو بكر محمّد بن عبدالملك بن عبدالعزيز، المعروف بابن المُرْخَى (بفتح الخاء)، وهو من أهل قرطبة، وكان عالماً بالكتابة والأدب واللغة وأنساب العرب، وكان وزيراً جليلاً بوزارة السُّلاطين بقرطبة. ترجم له في الخريدة ٢/ ٤٣١، وذكره صاحب المطرب: ٢٠٨، وله ترجمة في معجم الصَّدفي رقم ١٣٧/١٢٠، وبغية الملتمس رقم ١٠٣/٢٠١، وذكره ابن بسّام في فاتحة الذخيرة في القسم الثاني منها، ولم نجده، غير أنه أورد له مختارات شعرية ونثرية في «القسم الثاني المخطوط: ٢١٢ ـ ٢١٨».

(٢) ط: الوزير الأجل الكاتب، ب ق: الوزير الأجل أبو بكر....

(٣) ب ق: رحمه الله تعالى، س: أعزّه الله، وهذا الترحّم ليس في ع.

(٤) وله سلف... القطب المدار: ساقطة في م، وفي ر ط ع: يبتدىء السقط من: وله سلف... للدهر ناظر، وفي س: يبتدىء من: مع سالفة.... للدهر ناظر.

(٥) ب ق: كالسِّماك.

(٦) عبدالعزيز أولو: ساقطة في ب ق.

(٧) انظر: الخريدة: ٢/ ٤٣١، والمطرب: ٢٠٨.

(خفيف)

قَـدْ هَـزَزْنَـاكَ في المكَـارم غُصْنـاً واسْتَلَمْنـاكَ[1] في الـنَّـوائب رُكْنَـا
وَوَجَـدْنـا الـزَّمـانَ قَـدْ لانَ عِـطْفـاً وتَـأَتَّـى فِـعْـلاً وأَشْـرَقَ حُـسْنَـا
فـإذا مَـا سَـأَلْـتَـهُ كـانَ سَمْحَـاً وإذا مَـا هَـزَزْتَـهُ كـانَ لَـدْنـا
مُـؤْثِـراً أَحْـسَـنَ الـخـلائـق لا يَـعْـ ـرِفُ ضَـنَّـاً ولا يُـكَـذِّبُ ظَـنَّـا
أَنْـتَ[2] مَـاءُ الـسَّمـاءِ أَخْـصَبَ وا ديـهِ ورقَّتْ رِيـاضُـهُ فـانْتَـجعَـنـا
نَـزَعَـتْ بـي إلـى وِدَادِكَ نَـفْسٌ قَلَّ ما اسْتصْحَبَتْ سوى الفَضْلِ خِدْنا[3]

ولَهُ يُودِّعُ الوزيرَ أبا محمَّدِ بنَ عَبْدُونَ[4]:

(بسيط)

في ذِمَّةِ المَجْدِ والعَلْيـاءِ مُـرْتَحِـلٌ فـارَقْتُ صَبْـريَ إذ فَـارَقْتُ مَـوْضِعَـهُ
ضَـاءَتْ[5] بـهِ بُـرْهَـةً أَرْجَـاءُ قُـرْطُبَـةٍ ثُمَّ اسْتَـقَـلَّ فَسَـدَّ الـبَيْـنُ مَـطْلَعَـهُ

وكتب إلى الوزير أبي محمَّدِ بنِ القاسم[6]:

كَيْفَ رَأَى مَـوْلايَ[7] في عَبْـدٍ لَـهُ، هـو أنـا مُـواتيـاً[8]، يَـرى الـوَفَـاءَ دِيْنـاً وَمِـلَّةً، ولا يَـعْـتَـقِـدُ فـي حِـفْـظِ الإخـاءِ مَـلَّةً[9]، قَـصَـرَتْـهُ الأقـدارُ

---

(١) الخريدة: فاسْتَلَمْناك.
(٢) البيت ساقط في ر: وفي س: أنت ماءُ الزَّمان.
(٣) ر: لدنا.
(٤) بـعـدهـا فـي س: أعـزّه الله. وانـظر: الـخـريـدة: ٢/٤٣٢.
(٥) ط: هاضت.
(٦) قد سبق التعريف به. وانظر النص: الخريدة: ٢/٤٣٢.
(٧) ع: فلان.
(٨) مواتياً: ساقطة في بقيَّة النسخ.
(٩) ر: ولايعتدّ... مملّة، وفي حاشية م: مَلَّة: فَعْلة من المَلَل، أنشد يعقوب:
إنَّـك والله لـذو مَـلَّة يَـطْرُقُـكَ الأدْنـى عـن الأبـعـد

عن رايــه، وأَخَّرَتْــهُ الأَيَّـامُ عَنْ سَعْيــهِ، فـادَّرَعَ العُقُــوقَ، وَلَبِسَتِ الحُلَّة[1]، وضَيَّعَ الحقُوقَ، ولَمْ تَضِـعِ الخَلَّة، أَيَـرُدُّهُ بعَيْبٍ مـا جَنَـاهُ الـدَّهْـرُ؟ أَمْ يسمـح؟ فشِيمَتُهُ الصَّبْرُ، بل[2] يَعْفُو/ وَيْصفَـحُ، ولو كـان الغَضَبُ يَفيضُ على صَدْرِهِ[3] [١٥٨/ظ] ويَـطْفَحُ، فَلَهُ ـ أَعَـزَّهُ اللَّهُ ـ العَقْلُ الأَرْجَـحُ، والخُلُقُ الأَسْجَحُ[4]، والإِنَـابَـةُ[5] التي يَزِلُّ الذَّنْبُ عَنْ صَفَاتِها[6]، ولا يَتَعَلَّقُ العَيْبُ بصِفَـاتِها، وإنَّ كِتَـابَهُ العـزيزَ وَرَدَني مُشيـراً إلى جُمْلَةِ تَفْصيلِهَا في يَـدِ العَوَاقِب، والـزَّمـانِ المتعـاقب، ولَقَـدْ اتَّفَقَتْ لي في أَمْرِهِ مُشَافهـاتٌ انْجَلَت عن تَخْيِيرٍ في الأَقْـطار؛ وانتجاعٍ للخِصْبِ في مـواقع القـطار، حـاشى مـا اسْتَثْنَى مِنَ الجَمْـعِ، وأَفْـرَدَ بـالحَـظْرِ والمنـع؛ «وفُلانٌ» ـ أَيَّدَهُ الله ـ كما يَدْريه يُرَدِّدُ محاسِنَهُ وَيَرْويها، ويَنْشُرُ فضائلَهُ ويَـطْويها[7]، إلاَّ أَنَّ الأُمورَ انْقَلَبَتْ عَلَيْه[8] في هذه البلاد فَلاَ تُعْرَفُ لَهُ حَالَـةٌ، إلاَّ وَقَد داخَلَتْهَـا استحـالَةٌ، ورُبَّمـا عَادَ ذلـك إلَى نُقْصَانٍ في الـوَفَاءِ، وإنْ كـانَ باطِنُـهُ على غايَـةِ الاستيفاءِ، وللَّهِ تعالى نَظَرٌ، وعِنْدَهُ خَيْرٌ مُنْتَظَرٌ، ويَشْهَـدُ اللَّهُ أَنِّي أُفْرِدُهُ بـالجلال، وأَتَّخِذُ نَفْسيَ من أَشْيَاعهِ وأَتْبَاعِهِ في كُلِّ الأَحْوال:

(منقارب)

فَـلاَ تُـلْزِمَـنِّـي ذُنُـوبَ الـزَّمـانِ إلـيَّ أَسَـاءَ وإيَّـايَ ضَـارا

---

(١) الحلّة: ساقطة في ر.
(٢) ر ب: بإن، س: بل يسمح.
(٣) ط: على أرجائه.
(٤) ب ق: الأسمح.
(٥) ب ق س ط ع: الأناة.
(٦) ب ق: صفحاتها.
(٧) ط: ولا يطويها.
(٨) عليه: ساقطة في ر.

فَسَح الله مُدَّتَهُ، وَجَازَى مَوَدَّتَهُ، وأَعْلَى رُتْبَتَهُ، وأَحْسَنَ في كُلِّ حالٍ وَتَرْحالٍ صُحْبَتَهُ، إنْ شاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[1].

وكَتَبَ إليه مُسَلِّياً عن نَكْبَتِهِ[2]؛ الوزيرُ الفقيهُ أدامَ اللَّهُ عزَّهُ، وكَفَاهُ ما عَزَّهُ[3]، أَعْلَمُ بأَحْكام الزَّمان، مِنْ أَنْ يَرْفَعَ إليها طَرْفاً، او يُنْكِرَ لها صَرْفاً، [١٥٨/و] او يَطْلُبَ[4] في / مشارعها مَشْرباً زُلالاً او صَرْفاً، فَشَهْدُها مَشُوبٌ بعَلْقم، وَرَوْضُها مَكْمَنٌ لكُلِّ صِلٍّ أَرْقَمَ، وما فَجَأَتْهُ ـ أعزَّهُ اللَّهُ ـ الحوادثُ بنكبَةٍ، ولا حَطَّتْهُ النَّوائبُ عَنْ رُتْبَةٍ، ولا كانتِ الأَيَّامُ قَبْلُ رَفَعَتْهُ بوزارةٍ ولا كتابةٍ، فَهْو الْمَرْءُ يَرْفَعُهُ دينُهُ[5] ولُبُّه، وينفَعُهُ لِسَانُهُ وقَلْبُهُ، ويَشْفَعُ لَهُ عِلْمُهُ وحَسَبُهُ، وتَسْموا بهِ هِمَّتُهُ وأَدَبُهُ، ويَعْنو بَيْنَ يَدَيْهِ شانئه وحاسِدُه، وينبتُ في أَرْضِ الْكَرَمِ حين يُريدُ انْ يجتَّهُ حاصِدُهُ، ويُقِرُّ[6] لَهُ بالْفَضْلِ مَنْ لاَ يَوَدُّهُ، ويَنْصُرُهُ اللَّهُ بإخلاصه حِينَ لا يَنْصُرُه سُوَاعُهُ[7] ولا وُدُّهُ:

---

(١) ب ق س ط: لا ربّ سواه؛ والعبارة: إن شاء الله عز وجل: لم ترد في ر ع.

(٢) وذلك بعد استيلاء المرابطين على ولايته البونت.

(٣) ما عزُّه: غلبه.

(٤) ب ق: ويطلب.

(٥) دينه ولبّه: ساقطة في ع.

(٦) بقيّة النسخ: ويفديه بالفضل.

(٧) ر: صواعه، وفي الخريدة: سواعه وودّه. وسواع وودّ، صنمان للعرب في الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ سورة نوح، ٢٣.

(الطويل)

وإنَّ أميـرَ الـمسـلميـنَ وَعَـتْبَـهُ لكـالـدَّهْـرِ لا عَـارٌ بمَـا فَعَـل الـدَّهْـرُ

ومَا هُوَ ادامَ اللَّهُ عِزَّهُ - إلَّا نَصْلٌ أُغْمِدَ لِيُجَرَّد، وسَهْمٌ سُدَّ طريقُهُ لِيُسَدَّد، وَجَوادٌ ارتُبِطَ لِيُخَلَّى عِنَانُهُ، وقَطْرٌ نَاى بِهِ سَحابُهُ[1]، وَسَيُسْلِمهُ[2] عَنَانُهُ، وأنَّ المَهارِقَ لَتَلْبَسُ بَعْدَهُ ثِيابَ حِداد[3]، وانَّ ألْسِنَةَ الأقْلام لَتُخَاصِمُ عَنْه بألْسِنَةٍ حِداد، وسينجلي هَذَا الْقَتَامُ عن سابقٍ لا يُدْرَكُ مَهَلُهُ، ويَعْتَمِدُهُ الْمَلِكُ الهُمَامُ بإكرامٍ لا يُكَدِّرُ نَهَلُهُ[4]، ويُؤْنِسُ رَبْعَ الْمُلْكِ الذي أوْحَشَ ويُؤهِلُه، ويُرْقيه - أيَّده الله - إلى أعْلى الْمنازِلِ ويؤَهِّلُهُ، وَيُنْشِدُ فيهِ، وفي طالبيهِ:

وَسَعَى إليَّ بهَجْرِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ[5] جَعَلَ الإلَهُ خدودَهنَّ نِعالا[6]

وانا اعلمُ أنَّهُ - أعزَّه اللَّهُ - سيتَبَرَّمُ[7] بهذا الكَلَامِ، ويُوليني جانِبَ الملام، / وَيعُدُّ قَوْلي مع السَّفاهاتِ والأحلام، فقد ذَهَبَ في رَفْضِ الدُّنيا [١٥٩/ظ] مَذهباً، وجَلَى التَّوْفيقُ عَنْ عَيْنَيْهِ غَيْهباً، وتَرَكَنَا [8] عبيدَ الشَّهوَاتِ نُمْسِكُ بخُطامِهَا،

---

(١) ر ب ق ط: تانى سحابه.

(٢) ر ب ق: وسَيُسيلُه، ط: وسيرسله.

(٣) ر: حدادها. وحداد الأولى: ثياب المأتم، والثانية: جمع حادّ، وهو اللسان السّليط.

(٤) ب ق س ط: لا يكدّر منهله.

(٥) ط: معشر، والخريدة: بعيب عزّة.

(٦) س ط: نعالها. والبيت لكثيّر عزّة (الديوان: ٣٩٤، وفيه: جعل المليك.

(٧) ب ق س: سيبرم، ط: يستبرم.

(٨) الخريدة: وتركتنا.

ونَرْتَعُ في حُطامِهَا، وأَسْأَلُ اللَّهَ عَمَلاً صَالِحاً، وقَلْباً مُصَالِحاً[1]، ويَقيناً نَافِعاً، وإخلاصاً شَافِعاً، بمنّه، والسَّلام[2].

وكَتَبَ إلى ذي الوِزارتين أبي الحسن بنِ مُهَلّب[3]:

(وافر)

أَسِيرُ وَقَدْ خَتَمْتُ على فؤادي ... بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا
فلَوْ أَنِّي أَسْتَطَعْتُ حفظتُ[4] طَرْفي ... فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا

عمادي الأعلى ـ وَصَل اللَّهُ اعْتلاءَه ـ مِمَّنْ قَدَّسَ الله شَرِيعَتَهُ، وأَنْفَسَ طبيعتَهُ، وصَيَّر كَرَمَ الرّأي في مِضْمار التَّجارِبِ طَليعَتَهُ، وجعل الحقَّ يَنْطِقُ على لِسانِهِ، والفضلَ يجري على إنْسانِهِ[5]، فمن حَصَلَ منه حَصَلَ منْهُ أَدْنى مَحَبَّةٍ، وأُعْطِيَ، مِنْ إخائِهِ ولَوْ مِثْقالَ حَبَّةٍ، نالَ ما اشْتَهَاهُ، وبَلَغَ مِنَ الأَمِلِ مُنْتَهاهُ، وعُدَّ ممَّن رَجَحَتْ بِهِ نُهاهُ، كما أَنَّ مَنْ بَهْرَجَ في نَقْده، وأُخْرِجَ مِنْ عِقْدِهِ، وأُسْقِطَ مِنْ ديوانِهِ[6]، وأُهْبِطَ عَنْ إيوانِهِ، تَبَرَّأَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ الأدبِ، وَهَلِكَ مَغْنمُهُ ورُنْدُهُ[7]، فلم يَقُمْ على نَدْب؛ وما زِلْتُ مُذْ أَحْرَزْتُ وُدَّهُ، وَعَلِمْتُ مكاني عنْدَهُ، أُحَسِّنُ الظَنَّ بفهمي، وأُلقي بَيْنَ أَهْلِ الْحُظْوَةِ سَهْمي، وأَعْلَمُ أَنّي في وِلاَدَةِ الإخاءِ مُنْجِبٌ، [١٥٩/و] ولِفَضْلِ الْمَسْعَى مُوجِبٌ، فإنْ والَيْتُ المخاطبةَ، / فلِلْإدلال، وإنْ هِبْتُ

---

(١) وقلباً مصالحاً: ساقطة في ر س ط ع.

(٢) ب ق: إن شاء الله. وهذا الختام لم يرد في ر س ط ع. وإلى هنا تنتهي الترجمة في بقيّة النسخ، وما يلي زيادة في م.

(٣) لم نعثر له على ترجمة، وانظر النص: الخريدة: ٢/٤٣٦، مع اختلاف يسير.

(٤) الخريدة: خفضت.

(٥) الخريدة: والفصل يجري على أسنانه.

(٦) الخريدة: كما عُدَّ من بَهْرَج في نَقْده، وأُخرج من عقده، ما سَقَطَ من ديوانه.

(٧) الخريدة: وهلك بغمّه وحرده.

المكاتبة فلِلإجلال[1]، وإني لأنتظر مِنْ رَأْيه في الحالَيْن ما يُسدِّدُ سَمْتِي، ويُحسِّنُ كَلامي أو صَمْتي، وما أَخْلو مع تقديم المشاورةِ مِنْ هِدايةٍ يُطْلِعُ نَجْمَهَا أُفُقُهُ، ودرايةٍ يُنْتِج[2] عِلْمَها وَفْقُهُ، وهو أدْرى بالجميل يومىءُ[3] إليه، ويَحْمِلُ عليه. إنْ شاءَ الله. وقد كُنْتُ أسْلَفْتُ من الرَّغْبَةِ في أَمْرِ الوزير (أبي فلانٍ) ـ أعزَّه اللّهُ ـ ما هو باهْتِبالِهِ مَنُوطٌ، وبين يَدَي إجْمالِهِ مَبْسوطٌ، ومن شُروطِ رغبتي على إنْعامِهِ، وشفاعتي على إكْرامِهِ، أَنْ تَرُدَّ عَنْهُ ظُلْمَ ذلك الخارص الذي جمع الإضْرارَ مَعَ الإصْرار، واللَّجاجَ إلى الاعْوِجاجِ، ومتَى تَمَّ عَلَيْهِ اعْتداؤه زَادَت حالُهُ اخْتِلالاً، وأَمْرُهُ اعْتِلالاً، وعمادي الْمُعَظَّمُ يَجْعَلُ دُونَهُ مِنْ حِمَايَتِهِ سُدّاً لا يَسْتَطيعُ الظَّالمُ أَنْ يَظْهَرَهُ، ويُسْكِنُهُ من عنايتِهِ ظِلاًّ لا تَبْلُغُ تِلْكَ السَّمائمُ أَنْ تَصْهَرَهُ، ويُزينُهُ باستخدامه[4] وأَقْرَأُ عليه سلاماً يُتَرجِمُ عن وُدِّي، وَيَنُوبُ عَنّي فيما يُؤَدّي، والسَّلامُ الجزيل الموصولُ عَلَيْه، ورحمةُ الله وَبَركاتُهُ[5].

---

(١) الخريدة: فللإ خلال.
(٢) الخريدة: يفتح.
(٣) الخريدة: يدني.
(٤) ويزينه باستخدامه: ساقطة في الخريدة.
(٥) والسلام الجزيل... وبركاته: ساقطة في الخريدة.

الوزيرُ أبو القاسم بنُ أبي بَكْرِ بنِ عَبدِالعزيز[1]

[١٦٠/ظ] فَتَىً زَكا فَرْعاً وأَصْلاً، وأَحْكَمَ البَلاغَةَ مَعْنَىً وفَضْلاً، وَجَرَّد مِنْ[2]/ ذِهْنِهِ عَلَى الأَغْراض نَصْلاً بدهائه وَفَراها، واقْتَدحَ أَزْنَدَ المَعالي حَتَّى أَوْرَاهَا، مَعَ صَوْنٍ يَرْتَديهِ، ولا يَكادُ يُبْديه، وَشَبيبَةٍ أَلْحَقَتْهُ بالكُهول؛ وأَقْفَرَت مِنْهُ رَبْعَهَا المأْهول؛ وَلَهُ[3] سَلَفٌ يَقْصُرُ عَنْ مُداناتِهِ الأَقْدارِ، وشَرَفٌ تمكَّنَ مِنْهُ القُطْبُ المُدار.

وَلَهُ شِعْرٌ بَديعُ السَّرْدِ، مُفَوَّفُ البُرْد، وقَدْ أَثْبَتُّ لَهُ مِنْهُ مَا أَلْفَيْتُ، وفي الدَّلالةِ عَلَيْهِ اكْتَفَيْتُ. فمن ذلك قَوْلُهُ[4]:

(طويل)

تَرَكْتُ التَّصابي للصَّوابِ وأَهْلِهِ ... وبيضُ الطُّلَى للبيضِ، والسُّمْرُ للسُّمْرِ
مِدَادي مُدَامي؛ والكؤوسُ مَحَابري ... ونَدْمايَ أَقْلامي ومَنْقَلَتَيْ سَفْري[5]
وَمُسْمِعَتي وَرْقَاءُ ضَنَّتْ بِحُسْنِهَا ... فَأَسْدَلَتِ الأَسْتَارَ مِنْ وَرَقٍ خُضْرِ

---

(١) هذه الترجمة زيادة في م، وقد ترجم له في الخريدة: ٢/٤٣٩، ولم يزد عمّا في القلائد، وذكره صاحب نفح الطيب: ٤/٦٥، وأورد له بيتين زيادة عمّا هنا.

(٢) من هنا تنتظم عملية الترقيم في «م».

(٣) تقدمت العبارة في تقريظ أبي بكر بن عبدالعزيز.

(٤) الخريدة: ٢/٤٣٩.

(٥) الخريدة: شعري.

وَلَهُ أَيْضاً[1]:

(بسيط)

لا تُنْكِروا أَنَّنا في رِحْلَةٍ أَبَداً ... نَخُبُّ في نَفْنَفٍ[2] طَوْراً وَفي هَدَفِ

فَدَهْرُنا سُدْفَةٌ[3]، ونحن أَنْجُمُهَا ... ولَيْسَ يُنْكَرُ مَجْرَى النَّجْم في السُّدَفِ

لَوْ أَسْفَرَ الدَّهْرُ لي أَقْصَرْتُ عَنْ[4] سَفَرٍ ... ومِلْتُ عَنْ كَلَفي بهذه الكُلَف

وَلَهُ مِن قصيدةٍ[5]:

(طويل)

رُوَيْدكَ يا بَدْرَ التَّمامِ فإِنَّني ... أرى العِيسَ حَسْرى والكواكبَ طُلَّعا[6]

كأَنَّ أديمَ الصُّبْحِ قَدْ قُدَّ أَنْجُمَا ... وغُودِرَ دِرْعُ اللَّيْلِ مِنْهُ مُرَقَّعا

فَيا لَيْلُ هل أَضْمَرْتَ عَنِّي رِحْلَةً ... وَيَا صُبْحُ هَلْ أَسْرَرْتَ نَحْوِي مَرْجِعَا

/يَحُضُّ عَلَى زَوْرِ الشَّبابِ سَمِيُّهُ ... لأَصْبَحَ شَيْخاً بالشَّبابِ مُبَرْقَعَا [١٦٠/و]

وإِنِّي وإِنْ كَانَ الجمالُ مُحَبَّباً ... وأَشْهَى إِلى قَلْبي وأَبْرَدَ مَوْقِعَا

لآنَفُ مِنْ حُسْنٍ بِشَعْرِيَ مُفْتَرىً ... وآنَفُ مِنْ حُسْنٍ لِشَعْرِيَ مُدَّعَا

---

(١) الخريدة: ٢/٤٤٠.

(٢) النفنف: الهواء وكل مهوى بين جبلين، والهدف: كثيب من الرمل.

(٣) السدفة: سواد الليل أو بياض الصبح، من الأضداد.

(٤) الخريدة: في سفري.

(٥) الخريدة: ٢/٤٤١.

(٦) الخريدة: ظلّعا.

الوزيرُ[1] أبو جَعْفَر بنُ أَحْمَدَ[2]

كاتِبٌ مُجيدٌ، وفاضِلٌ مَجيدٌ، انْخَفَضَ[3] عن الارْتِفاع، ونَفَضَ يَدَيْهِ بالانتفاع[4]، فلم يَلُحْ في سَمَاءٍ، ولمْ يَرُحْ من وُرودِ[5] ماءٍ، وكانت لَهُ نَفْسٌ عَلِيَّةٌ، تُزْهَى[6] بها الجوانح والضُّلوع، وسجِيَّةٌ سنِيَّة، يَعْبَقُ مِنْها الفَضْلُ ويَضوع؛ وما زَالَ يَغَصُّ بالأَيْام وَحَالِها، ويتنغَّصُ بباطِلِها ومُحالِهَا، حَتَّى اظلَّهُ[7] الحِمامُ وغَشَّاهُ، وأَجنَّهُ التُّرابُ في حَشَاهُ.

وقَدْ أثبتُّ مِنْ كلامِهِ، ما تَنْشَرِحُ لَهُ النُّفوسُ، ويَلَذُّ بسماعِهِ الجليسُ[8].

حَلَلْتُ[9] حَامَّةَ بَجَّانَةَ لَيْلًا، وجُفُونُها بالظَّلام مُكْتَحِلَةٌ، ومُتونُهَا مِنَ الأُنْسِ

---

(١) ب ق ط: الوزير الكاتب. وهو أبو جعفر احمد بن احمد، قال عنه صاحب المغرب نقلاً عن المسهب، بانه من اعيان كتّاب بلنسية، له أخلاق تابى له من كلّ خدمة. واورد له ما في كتاب القلائد. (٢/٣٠٧ - ٣٠٨، وترجم له صاحب المسالك ج ٨/ورقة ٢٤٢).

(٢) بعدها في ر ب ق ط: رحمه الله تعالى.

(٣) ر: تخفَّض.

(٤) ب ق: يده من الانتفاع.

(٥) ر ب ق ط: ولم يرد مورد ماء، س: ولم يرد من ورود ماء.

(٦) ب ق: تزهو.

(٧) ب ق ط: اضله.

(٨) ب ق: بسماعها الجلوس.

(٩) ر ب ق س: دخلت حمّة بجانة. وبجّانة: مدينة بالأندلس، من اعمال كورة البيرة، وبينها وبين غرناطة مائة ميل. (معجم البلدان: ١/٣٣٩).

مُمْحِلَةٌ، فَتَشَوَّفتُ مُسْتَوْحِشاً، ووقَفْتُ مُنْكَمِشاً، لا أَجِدُ أَيْنَ أُريحُ، ولا أرى مَعَ مَنْ أَسْتريحُ، فَبَعْدَ وَنْيَةٍ ما، لقِيَنِي مَنْ أَنْزَلني بها في مُنْيَةٍ، نائيةٍ عن الدِّيار، خالِيَةٍ من العُمَّارِ، فما حَطَطْتُ حَتَّى وافاني رَسُولُهُ يتحمَّلُ رَغْبَتَهُ في الانتقال إليه، والنُّزولِ عَلَيْهِ، فاعْتَذَرْتُ لَهُ، وشَكَرْتُ تَطَوُّلَهُ وَتَفضُّلَهُ، فما كانَ غَيْرَ بَعيدٍ حَتَّى وافاني مُسَلِّياً، ولي مُؤنساً، وأَعادَ لي المكانَ مَكْنِساً/، وبِتْنَا بِلَيْلَةٍ لم أجدْ للدَّهْر [١٦١/ظ] غَيْرها، ولَمْ أَحْمِدْ إلَّا طَيْرَها، ولمَّا كان الغَلَسُ تركني مُزْمِعًا؛ وانْفَصَل عَنِّي مُوَدِّعا؛ فلمَّا حَلَّ بمَوْضِعِهِ، كتَبَ إليَّ:

اسْتَكْمَلَ اللَّهُ لِمَثْنَى الوِزارة سَعَادةً، واسْتَوْصَلَهُ من سُمُوِّهَا عَادَةً(١)، وأَسْأَلَهُ المسرَّة با نوِّها مُعَادةً(٢)، كَيْفَ لا أُراقِبُ مَراقيَ النُّجوم، وأُطالبُ مآقيَ العَيْن بالسُّجوم، وقد أَنْذَرَ بالفراقِ مُنْذِرٌ، وحَذَّرَ مِنْ لحَاقِ البَيْنِ مُحَذِّرٌ، ويا لَيْتَ لَيْلَنا غَيْرُ مَحْجوب، وشَمْسَنَا لا تَطْلُعُ بَعْدَ(٣) وُجُوب، فَلَا نَرُوعُ بانْصداع، ولا نُفْجَعُ بوَداع، حَسْبُنا اللَّهُ، كَذَا بُنيتْ(٤) هَذه الدَّار، وأَبَى سُبْحانه أن تَصِلَ شَمْلَ(٥) أُنْسِنَا الأَقْدار، ولعلَّها تَجودُ بَعْد لأْيٍ، وتَعودُ إلى أَحْسَنِ رَأْيٍ، فَتَنْظُرَ رَحيلًا، وتَعْمُرَ رَبْعاً مَحيلًا.

وكُنْتُ كثيراً ما أُخاطِبُهُ على البُعْد، وَأُواصِلُهُ بتجديد الْعَهْد، فوافَى بَلَنْسِيَةَ(٦) فلَمْ يُمْكِنْ لِقاؤهُ، ولم يتمكّن بقاؤه، فارْتَحَلَ وكتَبَ إليَّ:

---

(١) ر ط ع: عيادة.
(٢) وأساله... معادة: ساقطة في ع.
(٣) ر: إلَّا بعد وجوب.
(٤) ط: بقيت.
(٥) ب ق ط: شمس أُنسنا، ر: شمل شمسنا.
(٦) بلنسية: في شرق الأندلس، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس. =

يا سيّدي؛ المخوَّلُ كريمُ الصَّفاءِ، المُفَضَّلُ في زُمْرَةِ[1] الإخاءِ، المؤهَّلُ للمُحَافَظَةِ على الوَفَاءِ، ومَنْ لا عَدِمتُ مِنْ أَمْرِهِ إنْصَافاً، ومِنْ بِرِّهِ إسْعافاً، وُدُّنا كالسَّرابِ بُعْدُهُ أُنسٌ، وقُرْبُهُ يَأْسٌ، وعَهْدُنا كالشَّباب حَظُّهُ مَبخوسٌ، ونَقْدُهُ تَتَوجَّعُ [١٦١/و] مِنْهُ النُّفوسُ، فنحنُ نَتَجَمَّعُ بالسُّؤال، ونَتمتَّعُ بالخَيال/، ونَلْتقي على النَّأى تَمثُّلاً، ولا نَبْتَغي[2] في الحيِّ تَأَمُّلاً، وَمَا كَذا أَلِفْتُ الحميمَ، وَلاَ على ذا خَلَّفْتُ الرَّأيَ الكريم، وَلاَ ادري لَعَلَّ للأَقْطارِ خَواصَّ تُغيِّر، وللأحرار أَخْلاقَ تُسيِّر[3]، فيجبُ أَنْ أُعِدَّ لكُلِّ خَلْق خُلُقا، وأَسْلُكَ في مُعاشَرَةِ الناس طُرُقاً، وأُعِدَّ لكلِّ مقامٍ مَقَالاً لَوْ كَانَ حَقّاً، وأَلْقَى مِنْ قائلهِ صِدْقاً، وأَنِّى وَهُوَ بالاحْتِمَال قَمينٌ، وَبِحُسْنِ التَّأويل ضمين، ولكنَّها زَفْرَةُ شَوْقٍ لاعج، وضَجْرَةُ تَوْقٍ هائِجٍ، تَثُورُ ثُمَّ تَسْكُنُ، وتتأمَّلُ عَيْنَها[4] فتَحْسُنُ، وحَبَّذا فِعْلُ الصَّديق كَيْفَ تَقَلَّبَ، وَمَذْهَبُهُ حَيْثُ[5] ذَهَبَ؛ وأَكْرِمْ بقَدْرِهِ مَا أَنْجَبَ[6]، وبذكْرِهِ ما أَطْيَبَ وأَعْذَبَ، لا زِلْتُ أَتَمتَّعُ ببقائه، ولا أَمْنَعُ مِنْ لقائه، بمنِّه.

وكَتَبَ إلى الرَّئيس أَبي عبدالرحمن بنِ طاهر[7]، ـ وَقَدْ وافَى[8] بلنسية

= وكان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً ثم احرقوها عند خروجهم منها سنة ٤٩٥ هـ. (الروض المعطار: ص: ٩٧).

(١) ر ب ق: ذوي الإخاء.

(٢) ر ب ق: ولا نبغي من الحيّ.

(٣) ط: وللأخوان اخلاقاً تُسْتر.

(٤) س: غيرها.

(٥) ر: كيف.

(٦) ط: ما أكرم وانجب.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ر ب ق س ع: وصل.

ليـلاً ـ: لا أشْتَكي مِنْ اللَّيْلِ طـولاً، ولا أذمُّ جُنْحَهُ مَـوْصـولاً، وقَـدْ زَادت[1] بي حَـالُ صَبَاحِـهِ، وكافَحَني أشَـدَّ مِنْ[2] كفَاحِـهِ، وَوَصَلْتُ البـارحَـةَ[3] حينَ هَجَـعَ السَّميرُ، وامْتَنَعَ إلى حَضْـرةِ الْمَجدِ المسـير؛ وفي يَوْمنـا للرَّجاءِ امْتِـدادٌ، وللوَفَاءِ مِيعَادٌ، ولَدَيَّ شَوْقٌ يَطيرُ بي إليه مَطَـاراً، ولا يُـوجِدُ على[4] مـا دُونَهُ استقـراراً، فـكَنْتُ من لاعجـه[5] قليلاً، وَبَـرُدْتُ من بُرَحـائِهِ غليـلاً، وَعَبَـرْتُ/ في مُبَـادَرَةِ [١٦٢/ظ] الحَقِّ وَمُواصَلَةِ البِرِّ سَبيلاً، واللَّهُ عَزَّ وَجْهُـهُ يُعيدُ إلى أُفُقِنَـا حُسْنَ ضِيَائِـهِ، وَيُعينُ في المُتَعيَّنِ على قَضَائِهِ، لا شَريكَ لهُ[6].

وكَتَبَ إلىٰ القاضي أبي الحسن بنِ واجب[7]:

أيَنْقَضي يَـوْمُ الصَبِّ وَقَدْ عَـذَّبنا لَيْلُهُ أرَقَـا، وفَرَّقَ القَلْبَ فِـرَقـاً؟!، ويُقِـلُّ جُنْحُهُ وَقَدْ حَجَبَ عَنَّا فَلَقا؛ وأجْرَى العُيُونَ عَلَقا، فسالَ منها مَاءٌ دَفَقَا[8]، وَتَعْسَـاً لِلْمَطِيِّ وإنْ جَدَّ بنـا إلْمامـاً، حينَ أوْرَدَنا ظَـلاَماً، وَوافَى بنـا الحيَّ نِيامـاً؛ وكُنْتُ أحْبَبْتُ مُصَـابَحَةَ[9] مَجْـدِهِ فَعَاجَلَني مُبَـاكَـرَةُ الغَمـامِ، وَفَـاجـاني غَيْثُـهُ مُبـادَرَةً

---

(١) ر: دارت.

(٢) من: ساقطة في ب ق.

(٣) ب ق ط: على حين، ع: وقد هجع.

(٤) على: لم ترد في بقيّة النسخ، ق: يوجد من دونه.

(٥) ر ب ق ط ع: استطارته.

(٦) بعدها في ب ق: والسّلام الأتمّ يتردّد على الوليّ الوفيّ، ورحمة الله تعالى وبركاته.

(٧) بعدها في س: في ذلك. ولم نعثر على ترجمة القاضي أبي الحسن بن واجب. ومن القضاة الذين من ذريته، القاضي أبو الخطاب أحمد بن محمّد بن واجب القيسي، ولي قضاء بلنسية وشاطبة، وتوفي سنة ٦١٤ هـ بمراكش.

(٨) فسال منها ماء دفقا: ساقطة في بقيّة النسخ.

(٩) س ط ع: مصافحة.

بـالانـسجامِ ، وَلَمْ [1] يُمكنِّي أنْ أَبْلُغَ مِنْ ذَلِـكَ أَمَـلاً، ولا أنْ أَرِدَ بـهِ مَنْهـلا؛ ولا عَتْبَ[2] إلاَّ عَلَى الـزَّمانِ فيمـا أَذْنَبَ، ولَوْ شَـاءَ لأَرْضَى وأَعْتَبَ، واتَّخَـذْتُـهُ تحيَّـةَ مُشْتَـاقٍ، وَرَائدَ تَـلاقٍ، وَبُودِّي أَنْ يَنْجلِيَ الغَمـامُ انْجِيابـاً[3]، ويَكْتَسِيَ غَدُنـا من الصُّحْوِ جِلْبَاباً، فَأَنَـالَ فيه مِنْ هَـذَا الحَظِّ وُفُوراً، وَآمَـلَ[4] بِهِ جَـذَلاً وَحُبُوراً، إن شاء اللّه تعالى.

وَكَتَبَ وَقَدْ أُهْديَ إليْهِ مَشْمومُ وَرْدٍ[5]:

زَارنا الوَرْدُ بأنفاسك[6] وَسَقَانَا مُدامَةَ الأُنسِ من كأْسِكَ، وأعادَ لَنَـا مَعَاهِـدَ الأُنسِ جَـديدةً، وزَفَّ إلينـا مِنْ فَتَيَاتِ البـرِّ خريـدة، فاحْمَـرَّ حَتَّى خِلْتُهُ شَفَقَـا، وابْيَضَّ حَتَّى أَبْصَـرْتُهُ من النُّـور فَلَقَا، وَأَرِجَ[7] حَتَّى كـأنَّ المِسْكَ في [8] ذُكائِـهِ ، [١٦٢/و] وتَضَاعَفَ حَتَّى قَلِتَ الْوَرْدُ[9] مِنْ حيائِهِ، فلْيَتَصوَّرْ شكري / في رُؤاهُ[10]، وَلْيَتَخَيَّلْهُ في نَفْحَتِهِ وَرَيَّاهُ، إن شاء اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ[11].

---

(١) ب ق: فلم.
(٢) ط: عتبت.
(٣) بقيَّة النسخ: منجاباً.
(٤) س: واصل، ط: واوصل.
(٥) الخريدة: ٢/٤٤٢.
(٦) ر: زارنا ورد أنفاسك.
(٧) ع: واراح.
(٨) ب ق: من ذُكائه.
(٩) الورد: ساقطة في بقيَّة النسخ؛ وقَلِتَ: هلك.
(١٠) ب ق: مرآه.
(١١) ر ب ق: إن شاء الله تعالى.

الوزيرُ[1] أبو مَرْوانَ بنُ مُثَنَّى

كَثيرُ القعاقِع، قَليلُ الفواقِعِ[2]، يَذْهَبُ إلى التَّقْعير، وَيَرْغَبُ في التَّوْعير؛ وكانَ بِدَوْلَةِ ابنِ ذي[3] النُّون، أَحَدَ مَنْ وَرَدَ مَنَاهِلَهَا، وَرَكِبَ مجاهلها، واقتضى مِنْها الرَّغائِب، وأَنْضَى فيها الرِّكائب[4].

كَتَبَ إلى ابن[5] عُكاشَةَ، وَقَدْ مَرَّ على قَلْعَةِ[6] رَباح يُعَلِّمُهُ بعدم الرَّاح[7]:

---

(١) هذه الترجمة زيادة في «م»، وهي من تراجم المطمح: ٢٢١، وهو الوزير الكاتب عبدالملك بن مثنّى، كتب للمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، وترجم له صاحب الخريدة: ٢/٤٤٣، وهو ينقل عن القلائد، وذكره صاحب النفح: ٣/٥٥٩، و ٤/١٣٤.

(٢) المطمح: البراقع.

(٣) هو المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، وقد وليها بعده أبناؤه، إلى أن استولى عليها الفونس الخامس من يد حفيده القادر بالله سنة ٤٧٨ هـ.

(٤) وكان بدولة.... فيها الركائب: لم يرد في المطمح.

(٥) قد سبق التعريف به، وانظر في خبر تغلّبه على قرطبة من يد عبّاد بن المعتمد بن عباد (الذخيرة: ٢/١/٢٦٨ وما بعدها).

(٦) قلعة رباح: وهي قلعة تابعة لمدينة طليطلة، شمال شرقي قرطبة، وقد سمّيت باسم التابعي عليّ بن رباح اللّخمي، الذي اشترك في فتح الأندلس. (الروض المعطار: ٤٦٩، معجم البلدان: ٣/٢٣).

(٧) انظر: المطمح: ١٢٢، والخريدة: ٢/٤٤٣، والحلة: ٢/١٧٩، والنفح: ٣/٥٥٩.

(مجزوء الرمل)

يَـا قَـريـداً دُونَ ثَـانـي وَهِـلالاً فـي الـعـيَـانِ
عُـدِمَ الـرُّاحُ فَـصَـارتْ مِـثْـلَ دُهْـنِ الـبَـلَـسَـانِ[1]

فكَتَبَ[2] إليه ابنُ عُكاشَةَ: (مجزوء الرمل)

يـا قَـريـداً لا يُـجـارَى بَـيْـنَ أبْـنـاءِ الـزَّمـانِ
جـاءَ مِـنْ شِـعْـرِكَ رَوْضٌ جَـادَهُ صَـوْبُ الـبَـيَـانِ
قَـبَّـعْـنَـاهـا سُـلافـاً كَـسَـجـايـاكَ الـحِـسَـانِ

---

(١) البلسان: شجرة صغيرة تشبه الحناء، يصدر عنها دهن.
(٢) المطمح: قبعث إليه منها وكتب إليه.

ذو[1] الوِزَارتَيْن القَائدُ أبو الحَسَنِ بنُ الْيَسَع رحمه الله[2]

عَامِرُ أَنْدِيَةِ النَّشْوَةِ، وَطَلَّاعُ ثَنايَا الصَّبْوَةِ، كَلِفَ بالحُمَيَّا كَلَفَ حارِثَةَ[3] بنِ بَدْرٍ، وَهَامَ بفَتىً سِمَاطٍ وَفَتاةٍ خِدْرٍ/، فَجعلَ للمجون مَوْسماً، وأَثْبَتَها[4] في جبينِ [١٦٣/ظ] الأوانِ[5] مَيْسماً، وكانَ قَبْلَ أَنْ تُرَقِّيَهُ[6] الرِّياسَةُ أَعْوادَها، وَتُحِلَّهُ فؤادها، لا يَجِدُ عِماداً، ولا يَرِدُ إلَّا ثِمَاداً، فلمَّا أَصْبَحَ عاقِدَ كتائبَ، وقائدَ جنائبَ، وَصَاحِبَ أَلْوِيةٍ، ومُنْفِذَ بديهةٍ في الأمورِ[7] وَرَوِيَّة، جَرَى إلى لَذَّاتِهِ مِلْءَ العَنَان، وَغَدا بها مَجْنونَ الجَنَان، وتَرَكَ المُلْكَ مُهْمَلاً، ومَشَى في طُرُقِ الاسْتِهْتار خَبَباً وَرَمَلا، فائْتَمَرَ بهِ المَلأُ من أَهْلِ مُرْسِيَةَ أَيَّ ائتمار؛ ورأَوْا قَتْلَهُ أَوْكَدَ حِجَّةٍ واعْتمار، فَنَصَبُوا لَهُ الحَرْبَ، وعَصَّبُوا بهِ الطَّعْنَ والضَّرْبَ، حَتَّى أَعْطَى الدَّنِيَّة، ونَزَلَ لَهُمْ

---

(١) هو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن اليسع، صاحب جزيرة لورقة، أعان بني عبّاد على فتح مرسية بقيادة أبي بكر بن عمّار، ثمّ تولّى إدارتها نيابة عن المعتمد حتى فرّ من أهلها بعد ثورتهم عليه، وانتهت إمارته إلى الدولة المرابطية. (ترجم له في الخريدة: ٢/٤٤٤، وفي المغرب: ٢/٨٧، ٢٤٨، وفي الحلة: ٢/١٧٢ ـ ١٧٦).

(٢) ر ب ق: رحمه الله تعالى، وهذا الترحّم ساقط في ط ع.

(٣) هو حارثة بن بدر الغُدامي، وكان زياد بن أبيه في مدّة ولايته العراقين كثير الرعاية له. وقد سبق التعريف به.

(٤) ط: وأثبته.

(٥) بقيّة النسخ: أوانه.

(٦) ر: تلقيه.

(٧) س: الأمر.

عَنْ تِلْكَ الثَّنِيَّة؛ فَقَنِعوا بـارتفاعِ وَبَـالِهِ، وامْتَنَعُـوا مِنْ حَرْبِـهِ وقِتَالِـهِ، وخَلَعُوهُ عن تَدْمير[1]، وَسَقَوْهُ الرَّنَق بَعْدَ النَّمير.

وَلَـهُ شِعْرٌ رقيقُ المعـاني، أَنيقُ المغاني، يَشْهَـدُ لَـهُ بـالشَّـطارةِ، وَيَعَـدُّ[2] كهولَتَهُ في[3] الغَرارة. وقد أثبتُّ[4] لَهُ منه فُنونًا، يَكْحَلُ بها الاستحسـانُ جُفونَـا، فمن ذلك قَوْلُهُ يُخاطِبُ أبا بَكْرٍ[5] بن اللَّبانةِ، وكانا على طريقَيْنِ فلَمْ يَلْتَقِيَا[6]:

(طويل)

تُشَـرِّقُ آمـالي وَسَعْـدي[7] يُغَـرِّبُ ... وَتَـطْلُعُ[8] أَوْجـالي وأُنسـيَ يَغْـرُبُ
سَـرَيْـتُ أبـا بَكْـرٍ إليـكَ وإنَّمـا ... أنـا الكَوْكَبُ السَّـاري تَخَطَّاهُ كَـوْكَبُ
فَبـا للَّه إلاَّ مـا مَنَحْـتَ تَحِيَّـةً ... تَكُـرُّ بهـا السَّبْـعُ الـدَّراري وتَـذْهَبُ
وبَعْـدُ، فعنـدي كُـلُّ عِلْقٍ تَصُـونُـهُ ... خَـلائـقُ لا تَـبْـغي[9] ولا تَـتَـقَـلَّبُ
كَتَبْتُ على حـالَيْنِ: بُعْـدٍ وعُجْمَـةٍ ... فَيَا لَيْتَ شِعْري، كيف يَدْنو فَيُعْـرِبُ؟

ولَمَّا ماتَ ابنُ لَبُونٍ، صاحبُ لُورَقَةَ، ووصَلَ أَمْرُهَا إليه، وحَصَـلَ تَدْبيـرُهَا

---

(١) تدمير: من كُوَر الأندلس، سُمِّيت باسم مَلكها تُدْمير (صفة جزيرة الأندلس: ٦٢).

(٢) ر ب ق س: ويعيد، ط: ويعيد كفالته.

(٣) ب: إلى الغزارة، ق: إلى العرارة.

(٤) ر: أثبت منها، ولفظة «له» ساقطة في بقيَّة النسخ.

(٥) أبـو بكر محمـد بن عيسى المعروف بـابن اللّبانـة، من كبار أُدبـاء الأنـدلس وشعرائها، نظم القصائد والموشحات، وهو من شعراء الدولة العبادية، وله كتاب: «سقيط الدُّرر ولقيط الزُّهر»، وكانت وفاته سنة ٥٠٧ بميورقة.

(٦) انظر: الخريدة: ٢/٤٤٤، والمغرب: ٢/٢٤٩.

(٧) س ط: وسعي؛ وكذا في المغرب.

(٨) الخريدة: وتطلع أشجاني وأنسي يَعْذبُ.

(٩) س: تفنى، ط ق: تبلى.

في يَـدَيْهِ/، طَلَبَ مَلِكـاً يُعْطيـهِ صَفْقَتَها، أو يُمْـطيه[1] صَهْـوَتَها إذ لم يَصِـحَّ لَـهُ [١٦٣/و] تَـوَلِّيها، والعَـدُوُّ بِلَبطيطَ[2] يُـرواحُها بـإغارَتِـهِ[3] وَيُغَاديهَـا، فَوَصَـلَ إلى المعتمد رحمَهُ اللَّهُ، مُلْقِيَاً إليـه بتلك المقاليـدِ، ومُجْنياً لَـهُ أَفْنَانَهـا الأَماليِـدَ فتَلَقَّى بالبـرِّ وِفَادَتَهُ ورِحْلَتَهُ[4]، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ أَعْيَانَهُ وجِلَّتَهُ.

أَخبرني الوزيرُ أبو الحسين[5] بنُ سرَّاج، والوزيرُ أبو بكر[6] بنُ القُبْطُرْنَـةَ، أَنَّ المعتمد ـ رحمه الله ـ أمرهما بالمَشْي إِلَيْهِ، والنُّزولِ عليه، تَنْـويهاً بمَقْـدَمِهِ، وَتَنْبيهاً على حُظْوَتِهِ لَدَيْهِ وَتَقَدُّمه، فَسارَا[7] إلى بَابِهِ، فَوَجَدَاهُ مُقْفِـرَاً مِنْ حُجَّابِـهِ، فـاسْتَغْرَبـا خُلُوَّهُ مِنْ خَوَل، وَظَنَّ كُـلُّ واحدٍ منهمـا وَتَأَوَّلَ، ثُمَّ أَجْمَعـا عَلَى قَرْعِ آلْباب، ودَفْعِ ذَلك الارْتيابِ، فَخَرَجَ وهو دَهِشٌ، وأَشَارَ إِلَيْهِما بالتحيَّة، وَيَـدُهُ[8] تَـرْتَعِشُ، وأَنْزَلَهُمـا خَجِـلاً، ومَشَى بَيْنَ أَيْـديهمـا عَجِـلاً، وأَشَـارَ إلى شَخْصٍ، فَتَوارَى بالْحجاب، وبارَى الرِّيحَ سُرْعَةً في الاحتجـاب، فَقَعَدا ومُقْلَةُ الخَشْفِ[9]

---

(١) ر ب ق س: ويمطيه، ط: ويحظيه.

(٢) م: بلبيط. و: لَبطيط: بفتح أوّله وثانيه وكسر الطاء وياء وطاء أخرى، بالأندلس من أعمال الجزيرة الخضراء. (معجم البلدان: ٥/١٠).

(٣) بإغارته: ساقطة في س.

(٤) ورحلته: ساقطة في ر، وفي ب ق س ط: وصلته.

(٥) ر ط ع: أبـو الحسن. وهو أبـو الحسين سـراج بن عبـدالملك بـن سـراج بن عبدالله بن محمد بن سراج، من أهل الأدب والفضل ومن شعراء الدولة العبادية، تـوفي سنة ٥٠٨ هـ. (الذخيرة: ١/٢/٨٢١، والمغرب: ١/١٦٦، والمطـرب: ١٢٣، ومعجم الأدباء: ١١/١٨١، وبغية الوعاة: ٢٥١).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) ر س ط: فصارا.

(٨) ر س ط: ويداه.

(٩) الخشف: ولد الظبي الصغير.

غَنِيَا بِذِكْرِكَ عَنْ رَحِيقٍ سَلْسَلٍ ... وَحَدَائِقٍ خُضْرٍ وَعَزْفِ قِيَانِ
وَرَضِيتَ فِي دَفْعِ الْمَلَامَةِ أَنْ تُرَى ... مُتَعَلِّقاً بِالْعُذْرِ مِنْ حَسَّانِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُرَاجِعاً قِطْعَةً مِنْهَا:

وَأَنَا أَسَأْتُ، فَأَيْنَ عَفْوُكَ مُجْمَلاً ... هَبْنِي عَصَيْتُ اللهَ فِي شَعْبَانِ؟
لَوْ زُرْتَنِي وَالآنَ تُحْمَدُ زَوْرَةٌ[1] ... كُنْتَ الْهِلَالَ أَتَى بِلَا رَمَضَانِ

وَكَتَبَ فِي حِينِ ذَلِكَ، إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ الْقُبْطُرْنَةِ:

فَدَيْتُكَ لَا عُرْفٌ لَدَيَّ وَلَا نُكْرُ ... وَلَا حُجَّةٌ لِي قَدْ أَبَى ذَلِكَ السُّكْرُ
إِذَا قُلْتُ: جِيءْ مَاذَا يَقُولُ مُمَجِّدٌ ... وَلَيْسَ لَهُ فِي أَنْ يُجِيبَ بِـ «لَا» عُذْرُ؟

وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْقُبْطُرْنَةِ، أَنَّهُ كَانَ قَاعِداً بِبَغْيِهِ بِبَطَلْيُوسَ[2] فِي غُدْوَةِ الْجُمُعَةِ[3]، وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ، وَرُوِّعَتْ تِلْكَ الْكَنَائِسُ وَالدَّسَاكِرُ، وَلَا أَحَدٌ، إِلَّا رَاغِبٌ فِي الشَّهَادَةِ، مُؤَمِّلٌ مَوْتَهُ هُنَاكَ وَاسْتِشْهَادَهُ، إِذَا بِرَجُلٍ قَدْ وَضَعَ بِيَدِهِ رُقْعَةً لَا عُنْوَانَ لَهَا، فَلَمَّا تَأَمَّلَهَا وَجَدَ فِيهَا: [١٦٥/ظ]

(طويل)

عَطِشْتُ أَبَا بَكْرٍ وَكَفُّكَ[4] دِيمَةٌ ... وَذُبْتُ اشْتِيَاقاً وَالْمَزَارُ قَرِيبُ
فَخَفِّفْ وَلَوْ بَعْضَ الَّذِي أَنَا وَاجِدٌ ... فَلَيْسَ بِحَقٍّ أَنْ يُضَاعَ غَرِيبُ
وَوَفِّرْ لَنَا مِنْ تِلْكَ حَظّاً نُرَى بِهَا ... نَشَاوَى وَبَعْدَ الْغَزْوِ سَوْفَ نَتُوبُ

---

(١) ر: زورتني.

(٢) بَطَلْيُوس: بالأندلس من إقليم ماردة، بناها عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، بإذن من الأمير عبدالله، وهي مدينة جليلة، وكانت من أعمال بني الأفطس. (صفة جزيرة الأندلس: ٤٦).

(٣) الجمعة: ساقطة في ر. والمقصود بيوم الجمعة، هو يوم وقعة الزلاقة بين أمراء الطوائف والمرابطين والفونسو الخامس ملك النصارى سنة ٤٧٩ هـ.

(٤) ب ق س ع: وكفاك.

فقال له[1]: ابن اليسع صاحب هذه الرقعة، أو قد حل في هذه البقعة؟ فقال له: نعم، فاستغرب ما قصد إليه، وذهب ووجه إليه، من تضييف ما وجب، وقرن به خمراً وكتب معه:

(طويل)

أبا حسن مثلي بمثلك[2] عالم ... ومثلك بعد الغزو ليس يتوب
فخذها على محض الصفاء كأنها ... سنا، ما لها بعد الحساب تؤوب[3]

---

(١) لفظة (له): ساقطة في ر. والقائل هنا، هو أبو بكر بن القبطرنة إلى رسول أبي الحسن بن اليسع.

(٢) م: لمثلك.

(٣) ط: ذنوب.

الوزيرُ[1] المُشرِّفُ أبو مُحَمَّدِ بنُ مالك[2]

وَرَدَ نَهْرَ المَجَرَّةِ عَلاءً، وقَلَّدَ فَخْرَ[3] الزَّمانِ ولاءً، مَعَ هِمَمٍ أنافَتْ على الكواكب، وكَرَمٍ صابَ كالغَمَام السَّاكب، ووقارٍ لا تُحيلُ الحركَةُ سُكُونَهُ، ومِقْدَارٍ يَتمنَّى مُخَيَّرٌ أنْ يكونَهُ، وشِيَمٍ كصَفْوِ الرَّاح، أو الماءِ القَراحِ، لو كانَتْ [١٦٥/و] في الرَّوْض ما ذَوَى[4]، أو ظَهَرَتْ للخَلْقِ، ما رَمَدَ أحَدٌ بَعْدَما شوى، ولم يَزَلْ/ بما اعْتَقَلَ مِنَ الأصَالَةِ والنُّهَى، يُنْقَلُ مِنْ سَمَاكٍ إلى سُهَى، حَتَّى أقْطَعَهُ أميرُ المسلمينَ[5] مَا لَهُ بالأنْدلس من حِصَّة، وأقْعَدَهُ[6] على تلك المِنصَّة، وَبَوَّأهُ المراتبَ اللَّائقةَ بهِ المختصَّة، ولَهُ أدَبٌ زاخِرُ اللُّجَة، باهِرُ[7] الحُجَّةِ، لائحُ البَهْجَةِ[8]، واضحُ المحجة، يَروقُ لِمُجْتليه، وَيَرِفُّ[9] زَهْرُهُ لمجتنيه.

---

(١) أبو محمّد عبدالرحمن بن مالك، كان من علماء الفقه والحديث وأهل الأدب والشعر، عمل لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولابنه عليّ من بعده، وتقريظ الفتح له ينبىء بعلو همته وأصالة نفسه. (ترجم له في الخريدة: ٢/٤٤٧، والذخيرة: ١/ ٢/٧٣٩، والمغرب: ٢/١١٧؛ والنفح: ١/٦٧٤)

(٢) بعدها في ر س ط ع: رحمه الله تعالى.

(٣) ر ب س ع: فخره، ق: نحره.

(٤) ذوى: ساقطة في ر.

(٥) بعدها في ر ب: خلّد الله مُلْكه، وفي ق س: وناصر الدين خلّد الله مُلْكه.

(٦) ط: وأطلعه.

(٧) باهر الحجة: ساقطة في ر س ع.

(٨) لائح البهجة: ساقطة في ط ع.

(٩) ق: وتزف.

وقد أثْبَتُّ مِنْ فائق كلامه، ورائقِ نَثْرِهِ ونِظَامِهِ، ما تُديرُهُ الأَوْهامُ[1] راحاً وتتعاطاهُ، وَتُوسِّد النَّباهَةُ خَدَّها أَبْرَدَيْ أَرْطَاهُ. فَمِنْ[2] ذلك ما قالَهُ في مَجْلِسٍ أَطْرَبَهُ سَمَاعُهُ، وَبَسَطَهُ احْتِشادُ الأُنْسِ فيه واجتماعُهُ[3]:

(خفيف)

لَا تَلُمْني بأنْ[4] طَرِبْتُ لِشَجْوٍ[5] يَبْعَثُ الأُنْسَ، فالكَريمُ طَرُوبُ
لَيْسَ شَقُّ الجُيوبِ حَقّاً عَلَيْنا إنَّما الحقُّ أنْ تُشَقَّ القُلوبُ

ولمَّا كَثُرَ اخْتلالُ الشَّرْقِ وَفَسَادُهُ، وظَهَرَ اسْتِفْحَالُ العَدُوِّ فيه واسْتِشْرَادُهُ، صَرَفَ أمير المسلمين وناصرُالدِّين[6] إليه وَجْهَ اهْتِمامِهِ، وَجَدَّ في صَرْفِ الشَّوائب عن جِمامِهِ، وجَعَل رأيه فيه سميرَهُ، وأَنْعَلَ نَظَرُهُ لَهُ جِدَّهُ وتشميرَه، وَوجَّهَ أَمْوالاً لِرَمِّ خَلَلِهِ، وحَسْمِ عِلَلِهِ، وإقامَةِ مَيْلِهِ، وانتعاشِ رَجْلِهِ، وخَيْلِهِ، ثُمَّ خافَ أَنْ تَنْهَبَهَا[7] العُمَّالُ، وتَتعذَّرُ تلك الآمالُ[8]، فَقَلَّدَهُ طَوْقَهَا، وحمَّلَهُ أَوْقَهَا[9]، ووجَّهَهُ لبناءِ الأَقْطار، ونَبَّهَهُ لقضاءِ تلك الأَوْطار، فاسْتَقَلَّ بها أَحْسَنَ اسْتِقْلال/، ونَظَمَ مَصَالِحَهَا[10] نَظْمَ اللآلِ. [١٦٦/ظ]

---

(١) ط: الأيّام.
(٢) ر ب ق ع: فمن ذلك قوله، وما بعدها ساقط في هذه النسخ.
(٣) انظر البيتين: الخريدة: ٢/٤٤٧، والمغرب: ٢/١١٧، والنفح: ١/٦٧٥.
(٤) س: لأن طربت، والخريدة: إذا طربت.
(٥) ب ق س: لشدو، ط: لحشر.
(٦) وناصر الدين: ساقطة في ر ب ق ط.
(٧) ر ب ق س: ينتهبها، ط: تنتهبها.
(٨) ر ط: الأموال.
(٩) ر: أرقها.
(١٠) ع: محاسنها.

بفضاءِ[1] الأرْض تَذْرَعُـهُ، فحَسْبُ مَنْ نَوى بعشْـرَتِكَ الاستمتـاع، أَنْ يَعْتَدَّكَ من العَواري السَّريعة الارتجاع[2]، فلا تَأَسَّفَ[3] على قِلَّة الثَّوى، وتُنْشِدُ[4]:

(الطويل)

«وفَـارَقْـتُ حَـتَّـى مـا أُبـالـي مِـنَ الـنَّـوى

(١) س: بيفـاع.
(٢) ر ب ق ط: الاسترجاع.
(٣) ب ق ط: يأسف.
(٤) وتنشد: ساقطة في م.

آلْوَزيرُ[1] الكاتبُ أبو القَاسِمِ بن السَّقَّاط رحمه الله[2]

مُسْتَعْذَبُ المقاطع، كأَنَّما صُوِّرَ مِنْ نُورٍ ساطع، أَبْهَى مِنْ مُحَيَّا الظَّبْي الخَجِل[3]، وأَحْلَى من الأَمْنِ عِنْدَ الخائف الوَجِلِ، يَهُبُّ عَطِرَاً نَشْرُهُ، ولا يُغِبُّ حيناً بِشْرُهُ، تَجْتَليهِ الدَّهْرَ بسَّاماً، وتَنْتَضيه حُسَاماً، إنْ وَاخاكَ[4]، أَبْرَمَ عَقْدَ إخائِهِ، وأَعْفاكَ مِنْ زَهْوِهِ وانتخائِهِ، مَاءُ صفائِهِ وارفٌ/ يكادُ يَقْطُرُ، وَسَماءُ احتفائِهِ [١٦٧/ظ] واكِفَةٌ أَبَداً تُمْطِرُ، ولَهُ أَدَبٌ، لَوْ نُشِرَ لَكانَ بُرْداً مُحَبَّراً، ولو[5] تَنَسَّم لهبَّ مِسْكاً وعَنْبَراً.

وأَمَّا في الخطابة، ففي يَدَيْهِ[6] صارَ عِنَانُها، وعليه سَحَّ[7] عَنَانُهَا، لَوْلا كَلَفٌ بالصِّبْيانِ، وَشبابِ المُرْدانِ؛ أَحْدَثَ لِصفحةِ مُروَّتِهِ كَلَفاً، ونَصَبَ عِرْضَهُ لِسهَام القَوْل هَدَفاً[8]. وقد أَثْبَتُّ لَهُ مِنْ نَظْمِهِ ونَثْرِهِ، ما يَنْظِمُه الزَّمانُ عِقْداً في

---

(١) ترجم له العماد في الخريدة: ٤٤٩/٢، والمغرب: ٤٢٨/١، وينقل النفح: ٦٧٥/١ ما في القلائد، وابن فضل الله العمري في المسالك: ٨ ورقة: ٢٤٥.

(٢) ب: رحمه الله تعالى، وهذا الترحّم لم يرد في س ع.

(٣) ع: البدر المستكمل.

(٤) ر: وأفاك.

(٥) ر: وتنسم، ب ق س: أو تَنَسَّم، ط: أو تنسم لكان.

(٦) ب ق: يده.

(٧) ب ق: وقف، س: صاب. و: وعليه سحّ عنانها: ساقطة في ر ع.

(٨) لولا كلف... هدفا: ساقطة في بقيّة النسخ.

نَحْرِهِ؛ فمن ذلك قَوْلُهُ في وَصْفِ[1] أيّامِ إيناسِهِ، وما كيُفَ لَـهُ الشَّبابُ من أنْـواع الوَصْل وأجْناسِهِ[2]:

(متقارب)

سَـقَى اللّهُ أيّـامَنَـا بـالْعُـذَيبِ ... وأزْمـانَنَـا الغُـرَّ صَـوْبَ السَّحَـابِ
إذا الـحبُّ - يـا بُثْنَ - رَيْحَـانَـةٌ ... تُـجَـاذِبُـهَـا خَـطَراتُ الـعِتَـابِ
وإذْ أنْـتِ نُـوّارةٌ تُـجْـتَـنَـى ... بكفُّ المُنَى[3] مِنْ ريـاضِ التَّصـابِ
لَـيـاليَ - والـعَيْشُ سَـهْـلُ الْجَنَـا ... نَضيـرُ الجـوانبِ طَـلْقُ الجَنَـابِ -
رَمَيْتُـكِ طَـيْـراً بَـذوحِ الـصُّبَـا ... وصِـدتُـكِ ظَبْيَـاً بـوادي الشَّبـابِ

وَلَهُ يَصِفُ يَوْماً أَطْرَبَتْهُ فيه الأَماني، وهَزَّتْـهُ المثالثُ والمثـاني، وجَرى بـهِ الدَّهْرُ طَوْعاً في أَزِمَّتِهِ[4]، وانْقَادَ إليه الأُنْسُ برُمَّتِهِ، وسَقَتْهُ الرَّاحُ صَفْوَهَا، وأَقْطَعَتْهُ الأَيّامُ طَرَبَها ولَهْوَها[5]:

(طويل)

ويَـوْمٍ ظَلِلْنـا والمُنَى[6] تَحْتَ ظـلِّهِ ... تَـدورُ عَـلَيْنـا بـالسَّعـادَةِ أَفْـلاكُ
بِـرَوْضٍ سَقَتْـهُ الجـاشِـرِيَّـةُ[7] مُـزْنَـةٌ ... لهـا صَـارِمٌ مِنْ لامِـعِ البَـرْقِ بَتَّـاكُ[8]
[١٦٧/و] /تُوَسِّدُنَـا الصَّهْبَاءُ أَضْغَـاثَ كأْسِـهِ[9] ... كـأنَّـا عَلَى خُضْـرِ الأَرائـكِ أَمْـلاكُ

---

(١) بقية النسخ: يصف.
(٢) انظر: الخريدة: ٢/٤٤٩، والمغرب: ١/٤٢٨.
(٣) ب ق: الهنا.
(٤) ر: وجرى الدهر به طَوْعاً في زرمته.
(٥) انظر: الخريدة: ٢/٤٥٠، والمغرب: ١/٤٢٩.
(٦) المغرب: للمنى.
(٧) الجاشرية: شرب يكون مع الصباح.
(٨) ط ق: فتّاك.
(٩) بقية النسخ: أضغاث آسه، وكذا في المغرب.

وقَدْ نَظَمْتَنا للرِّضَى راحَةُ الهَوَى فنَحْنُ اللآلي والمَوَدَّاتُ أسْلاكُ
تُطَاعِنُنَا فِيهِ ثُدِيُّ نَواهِدٌ نَهَدْنَ لِحَرْبي[1] والسَّنَوِّرُ أفْلاكُ[2]
وَتُجْلَى لنا فيهِ وُجُوهٌ نَواعِمٌ يُخَلْنَ بُدُوراً والغدائِرُ أحْلاكُ[3]

وكَتَبَ يَسْتَشْفِعُ[4] لِمُدِلٍّ بذِمام شَبَابٍ صَوَّحَ نَوْرُهُ، وبَرَّحَ بهِ غَدْرُ الزَّمان وجَوْرُهُ: يا سيِّدي الأعلى، وظهيري وَمُنْجدي في الجُلَّى، ونَصيري المُنيفُ في دَوْحَةِ النُّبْلِ فَرْعُهُ، الحنيفُ في مِلَّةِ الفَضْلِ شَرْعُهُ، ومَنْ أبْقَاهُ اللَّهُ لرَحْم[5] أدب مَجْفُوَّةٍ يَنْظِمُها[6]، وحُرْمَةٍ مَقْطُوعَةٍ يُلْحِمُهَا، الوَفاءُ لمحاسنِ الأخْلاَقِ، وَقَى اللَّهُ جديدَ أنْعُمِكَ مِنَ الدُّرُوس والإخْلاق، كالْعَلَم[7] المُذَهَّب، والخِضاب المُوَشَّى لراحةِ الْحَسب، يَسْتَعيرُ[8] بِهِ بَهْجَةَ التَّكحُّل في العَيْن، ورونقَ التَّشْبيب[9] في مَصُوغ التِّبر واللُّجَيْن، وقد رَتَّبْتُهُ النُّهَى أشْرَفَ تَرْتيبٍ، وبَوَّبَتْهُ العُلَى أبْدَعَ تَبْويب، فما أحَقَّهُ بصَدْرِ النَّادي، وأسْبَقَهُ إلى المَرتَبَة[10] بشرفِ المبادي[11]، رعَايَةً

---

(١) ر: بحربي.

(٢) بقية النسخ: أفناك. والأفناك: جمع فنك وهو ضرب من الفراء. والسَّنَوِّر: جملة السلاح.

(٣) المغرب: أفلاك.

(٤) ر ب ق: يشفع، ط: يتشفّع، وانظر النص: الخريدة: ٢/٤٥٥.

(٥) س: لرحمة.

(٦) ب ق: يصلها.

(٧) ب ق: كالقلم.

(٨) ب ق س ط: يستفيد، ر: فيستفيد بها التكحل في العين.

(٩) ر: ورونق الشيب بهجة في مصوغ.

(١٠) س ط: المزية.

(١١) ر ب ق ط: المنادي.

لأواصـر[1] الآداب، والمحـافـظة على الخُلَّة الـواشجـةِ[2] في أَعْصُـر الشَّبـاب، وتذكُّراً لعُهُود[3] الصِّبا وأَطْلاله، وأَوْقات[4] اللَّذاتِ المُنْتَابةِ[5] في بُكَرِهِ وآصـالِهِ، وما أَسْحَبَتِ [6] اللَّيالي في مَيادينِهِ من لبُوسٍ، نَعيمٍ وبُوسٍ. وأَجْنَتِ الأَيَّـامُ في [١٦٨/ظ] بسـاتينهُ من/ زَهَراتِ أَتْراحٍ [7] ومسرَّاتٍ، حَذْواً على الخُلُق [8] الأكمـل، وأَخْذاً بِقَوْل الأَوَّل:

(بسيط)

إنَّ الكـرامَ إذا مـا أَسْهـلوا ذَكَـرُوا مَنْ كـانَ يـأْلَفُهُمْ في المنـزل الخَشِنِ

ومـوصلُهُ ـ وَصلَ اللَّهُ سَـرَّاءكَ، وأَثَلَّ عـلاءَكَ ـ، ذاكرُ مَشـاهِـدِكَ [9] الغُـرِّ الحسانِ، وناشِرُ ما تَعْتَمِدُ في صِلَتِهِ مِنْ مَقَاصِدِ الحُسْن والإحْسـان، أَبْقاهُ اللَّهُ مـا نَظَمَني مَعَهُ سِمْطُ[10] نادٍ، ولا اخْتواني وإيَّـاهُ مِضْمارُ شُكْـرٍ وإخمادٍ، إلَّا وأَثبتُّ من مآثِرك خليطَيْ الدُّرِّ والمَرْجان، وَجاءَ بطليعَةِ السَّوابق في إحْصـاءِ مَفَاخِـرِكَ رَخِيَّ اللَّبِ مَـرْخيَّ العِنَـان؛ ولقـد فَـاوَضَني من أَحـاديثِ[11] إئتـلافكُمَـا في العُصـور الـدَّارسـةِ العـافيـة، وانتـظامِكُمَـا في زَهَـراتِ الأُنْس في ظِـلالِ العـافِيَـةِ،

---

(١) ر ب ق: لأوامر.
(٢) الواشجة: ساقطة في م ع.
(٣) بقيَّة النسخ: لربوع.
(٤) وأوقات: ساقطة في ع، وفي ر ب ق س ط: وعهود اللذات.
(٥) ب: المنثالة.
(٦) ر: وما أصحبت.
(٧) أتراح: ساقطة في ر.
(٨) بقيَّة النسخ: للخلق.
(٩) ط: مشاهدتك.
(١٠) ر: شحط.
(١١) س: حديث.

واتّساقِكما[1] في حَبراتِ العَيْشِ الرَّقاقِ الضَّافية، وارْتشافِكُمَا لسُلافَةِ النَّعيم الْمَزَّة الصَّافية، بأفانين النُّحور[2]، وزخارف الرَّوْض المَمْطور[3]، ومَعاطف الطُّرَر بَيْنَ خِيلان الخُدود[4]، ما لو لَقِيَتْ بشاشَتُهَا[5] الصَّخْرَ لمُنِحَ بَهْجَةَ الإيراق، ولَوْ أُلْقِيَتْ عُذُوبتُهُ في البَحْر[6] لأَصْبَحَ حُلْوَ المَذاق، ولَوْ رُقي بهِ البَدْرُ لَوُقِيَ آفَةَ المحاق، ولَوْ مَرَّت بصَحْراءَ[7] لعادت كسواد العراق؛ وأَزْمَعَ أَنْ يَسيرَ بنواعجِ لواعجِهِ[8] في ذلك الدوّ، ويطيرَ[9] بجناح إرْتياحِهِ إلى مُتَقَاذَفِ ذلك الجَوِّ، لِيُكْحِلَ[10] بالْتماحِك/ جُفونَهُ، ويَجْلوَ بأَوْضَاحِكَ دُجونَهُ، ويُجدِّدَ بلقائك عَهْداً [١٦٨/و] أَنْهَجَ البَيْنُ رَسْمَهُ، وَيُشاهِدَ بمُشاهَدِةِ عَلائِكَ سُرُوراً مَحَتْ يَدُ البَيْنِ وَسْمَهُ، ويَحُطَّ[11] مِنْ أَفْنَاءِ بِشرِكَ بالآهل العامر، ويَسْقُطَ مِنْ أَنْواءِ برِّكَ عَلَى الْحَافل الغامر، فخاطَبْتُ مُعْرِضاً عن التحريض، ومُجْتَزِياً بنَبْذِ العَرْضِ ولَمْحِ التَّعْريضِ، وتابعاً لَهُ بأسرارك الخَطِرات، ذِكْرَ العُهُودِ القديمة، وارتياحِكَ لِلقاءِ مِثْلِهِ مِنْ أَعْلاقِ العِشْرَةِ الكريمة، وأَنْتَ وَلِيُّ ما تَتَلَقَّاهُ به مِنْ تَأنيسٍ يَنْشُرُ مَيْتَ رَجَائِهِ،

---

(١) واتصافكما.

(٢) ب ق س: بأقانين الغيطان والنجود، ر ط: بأفانين النجود.

(٣) بقية النسخ: المجود.

(٤) ر: ومعاطف الطرز خبلان الخدود. والطُّرة: ما تطرُّه المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتصفّفه، وهي القُصَّة.

(٥) ب ق: بشاشته.

(٦) في البحر: ساقطة في ع.

(٧) ب: ببيداء، واللفظة ساقطة في ر س ط.

(٨) بعدها في بقية النسخ: في طرقه ومناهجه.

(٩) ب ق: ويطير بجناح الارتياح في الدوّ. ولفظة ارتياحه: ساقطة في ر س ط.

(١٠) ر ط: ليكتحل.

(١١) م ر ع: وينحط.

وَيَعْمُرُ مُقْفِرَ أَرْجائِهِ؛ لا زِلْتَ عاطفاً على الاخلاّءِ[1] بكرم الـوُدِّ، وقاطِعـاً[2] زَهْرَ الثناءِ مِنْ كِمام[3] الْحَمْدِ، بِحَوْل اللَّهِ.

وَلَـهُ[4] إلى بَعْضِ إخوانـهِ شافعـاً في رَجُلٍ مِنَ الأَعْيـان، عَنيَ بشأنِـهِ؛ يا سيّـدي الأعلى، وعِمَادي الأَسْنَى، وَسِـرَاجي الأَجْلَى، ومَنْ أَطَـالَ اللَّهُ بقاءَهُ، والمقاديرُ تُساعِدُهُ، والمحاذيرُ تُباعِدُهُ؛ مـا رَوْضَةُ الحَـزْن ـ أعزَّكَ اللَّهُ ـ وقـد نَفَح بهـا النَّسيمُ بليلا، وسَفَـحَ عليها الغَمـامُ دَمْعاً هَمُـولا، فَوَنَقَتْ أَحْـداقُ أَنْوارهـا، وتَفَتَّقَتْ نَوافِجُ آسِهَا وَعَرَارِهَا؛ بأَعْطَرَ مِنْ شُكْري لَكَ. وقَدْ غُصَّ النَّـديُّ بزُوَّارِهِ، وَقَـوِيَتْ آيـاتُ القَـطْر، واسْتُقْـرِئَت مَعـالِمُ آثـارِهِ، وَلاَ عَـدِمْتَ ثَنَـاءً يُحـاشُ إلى جِهَاتِكَ، وَيَنْحاشُ إلى يَعْلوآتِك، بمنِّه.

[١٦٩/ظ] وكتبتُـهُ ـ دام عِزُّكَ ـ والعَجَـلُ عَارِضٌ، والخَجَـلُ مِن التَّقصير مُعـارِضٌ، / وَمُؤَدِّيه الفقيهُ أَبـو مُحَمَّدٍ نـاشرُ أَيـاديكَ، وشـاكرُ خَـواتمك في البِـرِّ وَمَبَاديـك، ـ أَبْقاهُ الله ـ تَوجَّهَ لِمَا يُنْهيهِ شِفاهـاً إليك، ويـورِدُهُ حِوَاراً عليـك، وقد مَـلأ بشكرِكَ حقائبَهُ، وَحدا بِتَأْميلك ركائبَهُ؛ وأَنْتَ بمَجْدِكَ تُعْنِيهُ فيما يتوقَّعُـهُ مِنْ أَمرٍ حـازبٍ، وتَرْتَصِدُ إنْجَـادَهُ مِنْ مكانِ كَثَبٍ غَيْـرِ غاربٍ، وتَتَـوخَّى مَعَهُ مـا تَسْتَجيزُ بـهِ وَلاَءَهُ، وَتَسْتَرِقُّ مَعَهُ ثَنَـاءَهُ، وتَسْتَثيرُ بِـهِ مِنْ حَمْدِهِ، مـا يَفوتُ عَبَق الـطِّيب، ويَفْضَحُ أَرجَ الغُصنِ الرَّطيب، إنْ شاءَ اللَّهُ، لا زِلْتَ مَلْجَأً لذي العُسْرة، ومَفْجَأً للحذِرِ بالأَمانِ

---

(١) ر س: الإخاء.

(٢) ر ق س ط: وقاطفاً.

(٣) ر ط: كمائم..

(٤) هذا النصّ زيادة في م.

والعُصْـرة[1]، بحول اللَّه؛ وأَقْـرَأُ عليك يـا سيّدي الأعْلى سَـلاَماً كـريماً مُقيمـاً، والسـلام الأجزل، عليك ورحمة اللَّه.

وَلَهُ[2]:

(طويل)

ويَـوْمٍ لَنَـا بـالخَيْفِ[3] رَاقَ أصيلُهُ ... كـمـا راقَ تِبـرٌ لـلعُيـونِ مُـذابُ
نَعِمْنَـا بـهِ والنَّهْـرُ يَنْسـابُ مـاؤهُ ... كَمَا انْسابَ ذُعْراً ـ حينَ ريع ـ حُبَابُ
وللمَـوْجِ تَحْتَ[4] الرِّيـحِ مِنْـهُ تَكَسُّـرٌ ... تَـوَلَّـدَ فَـوْقَ المَتْنِ مِنْـهُ حَبَـابُ
وقَـدْ نَجمَتْ قُضْبٌ لِـدانٌ بشَـطِّهِ ... حَكَتْـهَـا قُـدودٌ لِلحسـانِ رِطَـابُ
وأَيْنَـعَ مُخْضَـرُّ النَّبـاتِ خِـلاَلَهـا ... كَمَـا أَقْبَلَتْ[5] نُعْمَى ورَاقَ شَبَـابُ

وكَتَبَ عَنْ أَحَـدِ الأُمـراءِ إلى قَـوْمٍ عِلْيَـةٍ شَفَعـوا لجُنَـاةٍ[6]: طـاعتُكُمْ ـ أَبْقَـاكُمُ الله ـ ثـابِتَـةُ الـرُّسـوم، واضِحَـةُ الـوُسـومِ، وضَـمَـانَتُكُمْ/ بـالسُّلْطانِ ـ [١٦٩/و] عَصَمـهُ اللَّهُ ـ ضَمَـانَـةَ الجَبَـان بـالحيـاةِ، وإعْـدادُكُمْ للمُكـافحَـةِ عن الـدَّوْلَـةِ ـ وَطَّدها اللَّهُ ـ إعْـدادَ المهلَّب[7] للْبَيات، فمـا لَكُمْ والشَّفاعـةُ برُعـاعٍ[8] نَدُّوا عن

---

(١) العُصْرة: بالضم الملجأ والمنجاة، واعتصرتُ بفلانٍ وتعصَّـرْت، أي التجأت إليه، وكذلك قوله تعالى: ﴿فيه يُغاث الناس وفيه يَعْصِرون﴾، أي ينجون. (يوسف: ٤٩).

(٢) انظر: الخريدة: ٢/٤٥٠.

(٣) الخيف: بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره فاء: ما انحـدر من غِلظ وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سُمّي مسجد الخيف من منىً. (معجم البلدان: ٢/٤١٢).

(٤) تحت الريح: ساقطة في س. وفي ر: في الأعطاف، ط ع: في الغبرين.

(٥) س ط: كما اقتبلت.

(٦) انظر النص: الخريدة: ٢/٤٥٤.

(٧) المهلب بن أبي صُفرة: من مشاهير قادة بني أُميَّة، له يد في القضاء على الخوارج. والبيات: التروّي والمباغتة.

(٨) ر ب ق ط: لرعاع، وكذا في الخريدة، ع: في رعاع.

عِصْمَة الجماعة، ونَفُروا، وخاسوا بذِمام الطَّاعة، وخفروا[1] ثُمَّ ﴿ودُّوا لو تكْفرونَ كما كفروا﴾[2]، فارْفُضُوهُمْ عن جَمَاعَتكم، وذودُهُمْ عن حِياضِ شفاعتكُمْ، ذيادَ الأجْرب، عن المَشْربِ، فنحن لا نُقْبِلُ على تَوسُّلِ مُسْتخفٍّ بالنِّفاقِ مُستسرٍّ، ولا نَقْبَلُ الْخِدْعَة من مُتَمادٍ على الْغَوَاية مُصرّ، والسَّلام[3].

ولَهُ فَصْلٌ مِنْ رسالةٍ في إهداءِ فَرَسٍ[4]: وَقَدْ بَعَثْنا[5] إليك ـ أيَّدك اللَّهُ ـ بجوادٍ يَسْبِقُ الحلْبَةَ وهو يَرْسُفُ ويتمهَّل[6]، «مَتَى[7] ما تَرِقُّ العينُ فيهِ تَسَهَّلُ»، يَزْحَمُ مَنْكِبَ الجَوْزاءِ بك مَنْكِبُهُ، وَتَزِلُّ عن مَتْنِهِ حين تركَبُه، إنْ بَدا، قُلْتَ: ظَبْيَةٌ ذاتُ غَرارةٍ، تَعْطو إلى عَرارةٍ، أو عَدا قُلْتَ: انقضاضُهُ[8] شِهابٌ، أوْ اعتراضُهُ[9] بارِقٌ ذو الْتهابٍ، فاضْمُمْهُ إلى آريِّ[10] جيادِكَ، واتَّخِذْهُ لِيَوْمَيْ رِهانِكَ وطِرادك، إن شاء اللَّهُ[11].

وأصْبَحْتُ يَوْماً مُنْبَسِطَ النَّفْس، مُعْتَرِضَ الأُنْسِ، فَمَرَّ بي فارِسٌ يَحملُ كُتُباً

---

(١) بقية النسخ: وختروا، والختر: الغدر ونقض العهد.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٩.

(٣) والسلام: ساقطة في ر: وفي ب ق س ع: إنْ شاء الله، ط: بحول الله.

(٤) انظر النص: الخريدة: ٢/٤٥٣.

(٥) ب ق: بعثت.

(٦) ط: وهو يرشف ويتهلّل.

(٧) ب ق: متى ترمق، والخريدة: متى ما ترقى العين فيه تستهل. وهو عجز بيت لامرىء القيس، صدره: (الديوان: ١٦٥).

ورُحْنا وراح الطَّرفُ يَقْصُرُ دونه

(٨) ب ق ط: انقضاض شهاب، أو اعتراض بأرق ذي التهاب.

(٩) ر س: واعتراضه.

(١٠) الخريدة: إلى آويّ جيادك.. والآوي: التجمّع والتحشّد. وآري جيادك: جنسها، ولعلّه منه الجنس الآري الذي تجمعه بعض الخصائص السّلالية.

(١١) ب ق: إن شاء الله عزَّ وجلّ.

إليه، وهو[1] يَنْفُضُ للسُّرْعَةِ مِذْرَوَيْه[2]، فحمَّلْتُهُ بيتَيْن يَضَعُهُما[3] في يَدَيْه، وهما[4]:

(طويل)

عَسَى رَوْضَةٌ تُهْدى إليَّ أنيقَةٌ ... تُدَبِّجُ أسْطاراً على ظَهْرِ مُهْرَقِ
/أُحَلِّي بها نَحْري عَلاءً وسُؤْدَداً ... واجْعَلُهَا تاجاً بَهِيّاً بمَفْرِقي[5] [١٧٠/ظ]

فَكَتَبَ إليَّ مُراجعاً:

(طويل)

أتتنيَ[6] عَنْ شَخْصِ الْعَلاءِ تَحيَّةٌ ... كَرَادِ الضُّحَى في رَوْنَقٍ وَتَأَلُّقِ[7]
أَتَمُّ مِنَ الرَّيْحان يُنْضَحُ بالنَّدى ... وأطْرَبُ مِنْ سَجْعِ الحَمَامِ المُطَوَّقِ
سُطَيْرانِ[8] في مَغْزاهما أَمْنُ خائفٍ ... وسَلْوَةُ مَشْغُوفٍ وأُنْسُ مُشَوَّقِ
نَصَرْتَ أبا نَصْرٍ بها هِمَمَ العُلَى ... وأطْلَقْتَ مِنْ آمالِها[9] كُلَّ مُوثَقِ

وحَمَلَنَا الوزيرُ[10] الفقيهُ القاضي أبو الحسن بنُ أضْحى، إلى إحْدى

---

(١) بقيّة النسخ: وينفض.

(٢) ب ق ط: مردويه. والمِذْروان: الجانبان من كلّ شيء. ويقال: جاء ينفض مذرويه، وهما منكباهُ، أي جاء بختال أو باغياً يتهدّد.

(٣) ر: ليضعهما.

(٤) انظر: الخريدة: ١/٤٥١.

(٥) الخريدة: لمفرقي.

(٦) ب ق: على.

(٧) ب ق: وتأنّق.

(٨) الخريدة: وسطران.

(٩) س: آمالنا.

(١٠) ثمّة إشارة إلى أصالة بيت بني أضحى في «تاريخ قضاة الأندلس»: ١٢٥، وأبو الحسن بن أضحى مؤلف «كتاب قُوت النفوس، وإنس الجلوس»، ومن ذرّيته القاضي محمد بن أضحى الهمداني.

ضِيَاعِهِ بخارج غرناطةَ[1] وَمَعنا الوزيرُ ابو مُحَمَّدِ بنُ مالك[2]، وجماعـةٌ مِنْ أَعْيان تلك الممالك[3]، فَحَلَلْنَا بضَيْعَةٍ لَمْ يَنْحَتِ المَحْلُ أَثْلَهَا، ولَمْ تَرْمُقِ الْعُيونُ مِثْلَها، وَجُلْنا بها في أَكْنـافِ جنَّاتٍ أَلْفـاف، وما[4] شِئْتَ من دَوْحَـةٍ لَفَّاءَ، وغُصْنٍ يَميسُ كَمَعْـطِفَيْ[5] هَيْفَاءَ، وَمَـاءٌ يَنْسابُ في جَـدَاوِلِهِ، وزَهْـرٌ يُضمِّـخُ بـالمسـكِ راحـةَ مُتَناوِلِهِ؛ ولمَّا قَضَيْنَا مِنْ تلك الحدائق أَرَبا، وافْتَضَضْنَا مِنها أَتْـراباً[6] عُـرُبَا، مِلْنـا إلى مَـوْضع الْمَقيـل، وزُلْنَا [7] عَنْ مَنَـازلَ تُزري بمنـازِلِ جُذيمـةَ [8] مَعَ مـالكٍ وعَقيل، وعند وصولنا بَـدا لي من أَحدِ الأَصْحـاب تَقْصيرٌ في المبَـرَّةِ، عَرَضَ لي مِنْهُ تكديرٌ لتلك العَيْن الثَّرَّة، فأَظْهَرْتُ التَّـاقُلَ أَكْثَـرَ ذلك اليـوم، ثُمَّ عَدَلْتُ عَنْهُم
[١٧٠/و] إلى الاضطجاع والنَّـوْم، فما اسْتَيْقَـظْتُ إلاَّ والسَّماءُ/ قَـدْ نُسِخَ صَحْـوُها، وغَيَّمَ جَوُّها، والغَمَامُ مُنْهَمِلٌ، والثَّرَى مِنْ سُقْيَاهُ ثَمِـلٌ، فبَسَطَني بتَحفِّيـه، وأَبْهَجَني بِبِرٍّ لم يَزلْ يُتَمِّمُهُ ويوفِّيه، وأَنْشَدَني [9] :

---

(١) غَرْنَاطة: بفتح الغين المعجمة وسكون الرَّاء وفتح النُّون وبعد الألف طاءٌ مهملة ثم هاء، وهي مدينة بالأندلس، وآخر معاقلهم هناك. (ابن خلكان: ٣/٤٨٥).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ب ق: المسالك.

(٤) ب ق: فما.

(٥) ب ق: كعطفي.

(٦) ع: أبكارا.

(٧) ر س ط: ونزلنا بمنازه تزري بمنازه جذيمة، ب ق ع: وزلنا عن منازل تزري بمنازه جذيمة.

(٨) هو جذيمة بن مالك بن عامر التَّنوخي الأبرش، أول مَنْ قاد العرب، ومَلَكَ على قُضاعة، وكانت منازله الحِيرة والأنبار.

ومالك وعَقيل، رجلان من قضاعة، وهما ابنا فـارج، وهما نَـديما جـذيمة اللذان يضرب بهما المثل، وقد قتلهما جذيمـة في أثناء سكـره؛ وقد نَـدِم على ذلك. (سـرح العيون: ٧٧ ـ ٨١).

(٩) انظر: الخريدة: ٢/٤٥٢.

(بسيط)

يَـوْمٌ تَجهَّمَ فيـه الأُفْقُ وانْتَشَـرَت [1] مَـدَامِعُ الغَيْثِ في خَـدِّ الثَّـرَى هَمَـلا
رَأى وُجُـومَـكَ فـآرْتَـدَّتْ طَـلاقتُـهُ مُضَـاهِياً لَـكَ في الأَخْـلاقِ مُمْتَثِـلا

وكَتَبَ يَسْتدعي إلى مَجْلسِ أُنْسٍ [2]: يَوْمُنَـا ـ أَعَزَّكَ الله ـ يَـوْمٌ قَدْ نُقِّبَتْ [3] شَمْسُهُ بِقِنَاع الغَمَام، وذُهِّبَتْ كأْسُهُ بشُعاع المُدَام، ونَحْنُ مِنْ قِطارِ الوَسْميّ، في رداءِ هَدِيّ، وَمِنْ نضيرِ النُّوَّار على نضائد [4] النُّضَار، ومِنْ بَوَاسم الزَّهْرِ في لطائم العِطْر، ومِنْ غُرِّ النُّدْمَانِ، بَيْن زَهْرِ البُسْتان، ومِنْ حركاتِ الأَوْتار، خلال نَغَماتِ الأَطيـار، ومِنْ سُقَـاةِ الكؤوس، ومَعَـاطي الْمـدام [5] بَيْن مُشْـرقـاتِ الشُّمـوس، وعَواطي الآرام؛ فَرأْيُكَ في مُصـافَحةِ الأَقْمـار، ومُنافَحَـةِ الأَنْـوار، واجتـلاءِ غُررِ الظِّباءِ [6] الجوازي، وانتقاءِ دُرَر الغِنَاءِ الحِجَازي، مُوَفَّقاً إنْ شاءَ اللَّهُ.

وكَتَبَ [7] إلى الأميـرِ عبدالله بنِ مَـزْدلي [8]؛ وقد أَحَسَّ في جـانبه بمـطالبـةٍ كدَّرَت صَفْوَهُ، وقَصَّرَت خَطْوَهُ، وأَحْنَقَتْهُ عَلَيْهِ، وصَـوَّرَتْهُ جـانياً لَـدَيْهِ، أَيَّـامَ خُطَّة الإشراف، قَلَّدَهُ وأَخَذَهُ بتوَلِّيها، وأَفْرَدَهُ فأَقْفَرَ لَهَا رَبْعُ أُنْسِهِ واسْتَشْعَـرَ الخَوْفَ على نَفْسهِ، فكتبَ إلَيْهِ هذه القطعة، ـ والنَّثْرُ بَعْـدَها ـ/ يَسْتعْـطِفُهُ ويتَعـرَّفُ مَذْهَبَـهُ فيه [١٧١/ظ] ويَسْتَلْطِفُهُ:

---

(١) ر ب ق ط: وانتشرت.
(٢) انظر: الخريدة: ٢/٤٥٢.
(٣) ط: يوم تنقّبت.
(٤) ب ق: نظائر النظّار.
(٥) م: الندام.
(٦) الظباء: ساقطة في م.
(٧) هذا النصّ زيادة في م.
(٨) تقدمت ترجمته.

(كامل)

زَعَمَ العَدُوُّ بأنَّ مَبْنَى إثْرَتي ... عِنْدَ الأميرِ - بسَعْيِهِ - يَتَهَدَّمُ
كَذَبَ العَدُوُّ وَخَابَ جاهِدُ سَعْيِهِ ... فالطَّبْعُ أشْرَفُ والْخَلاَئِقُ أعْظَمُ
أنَّى يُهَدَّمُ بَيْتُ جَاهٍ شادَهُ ... مِنْهُ التَطوُّلُ والفِعالُ الأكْرَمُ
أنَا دَوْحَةٌ بِنَدَى يَدَيْهِ مَجُودَةٌ ... شُكْرِي عَلَيْهَا طائِرٌ يَتَرَنَّمُ
إنْ أخْطَأتْ لِلْبِشْرِ مِنْهُ غَمَامَةٌ ... فَعَقِيبُهَا أُخْرَى بِنُعْمَى تُنْجَمُ

كَتَبْتُهُ أدامَ اللَّهُ - يا مَوْلاي - سَعْدَك، عَنْ أسىً مُحرِجٍ، وأسَفٍ مُزْعِجٍ، وَكَمَدٍ للنَّفْسِ مُنْضِجٍ، تَلْحَظُني الحَسْرَةُ خَزْراً، وتَرْمُقُني بعَيْن الشَّنْأةِ والبَغْضاءِ شَزْراً، وتَتَحادثُ في الْمَلإ أنَّها هَدَّتْ مِنْ حَالي مَبْنِيًّا، وتَتَفاخَرُ في المَشَاهِدِ أنَّها حَطَّت مِنْ مَحَلِّي عَليًّا، مَعَ سَفَاهٍ تَنْزِلُ صَوَاعِقه فلا تَقْتَصِر، وَسِبَابٍ تُرْسَلُ شُواظُهُ فلا أنْتَصِرُ، وعِيَاذاً باللَّهِ أنْ يُصيبَ ظَنُّهَا الكاذبُ، وزَعْمُهَا الخائبُ، أو يَنْجَحَ في جَانبي خَبيثُ سَعْيِهَا، أو يُوقَعَ القَبولُ على بَغْيِهَا؛ وَحَاشى لِفَضْلٍ أسْدَلْتَهُ عليَّ ضَافي الجِلْباب، قَشِيبَ الأثْوابِ، أنْ يُمَزِّقَهُ سَعْيُ أثيمٍ، مَشَّاءٍ بِنَميمٍ.

ولَوْ فَضَحْتُ سَرِيرَةً، أوْ اقْتَرَفْتُ جَرِيرةً، لَوَسِعَني حِلْمُكَ المحتَمِلُ للْعظائِم، وَغَطَّاني صَفْحُكَ الْمُغْضِي عَلَى الجرائِمِ، وَلَكَانَ في حُكْمِ الفَضْل
[١٧١/و] الَّذي مَلَكْتَ عِنَانَهُ، وَحُزْتَ/ بإحراز السَّبْق مَيْدانَهُ، لَوْ صَحَّتِ الغَلْطةُ وحَقَّتِ السَّقْطَةُ، أنْ أعاقَبَ سِرّاً في ذَاتِي، دون أنْ تَشْمُتَ بي في العلانية عِدَاتي؛ وقد أعْتَمَتْ عَليَّ مسالِكُ حالي، وَكُسِفَ لأقوال الأعداءِ السُّفَهاءِ بالي، وَوَكِلْتُ بشُغْل النَّفْسِ، وأُوحِشْتُ من مَكانِ الأنْس؛ ولستُ أجملُ مَطْلَبي لَدَيْكَ أحَداً، وَلاَ أمُدُّ بِضَرَاعَتِي سِوَى يدي نَحْوَكَ يَدَا، ولا أتَشَفَّعُ بِبَشَرٍ إليك، وَلاَ أتوسَّلُ بمخلوقٍ بَيْنَ الكريمتين يَدَيْك، حَسْبيَ أنْ أسْتَنْزِلَ الكَرَمَ الَّذي ما أخْطَاني شَآبيبُهُ، وأتَنَسَّمَ عَرْفَ الفَضْل الذي ما تَعَدَّاني أرَجُهُ وَطيبُهُ، وَضَراعَتِي إلى كَرِيمٍ

سُلْطَانِكَ. مُرَاجَعَـةً عَزِيـزةً أَسْفَل رُقْعَتِي، تُسكِّنُ نَفْسي، وتُمَكِّنُ أُنْسي، وتُـريني آثار الرِّضىَ نَيِّـرَةَ اللَّألاءِ، سـاطعةَ الأَضْـواءِ، ماحِيَـةً لأَقْوال الحَسَـدَةِ الْحَمْقاءِ، وَتَقِفُني مِنْ أَمْري كُلِّهِ، على ما آتي وأَذر، وَأُقَدِّمُ وَأُؤَخِّرُ، لِأَكْبُتَ بذلك الحاسِدَ، وأُرْغِمَ المُراصِدَ؛ واللَّهُ يُطيلُ بَقاءَكَ، وَيَنْصُرُ لِواءَكَ، بعزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

ذو الوَزارتَيْن[1] الكاتب أبو عبدالله بنُ أبي الخصال رحمه الله[2]

حَامِلُ لواءِ النَّباهة، الباهرُ بالروِّيةِ والبَدَاهَةِ، مَعَ صَوْنٍ وَوَقَارٍ، وشِيَمٍ كصَفْوِ
[١٧٢/ظ] العُقار، ومِقولٍ أمْضَى[3] مِنْ ذي الفَقَارِ[4]، ولَهُ أدَبٌ بَحْرُهُ/ يَزْخَرُ، ومَذْهَبٌ
يُبَاهي بِهِ وَيَفْخَرُ[5]، وهو وإنْ كانَ خامِلَ المَنْشَإِ نازِلُهُ، لَمْ يُنَزِّلْهُ المجدُ مَنَازِلَهُ،
ولا فَرَعَ[6] للعَلاَءِ هِضَابًا، وَلاَ ارْتَشَفَ للسَّنَاءِ[7] رُضَاباً، فَقَدْ تَميَّزَ بنَفْسِهِ وتحيَّز
من جنسه، وظَهَرَ بذاتِهِ، وتَطَهَّرَ من يَد أداته[8]، والّذي أَلْحَقَهُ[9] بالمَجْدِ، وأَوْقَفَهُ

---

(١) الوزير الكاتب الشاعر أبو عبدالله محمّد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي، له تفنّن في العلوم والآداب، ووزر للأمير المرابطي عليّ بن يوسف بن تاشفين، وكتب عنه رسائل كثيرة، وله تصانيف كثيرة ذكرها صاحب المطرب: ١٨٧، وتوفي مقتولاً سنة ٥٣٩ أو ٥٤٠ هـ. (الخريدة: ٢/٤٥٩، والصلة: ٢/٥٨٨، وفيه أنه توفي شهيداً، والمعجم لابن الأبار: ١٤٩، والمعجب: ٢٣٧، ٢٤٠، وبغية الملتمس رقم: ٢٨٢، والذخيرة: ٣/٢/٧٨٦، والمغرب: ٢/ ٦٦، والنفح: ٣/٢٦٨).

(٢) ر: رحمه الله تعالى، ب ق س: أعزّه الله، وهذا الترحّم ساقط في ع.

(٣) ب ق: أصفى.

(٤) ذو الفقار: كان اسمُ سيف النبيّ ﷺ، ذا الفقار؛ لأنه كان فيه حُفرٌ صِغارٌ حسان. (اللسان: فَقَرَ).

(٥) حامل لواء النباهة... ويفخر: ساقطة في ر س ط ع.

(٦) ر: قرع.

(٧) ط: النساء.

(٨) ر ب ق س ط: وفخر بأدواته، ع: وفخر بحلاه وأدواته...

(٩) ر: والذي أتحفه.

بالمكان النَّجْد، ذَكاءٌ طُبِعَ عَلَيْهِ طَبْعُهُ، ونَجَمَ في تُرْبَةِ البَلاَغَـة[1] غَرْبُـهُ ونَبْعُهُ[2]، وتَعَلَّق بأبي يَحيى بنِ محمّد بنِ الحاج[3] وهو خاملُ الذِّكر، عاطِلُ الْفِكْـر، فَمَلكَ قيادَ مَأْمولِهِ، وَهَبَّ مِنْ مَـرْقَدِ خُمُـولِهِ، وقَـدَحَ اسْتِعْمالُـهُ إيَّاهُ زِنَـادَ ذَكائِـهِ، وأَبْدَى شُعـاعَ ذُكائِـهِ، ولَمْ يَزَلْ عـاثراً مَعَـهُ ومُسْتَقِلاً، ومُثْـرِياً حينـاً وحيناً مُقِـلاً، إلى أَنْ تَورَّطُوا في تلك الفتنةِ التي أَلْقحوا[4] حائلها، ومـا لمحوا مَخَـائِلَها، فَـطمِعُوا أَنْ يَخْتالوا[5] مِنْ أميرِ المسلمينَ مُلْكاً مَعْصُوما، وأَبْرَمُوا مِنْ كَيْدهم ما غَدا بَيد القَـدَرِ مَفْصُومَا، وفي أَثْناءِ بَغْيهم، وخلال حَـرْبهم الوَبيـل وَسَعْيِهِمْ، كانت تَـرِدُ عليهم مِنْ قِبَلِهِ ـ أَيَّدهُ اللَّهُ ـ كُتُبٌ تَحِلُّ ما رَبَطُوهُ، وَتَروعُهُمْ مِمَّا تَأَبَّطُوهُ، فلم يكُنْ لهم بُدٌّ مِنْ إدْنائهِ، لِحُسْن مَنَابِهِ في المـراجَعَةِ عنهم وغَنَـائه [6]، فَـوَرَدَ عليهم لَيْلَةً كتابٌ راعَهُمْ، وأَنسـاهُمْ جِلادَهُمْ وقِـراعَهُمْ، وَهُمْ بمجلس أُنْسٍ فَصَحَوْا مِنْ حُمَيَّـاهُ، وَمَحَـوْا منه عَبْقَ الأُنْسِ وَرَيَّـاهُ، واسْتَـدْعـاه في ذلـك الحين، / للمـراجعـة عن [١٧٢/و] فُصوله، والمعارضةِ لفُروعه وأُصـوله، فـأبان عن الغَـرَضِ، وخَلَّصَ جَوْهَـرَهُ من كُلِّ عَرَضٍ، وأَبْدَعَ في إحْكامِهِ، وبَرَعَ في قَضَاياهُ وأَحْكامِهِ، فحمَلَ أبا يَحْيَى بنَ مُحَمَّدٍ اسْتُحْسانُ ما كَتَبَهُ، أَنْ خَـطَّطَهُ للحينِ وَلَقَّبَهُ[7]، والمُـدَامُ لِرأْيـهِ القائـلِ[8]

---

(١) بقيّة النسخ: النباهة.

(٢) بعدها في ع: فنهض نحو الأفلاك، وقَعَدَ على ذروة السّماك.

(٣) أبو يحيى بن محمّد بن الحاج: من أمراء المرابطين، وقد كان وقع بينه وبين أبي نصر بن خاقان في بعض الأيام تنـازع أدّى إلى الإنفصال، ثم انقشعت تلك المخيلة. (انظر المطرب: ١٨٨، والنفح: ٧/ ٣٠).

(٤) ب: ألفحوا، ق: ألفو، «كذا» دون ألف الإلحاق.

(٥) ب ق س: يغتالوا، ط: يقاتلوا.

(٦) ط: وعتابه.

(٧) بعدها في ع: وثَنّى له بالوزارة، وأعلى رُتَبَه.

(٨) ب ق: البائل، ط: القابل.

مالكةً، ولِفعْلِهِ في طُرُقِ الخَبَال سالِكَةً، فَلَمْ يُعْمِلْ فيها فِكْراً، ولَمْ يَتَأَمَّلْ أَعُرْفاً أَتَى أَمْ نُكْراً، فَجَرتْ عَلَيْهِ لَقَباً، وأَعْلَتْهُ مِنَ الاشْتِهارِ مَرْقَبَا، وصَارَ مُرْتَسِماً في العِلْيَةِ، مُتَّسِماً بتلك[1] الحِلْيَة.

وما زالت الدُّول تَسْتَدْنيهِ نائياً[2] وتُنْئيه دانياً، ولا تجعله[3] مَجْنِيّاً عليه ولا جانياً، فما بِيَدِهِ رَفْعُ شُؤمِهِ[4]، ولا مَحْوُ وشُومِهِ؛ وقد أَثْبَتُّ لَهُ مَا تَجْتَلِيهِ فَتَسْتَحْلِيهِ[5]، وتَلْمَحُهُ فتَسْتَمْلِحُهُ، فمن ذلك قَوْلُهُ في مُغَنٍّ زارَ بَعْدَ ما أَغَبَّ، وَشَطَّ مِنْهُ المزار[6]:

(كامل)

وَافَى وَقَدْ عَظُمَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُهُ ... في غَيْبَةٍ قَبُحَتْ بِهِما آثَارُهُ
فَمَحَا إِسَاءَتَهُ بِها إِحْسَانُهُ ... واسْتَغْفَرَتْ لِذُنُوبِهِ أَوْتَارُهُ[7]

وَلَهُ في قِينَةٍ:

(البسيط)

لَوْلا المَشِيبُ وما أَخْشَاهُ من فَنَدٍ ... لَصِحْتُ: واحَرَّ ما أَلْقَاهُ مِنْ دَنَفِ
رَمَتْ فؤادي بِسَهْمٍ صُبَّ مِنْ أُذُنِي ... على الفُؤادِ فَلَمْ يَعْدِلْ وَلَمْ يَصِفِ
لَوْ سَاجَلَتْ مَعْبَداً في بُعْدِ رُتْبَتِهِ ... لاسْتَعْبَدَتْهُ، وأَبْدَى ذُلَّ مُعْتَرِفِ
أَمَّا الفُؤادُ فَفي آثَارِ نِعْمَتِهَا ... وَمَا أُحِسُّ لَهُ إِقْبَالَ مُنْصَرِفِ
وَقَدْ وَقَفْتُ على تَفْصِيلِ صَنْعَتِهَا ... وأَيُّ حُسْنٍ عَلَيْهَا الْيَوْمَ لم يَقِفِ؟!

---

(١) ب: بتلى.
(٢) نائياً: ساقطة في ر.
(٣) ولا تجعله: ساقطة في م.
(٤) ط: رفع شمومه.
(٥) بعدها في ط: وتمقله فتنقله.
(٦) انظر: الخريدة: ٢/٤٦٠..
(٧) بعد هذين البيتين تنفرد «ع» باربع مقطوعات لم تَرِدْ في غيرها.

وَلَهُ ايضاً:

(وافر)

بِعِيشِكَ لا تَنَمْ عن طيبِ عَيْشٍ ... صَفَا بَيْنَ المثالثِ والْمَثاني
وبادِرْ قَبْلَ بادِرَةِ اللَّيالي ... فإنَّكَ أَوَّلٌ والْمَجدُ ثاني
بِحَيْثُ الوَرْدُ مُنْخَفِضُ الْمَجاني ... وحَيْثُ النَّدُّ مُرْتَفِعُ الْعَنانِ

وَلَهُ يتغزَّلُ:

(الكامل)

وَمُدَجَّجٍ بالْحُسْنِ كُلَّ مُدَجَّج ... في الْحَرْبِ يَصْرَعُهُ بِطَرْفٍ أَحْوَرِ
ومُذَكَّرٍ مَالَ الْفُتُورُ بَعِطْفِهِ ... فَاخْتَالَ بَيْنَ مُؤَنَّثٍ ومُذَكَّرِ
فَحُسَامُهُ وسِهَامُهُ أَلْحَاظُهُ ... وَقِيامُهُ مِنْ قَدِّهِ الْمُتَأَطِّرِ
مُسْتَلْئِمٌ بالْحُسْنِ مُنْتَهِلٌ بِهِ ... والدَّمَّةُ السَّوْدَاءُ أَوْفَى مِغْفَرِ
إنْ كانَ لِلْمَرِّيخِ طَرْفٌ حَائِرٌ ... مِنْهُ، فَعِذْلُ ضَمِيرِهِ فِي الْمُشْتَرِي

وله وقد أَبْدَعَ ما شاءَ، وأُذكِرَ أَنَّ الفضل بيد اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشاءُ:

(طويل)

بنفسي على نفسي خَفِيفُ مَحَلَّهُ ... وفي الْخَصْرِ رِدْفٌ لا يُطِيقُ لهُ ثِقْلا
أَبِيٌّ على الأَحْبابِ يَقْلِي وِصَالَهُمْ ... أبى اللَّهُ إلاَّ أَنْ يُحَبَّ ولا يُقْلَى

وكَتَبْتُ إليه عِنْدَما وَصَلَ [1] أميرُ المسلمين إشبيلية، صادراً عن غَزْوَةِ «طَلَبيرة» [2] سنة ثلاثٍ وخَمْسِ مائةٍ، ووصَلَ في جُمْلتِهِ، ونَزَلَ بمحلَّتِهِ [3]،

---

(١) ع: عندما وصل إشبيلية مع أمير المسلمين. وأمير المسلمين هو علي بن يوسف بن تاشفين. (انظر النص في الخريدة: ٢/٤٦٠).

(٢) طَلَبيرة: بفتح اوّله وثانيه، وكسر الباء الموحدة، ثمَّ ياء مثناة من تحت ساكنة =

واتَّفَقَ لي شُغْلٌ تـوالَى واتَّصَـلَ، إلى أَنْ رَحَـلَ أميـرُ المسلمين ـ أَيَّدَهُ الله [1] ـ وانْفَصَلَ، فسألتُ عَنْهُ، فأُعْلِمْتُ أَنَّهُ سارَ مَعَـهُ، وما فَـارَقَ مُجْتَمَعَهُ، فكَتَبْتُ إليـه [173/ظ] مُسْتَدْعياً مِنْ كَلَامِهِ ما أَثْبِتُه في الدِّيوان/ وأُثْبِتُهُ فيهِ زَهْرَ بُسْتان، فوافـاهُ رَسُولي مِنَ الْبَلد على مَرْحَلَةٍ، في لَيْلَةٍ من ضِيَاءِ البَدْرِ مُمْحِلَةٍ؛ فكتبَ إليَّ مُراجعـاً؛ الحَذِرُ ـ أعـزَّكَ اللَّهُ ـ يُؤْتَى مِنَ الثِّقةِ، والحبيبُ يُؤْذَى مِنَ المِقَـةِ [2]، وقـد كُنْتُ أَرْضَى مِنْ وُدِّكَ، وهـو الصَّحيحُ بِلَمْحَـةٍ، وأَقْنَعُ مِنْ ثَنَـائِكَ وهـو المِسْكُ بنَفْحَـةٍ، فمـا زِلْتَ تُعَرِّضني للامتحان، وَتُطَالِبُني بـالبُرْهَـان، وتَأْخُـذني بالبيـان؛ وأَنا بنفسي أَعْلَمُ، وعلى مِقْـداري أَحْوَطُ وأَحْـزَمُ، والمُعَيْدِيُّ يُسْمَـعُ بـه لا أَنْ يُـرى [3]، وإِنْ وَرَدَتْ أَخْبارُهُ تَتْرَى [4]، فَشَخْصُـهُ مُقْتَحَمٌ مُزْدَرى، لا سِيَّمـا [5] بمَنْ لا يُجَلِّي ناطقـاً، ولا يُبرِّزُ سابقاً، فَتَرْكُمُه [6] والظُّنـونُ تَرْجُمُـه، والقال والقيـلُ يَقْسِمُهُ، والأوهـامُ تُحِلُّهُ وتُحْـرِمُهُ، وتُخْفيـهِ [7] وتَخْتَرِمُـهُ؛ أَوْلَى بهِ مِنْ كَشْفِ القنـاع، والتَخلُّفِ عَنْ مَنْزِلَـةِ الامتنـاع [8]، وفي الـوقت من فـرسـان هـذا الشَّأْن، وأَذْمـار [9] هـذا المِضْمَـار،

= وراء مهملة، مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، كبيرة قديمة البناء على نهر تاجُة، وكانت حاجزاً بين المسلمين والإفرنج، إلى أن استولى الإفرنج عليها. (معجم البلدان: ٤/٣٧).

(٣) ر ط: في محلّته.

(١) أيّده الله: ساقطة في ر ط.

(٢) حاشية س: هذا قِسْمٌ للمتنبي: «وقد يُؤْذى من الْمِقة الحبيب». وصدر البيت:

يُجَمِّشُـكَ الزَّمـانِ هـوىً وحُبّـاً ..... (الديوان: ١/٧٢)

(٣) إشارة إلى المثل: تسمع بالمعيديِّ خيرٌ من أن تراه. (مجمع الأمثال: ١/١٢٩).

(٤) ر: تتلى.

(٥) ب ق: ولا سيّما من، ط: ولا سيما بمن.

(٦) بقية النسخ: فتركه.

(٧) ب ق س: وتخفيه، ط: وتجفيه.

(٨) ب ق: الإمتاع.

(٩) م: وأضمار، وأذمار: وهي الفرسان الشجعان، جمع ذمر.

وقُطَّان[1] هذه المناهِلِ، وَهُداةِ تلك المجاهل، مَنْ تَحْسُدُ فِقَرَهُ الكواكبُ، وَيَترجَّلُ منها إليه الرَّاكبُ؛ فأمَّا الأزاهِرُ فَمُلْغَاةٌ[2] في رُبَاها، ولو حُلَّتْ عن المِسْكِ حُبَاها، وَصيغَتْ من الشَّمْسِ حُلاَها، فَهْيَ تَنْظُرُ مِنَ الوَجْدِ بكُلِّ عَيْنٍ شَكْرىَ[3] لا نَكْرَىَ، وإذا كانت أنْفاسُ هؤلاءِ الأفراد[4] مَبْثُوثَةً، وبَدائِعُهُمْ مَنْثوثَةً، وخواطرهم على محاسن الكلام مَبْعوثة، فَما غادَرَتْ مُتَرَدَّما[5]، ولا اسْتَبْقَتْ/ لمتأخِّرها[6] مُتَقَدَّما، فعندها يَقِفُ الاختيار، وَبِهَا يَقَعُ المُخْتارُ، وأنا [١٧٣/و] أُنَزِّهُ ديوانَهُ النَّزيهَ، وتَوْجيهَهُ الوَجيه، عن سَقَطٍ من المَتَاع، قليلِ الإمتاعِ، ثقيلِ رُوح السَّرْد، مُهْلكِ صِرِّ البَرْد، إلاَّ أنْ يَعُودَ بِهِ جَمَالُهُ، ويَحْرُسَ بِنَقْصِهِ[7] كمالَهُ، وهَبْهُ ـ أعَزَّهُ اللَّهُ ـ قَدْ اسْتَسْهَلَ اسْتَلْحاقَهُ، وطامَنَ لَهُ أخْلاقَهُ، أتُراني أُعْطي الكاشحين في إثْباتِهِ يَدا، وأتْرُكُ عَقْلي لَهُمْ سُدىً؟ وَمَا إخالُكَ تَرْضَاهَا لي مَعَ الوُدِّ خُطَّةَ خَسْفٍ، وتَهْواها[8] لي رُتْبَةَ حَيْفٍ؛ لا يَسْتَقِلُّ غبينُهَا، ولا يُبِلُّ ظَعينُهَا.

وَلَهُ في فَصْلٍ منها[9]، فَلَمْ نَحُلْ بطائلٍ، وَصِرْنَا تَحْتَ قَوْل القَائل:

---

(١) ط: وأقطاع.

(٢) ر ب ق: فملقاة.

(٣) ب: شكراً لانكر، وشكري: مملوءة بالدَّمع، من شكرت الناقة، إذا امتلأ ضرعها باللبن. وفي ط: تكرى «بتاء مثناة» وهي من: وكر، فنقول: توكّر الطائر: امتلأت حوصلته والصبيّ: امتلأ بطنه.

(٤) الخريدة: الأقران.

(٥) حاشية س: ماخوذ من قول عنترة: هل غادر الشعراء من متردّم. وتمامه: أم هل عرفت الدَّار بعد توهّم؟ (القصائد العشر للتبريزي: ٣١٧).

(٦) ب ق: لمتاخر.

(٧) ب ق: نقصه، ط: لنقصه، وفي حاشية م: بنقصانه.

(٨) بقيّة النسخ: ومهواة حتف.

(٩) ب ق: وله فصل منها.

(كامل)

تَـرَكَ الـزِّيـارَةَ وَهْـيَ مُـمْـكِـنَـةٌ وَأَتـاكَ مِـنْ مِـصْـرٍ عـلى جَـمَـلِ

الـزِّيـارَةُ أَعَـزَّكَ اللَّهُ هُنَـا مَثَـلٌ، لا لَفْظٌ مُحْتَمَـلٌ، لأَنَّني أُوجِبُهَـا، ولا أَسْتَوْجِبُهَا، وأَقْتَرِضُها[1] ولا أَفْتَرِضُهَا، والتَّأويلُ على كُلِّ حَالٍ لا يَتَعَـدَّى الجميلَ مَذْهَبَاً، ولا يَتَّخِـذُ لِلَيْلِ[2] الشَّـكِّ مَرْكَبـاً، وأَنْتَ المفْتَتِحُ للصِّلَةِ، المُـوَالي[3] لِلْمِنَّةِ المُشْتَملة؛ وإنَّ رسولَكَ وافَى[4] بكتابكَ الخطير، والشَّمْسُ واجِبَةٌ سُقُوطَ مُنَازع، و «حياةَ الذي يَقْضي حُشاشَةَ نـازع»[5]، والبَيْتُ قَدْ غَصَّ ببـانيهِ[6]، وَضَـاقَ لَفْظُهُ عَنْ مَعانيهِ، فاخْتَلَسْتُ أَحْرُفي هٰـذِهِ اخْتلاسَ مُسَـارِقٍ، والْتماحَ بَـارِقٍ؛ والخاطـرُ [١٧٤/ظ] مَخاطرٌ، والشُّغْلُ مُسَاهِمٌ مُشاطِرٌ، يصدرُ في[7] فكري إليه، ويَخْلَعُ / فِقَري عليه إلَّا صُبَابَةً، لا تَرُدُّ صَبَابةً؛ وَرَسيساً لا يَشْفي[8] نَسيسَـاً، ودونَكَ واهي الـدَّعائم، واهنَ العـزائم[9]، يتبرَّأُ تـابِعُهُ مِنْ مُتْبِعـهِ[10]، وَيفرُّ سـامِعُهُ مِنْ مُسْمِعِـهِ، ولَـوْلا أَنَّ

---

(١) ب ق: وأفرضها، ط: وأفرضها ولا استفرضها.

(٢) بقية النسخ: ليل الشك.

(٣) بقية النسخ: المولي، ط: المولي للمنة المتصلة.

(٤) ر ب ق: وأفاني.

(٥) حاشية س: هذا قسم ذي الرُّمة، وتمام البيت.

فلمَّا رأيتِ اللَّيلَ والشمسُ حيَّةٌ حياةَ الذي يقضي حُشَاشَةَ نازع

(٦) م: بباديه.

(٧) في: ساقطة في بقية النسخ.

(٨) س: ينفي.

(٩) واهن العزائم: ساقطة في م ر.

(١٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إذ تبرَّأ الذين اتُّبِعُوا مِنَ الذين اتَّبَعُوا، ورأوا العذاب، وتقطَّعت بهمُ الأسباب﴾. (البقرة: آية ١٦٦).

الجوابَ فَرْضَ يُجْـرَحُ مُعَطِّلُهُ، ويَخْـرُجُ عَنْ مِلَّةِ التَّصافي[1] مُبْـطِلُهُ، لاعْتَذَرْتُ، واقْتَصَـرْتُ؛ ولكنّي أُوثـر حَقَّـكَ، وإنْ أَبْقَى عَليَّ دَرَكـاً، وبَـوَّأني دَرْكـا[2]، وقَـدْ حَمَّلْتُ فُلاناً ما سَمَحَ بِهِ الوَقْتُ، وإنْ اشْتَبَهَ عَلَيَّ القَصْدُ والسَّمْتُ، وحاضَرْتُ بما يُسِّرْتُ إلى ذِكْرِهِ، على شَـريطَةِ كِتْمـانِهِ وَسَتْـرِهِ، انْقِيَاداً لأمْـرِكَ، وتصاديـاً[3] إلى عُقوقِكَ ببرِّك[4].

ولــهُ أَيْضـاً[5]، أَيَّــدَكَ اللَّهُ، لَيْسَت الأَذْنـابُ كــالأَعْـراف، ولا الأَنْــذالُ كالأَشْرافِ، ولا كُلُّ أَشْرافٍ، بـأَشْراف، فَثَمَّ مَنْ يَصِمُّ[6] عَمَّـا وَلي، ويَعْمَىَ عن الصَّحيح[7] وَقَدْ جَلِيَ، إنْ ذُكِّرَ نَسِيَ، وإنْ عُذِلَ فَكـأَنَّما أُغْـرِيَ، وكثيراً مـا يَمْتَدُّ شَطَطُـهُ، فَتُحْـذَفُ نُقَطُهُ، وَيُهْجَـرُ نَمَطُهُ[8] وإنْ سـامَحْنَـاهُ في الضَّبْطِ، وأَمْتَعْنَـاهُ بالنَّقْطِ، نَبَذَ[9] الوفاءَ، فَحَذَف[10] الفاءَ، وجَفَا الكريمَ، فـأَلْغَيْنَا الميمَ[11]، ولَـهُ بَعْـدَ ما بَقِيَ، مـا أُلْقِيَ[12]، وإنْ أَشْرَفَ فَعَلَى الخـطيـر العـظيم، وَإنْ اطَّلَعَ ففي

---

(١) ب ق: التصابي.

(٢) الدرك الأولى: التبعة، والثانية: المستوى المتدّني.

(٣) ب ق س: تصدّياً.

(٤) ع: عفوك وبرّك.

(٥) ورد بعض هذه الرسالة في الخريدة: ٤٦٢/٢.

(٦) العبارة مضطربة في م ر س: وفي ب ق: ... يصمّ ما ولي.

(٧) ر ب ق ط ع: الصُّبح.

(٨) ويهجر نمطه: ساقطة في م.

(٩) ط: قبل الوفاء.

(١٠) بقيّة النسخ: فحذفنا، والواو: الحمار الوحشي، أيّ أنه ترك الوفاء.

(١١) فتصبح الكرى وهو السّهاد.

(١٢) ر ع: وله بعدما ألقى. أراد أنه بعد أن حذف الفاء من الوفاء، والميم من الكريم، بقي له الحرفان المحذوفان اللذان يشكّلان كلمة «فم» وهو كناية عن القول دون الفعل.

سواءِ الجحيم[1]؛ ورُبَّ طويلِ النِّجاد، عـريقٍ[2] في الإتْهام والإنْجـاد؛ وَلايَتُهُ أمانٌ، وَعَمَلُهُ جِنَانٌ، وخُلُقُهُ رِضْوَانٌ، تَوَدُّ النُّجومُ أنْ يَنْظِمَهَا في كتابٍ، أوْ يَنْسِقَهَا نَسَقَ حسابٍ، وقد ارْتَقَى بخُطَّتِهِ باذِخَ السَّناءِ، وأخَذَ بضَبْعِهَا رافِعاً إلى السَّماءِ، / [١٧٤/و] فهنـاك ـ وأنْتَ ذاكَ ـ طـاب الْجَنَى وَدَنَتِ المُنَى، وأيْقَنَ الشَّـرَفُ أنَّـهُ في حَـرَمٍ وَحِمَى، أقْسِمُ بـالْمُبْتَسم[3] البـاردِ، والحبيبِ الـوارد، قَسَماً تَبْقَى على الشَّيْبِ جِدَّتُهُ، وَيعَزُّ على المشيب حدَّتُهُ، ذِكْرىَ من ذلك الْعَهْدِ مَدَّتْ بسبَبِهِ، ومتَّتْ إلى القَلْب بنسبِـهِ، لَيُخْبِرُنَّ[4] على الكـرام، وَلَيَجْتَرِؤُنَّ على الأنـام؛ وَلَيأْخُـذُنَّ فَـوْقَ أيْـديها، وَلَيَكْفُنَّ مِنْ تَعـدِّيهـا، مـا لَهَـا تَنْحِتُ أثَـلاتِهِمْ وَتَسِمُهُم بغيـر سمَـاتِهِمْ، وَتَصِفُهُم بصنـاعهم[5]، وتُقلِّهم[6] بقلاعِهِمْ؟. فـأيْنَ أنْتَ مِنَ الذَبِّ؟ وَسَنـامٍ قـد اسْتُؤْصـل بـالجَبِّ، وكَيْفَ ارْتيـاحُـكَ بَعْـدَ شَمْسٍ[7] إنْ دارت؟ ولمكـرمـةٍ[8] كـالشَّمْسِ أشْرَقَتَ وأنـارَتْ؟؛ لاَ جَرَمَ، إنَّـكَ[9] منها على ذِكْـرٍ وبمَدْرَجـةِ حَمْدٍ وشُكْرٍ، وَمَا هـو إلاَّ الشريفُ الأوْحَـدُ، وَمَنْ لا يُنْكَرُ فَضْلُهُ ولا يُجْحَـدُ، أبو بكـرٍ ـ أعَزَّهُ اللَّهُ ـ وناهيك ثناءً، وحَسْبُكَ علاءً وسناءً، فَتىً دُهِيَ في ضَيْعَتِهِ هُناكَ بِدَواهٍ، وَرُمِيَ بخـطوبٍ غَيْر رُيـوثٍ ولا سَوَاهٍ[10]؛ وَرَأْيُـكَ، أصـابَ اللَّهُ بـرأيـكَ، وجَبَـر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فاطّلع فرآه في سواء الجحيم﴾. (الصافات: ٥٥).

(٢) ب ق: غريق.

(٣) حاشية س: هذا مأخوذ من قول: ؟ «كذا».

أقسم بـالمبتَسم العَـذْب ومشتكى الصَّبِّ إلى الصَّبِّ

(٤) ب ق س ط: ليحتون، ر: ينحون، ع: ليخونُنَّ الكرام.

(٥) ر ب ق: بصفاتهم، س: بطباعهم.

(٦) ر ب ق س ط ع: وتعلّهم بعلاتهم، وبعدها في ع: وارتفاعهم.

(٧) ب ق: بغير خمر، ر ط: بعد خمر.

(٨) ر: ومكرمة.

(٩) س: إنها منك.

(١٠) ولا سواهٍ: ساقطة في م.

الأَوْليـاءَ[1] بِسَعْيِكَ، في تَحْصين مُـرَاعاتِـهِ، وترفيهِـهِ[2] وَمُحاشـاتِهِ، وَلَـوْلا عُذْرُ مَنَع، لكانَ على أُفُقِكَ النَّيِّرِ قد طَلَعَ، ولكنَّهُ اسْتَنَـابَ «فُلانـاً» وحَسْبُهُ أن يُنْشيءَ[3] كتاباً؛ ويَقْتَضيَ جواباً، ويتصرَّفَ على حُكْمِكَ جيئةً وَذَهاباً؛ إنْ شاءَ الله تعالى.

ولَهُ يَعْتَذِرُ مـن استبطاءِ المكاتبةِ[4]:

(طويل)

أَلَمْ تَعْلَمـوا والقَلْبُ رَهْنٌ لَـدَيْكُمُ ... يُخَبِّـرُكُمْ عَنّي بِمُضْمَـرِهِ بَعْـدي

/وَلَـوْ قَبِلَتْني[5] الحـادِثـاتُ مَكَـانَكُمْ ... لأَنْهَبْتُهـا وَفْـري وَأَوْطَـأْتُها خَـدِّي [١٧٥/ظ]

أَلَمْ تَعْلَمُـوا أَنّي وأَهْلي وَوَاحِـدي[6] ... فِـدَاءٌ ولا أُوصِي[7] بَتَفْدِيَـةٍ[8] وَحْـدي

ولمَّـا نُكِبَ الوزيـرُ أبـو مُحَمَّـدِ بنُ القـاسِم[9]، النَّكْبَـةَ التي أَنْبَـأَتْ بتعـذُّرِ الأَوْطار، لذوي الأَخْطار، وأَعْلَنَتْ بكساد الفَضائل والمعالي، واسْتِتْار الـوضيعِ عَلَى الماجد العالي، لأَنَّهُ كانَ طَوْدَ كَمالٍ، وبَحْرَ إجْمالٍ، وناظِمَ خلالٍ، وعالِمَ جلالٍ؛ وحينَ ثَلَّ الدَّهْرُ عَرْشَهُ، وأَحَلَّ سِوَاهُ فَرْشَهُ، خاطَبَهُ كُـلُّ زعيمٍ مُسَلِّياً عن نكبتِهِ، وانتقالِهِ مِنْ رُتْبَتِهِ، فكتَبَ إليـه هو في جُمْلَةِ مَنْ كَتَبَ، وإنْ كـانَ نازلاً عَنْ تلك الرُّتَبِ، برُقْعَةٍ مُسْتَبْدَعةٍ، أَظْهَرَ فيها محاسنه وبِدَعَهُ[10]، وهي[11]:

---

(١) ط: وحيّر الأنام.

(٢) ع: وتوجيهه.

(٣) ب ق س: يؤدي، ر: ينهي.

(٤) انظر: الخريدة: ٢/٤٦٣، والمطرب: ١٨٨.

(٥) ر ب ق س: قلبتني، وكذا في الخريدة.

(٦) ط: ووالدي.

(٧) بقية النسخ: ولا أرضى.

(٨) المطرب: بتقدمتي.

(٩) صاحب إقليم البونت، وقد تقدمت الإشارة إليه.

(١٠) أظهر منها محاسنه وبدعه: زيادة في ع.

(١١) انظر: الخريدة: ٢/٤٦٣.

مِثْلُكَ ـ ثَبَّتَ اللَّهُ فُؤَادَكَ، وخَفَّفَ عن كاهِلِ المكارم ما أدْهَى بكَ وآدَكَ ـ يَلْقى دَهْرَهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ[1]، ويُنازِلُهُ بصَبْرٍ غَيْرِ مُنْتَكِثٍ، وَيَبْسِمُ عِنْدَ قُطُوبِهِ، وَيَفِلُّ شَبَاةَ خُطُوبِهِ، فما هي إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجلي، وخَطْرَةٌ يلبها مِنَ الصُّنْع الجميل ما يلي؛ لا جَرَمَ أَنَّ الحُرَّ ـ حَيْثُ كانَ ـ حُرٌّ[2]، وأَنَّ الدُّرَّ ـ برغم مَنْ جَهِلَهُ ـ دُرٌّ، وَهَلْ كُنْتَ إلاَّ حُساماً انتضاهُ، قَدَرٌ أَمْضَاهُ[3]، وَساعِدٌ ارْتَضَاهُ، فإنْ أَغْمَدَهُ فقد قَضَى ما عَلَيْه، وإنْ جَرَّدَهُ فذلك إليه، أَمَا أَنَّهُ ما أَسْلَمَ حَدَّهُ[4]، ولَبِسَ جَوْهرُ [١٧٥/و] الفِرِنْدِ خَدَّهُ، لا يَعْدِمُ طَبِناً[5] يشترطه/ ويميناً يَخْتَرِطُهُ.

هذه الصَّمْصامَةُ، تَقومُ على ذِكْرها القيامةُ، طَبَّقَتِ الْبِلادَ أَخْبَارُهُ، وقامَتْ مَقَامَهُ في كُلِّ أُفُقٍ آثارُهُ؛ فَأَمَّا حامِلُهُ فَنِسْيٌ مَنْسِيٌّ، وعَدَمٌ مَنْهِيٌّ، كَلاَّ لقد فَنِيتِ الحقائِقُ، وأُنْهِيَتْ تلك العلائق، فَلَمْ يَصْحَبْهُ غيرُ غِرار، وسَنٍّ عارٍ، كلاهما بالغٌ ما بَلَغ، ووالِغٌ مَعَهُ في الدِّماء أَنّى[6] وَلغ، وما الحُسْنُ إلاَّ المُجرَّدُ العُرْيان؛ ولا الصُّبْحُ إلاَّ الطَّلْقُ الإضْحَيان[7]، وما النُّورُ إلاَّ ما صادَمَ الظَّلام[8]، ولا النَّوْرُ إلاَّ ما

---

(١) حاشية س: ماخوذ من قول المتنبي: (الديوان: ٤/٢٣٤).

لا تَلْقَ دَهْرك إلاَّ غيرَ مُكْتَرِثٍ ... ما دام يَصْحَبُ فيه روحَكَ البَدَنُ

(٢) قال مُخيِّس بن أرطاة الأعرجي ـ والأعرج الحارث بن كعب بن سعد بن تميم:

فقُلْتُ له: تجنَّبْ كلَّ شيءٍ ... يُعابُ عَلَيْك، إنَّ الحرَّ حرُّ

وقبل هذا البيت ورد في الكامل: ١/٤٣ (مكتبة نهضة مصر) أبيات ثلاثة:

(٣) قدر أمضاه: ساقطة في ع.

(٤) ب ق ع: أما أنه ما انثلم حدّه، ر س ط: أما أنه ما سَلِمَ حدّه.

(٥) ر: طيباً، س ط ع: طبنيا. والطبن: الفطن.

(٦) ب ق: أيّ.

(٧) وما الحسن... الإضحيان: ساقطة في ر. والإضحيان، بالكسر: المضيء لا غيم فيه، وخصّ به الليلة التي يكون القمر فيها من أوّلها إلى آخرها، والألف والنون زائدتان.

(٨) وما النُّورُ... الظلام: ساقطة في م.

فَـارَقَ الأكْمام[1]، ومـا ذَهَبَ ذاهبٌ، أَجْزَلَ[2] مِنْـهُ لِعَرْضِ واهبٍ، وممَّن قَضَى حَقَّ، المسَاهِمةِ في هذِهِ الحال التي الْتَوىَ عَرْضُهَا، وتأَخَّـرَ للأعـذار[3] القاطعـةِ فَـرْضُهَا، أَسَفُ تَـردَّدَ، وارتماضُ تجـدّد، وَنُوَبٌ[4] على الأيَـام تُحْصَى وتُعَـدَّد، وَحُبَا[5] اللّئام مِنْها تُحَلُّ وتُعْقَد، فَيَعْلَمُ اللّهُ عَزَّ وَجْهُـهُ، لقد استُـوفِيَتْ فيه[6] هـذه الأيَّامُ، ونُهِيَتْ فيك [7] حتى المُزْنُ عن الابتسام [8].

قال أبو نَصْـرٍ؛ وفي أيَّام مُقـامي بالْعُـدْوَةِ، اتَّفَقَتْ بيني وبَيْنَ أبي يحيىٰ بنِ محمّد بن محمّد بن الحاج[9]، ـ سَقَى اللّهُ مَصْرَعَهُ وأَوْرَدَهُ مَنْهلَ العَفْو ومَشْرَعَـه ـ مـودَّةٌ اسْتحكَمَتْ[10] تـواخيهـا، وَشُـدَّت أواخيهـا، وغَـدَوْنـا بهـا حليفَيْ صَفَـاءٍ وإخـلاصٍ، وأَليفَيْ إخاءٍ واخْتصـاصٍ، والزَّمـانُ مُسـاعِـدٌ، وصَـرْفُـهُ مُتَبـاعِـدٌ، والشَّبابُ خَضِلٌ يانع، والدَّهْرُ مُبيحٌ ما لَهُ اليومَ مانعٌ[11]، والدُّنيا سُـرورٌ وإيناسٌ،/ [١٧٦/ظ] والأرضُ ظِبَـاءٌ وَكِنَـاسٌ، فَـوَقَـعَ بَيْني وبَيْنَـهُ في بَعْض الأيَـام تَنـازُعٌ أدَّىَ بنـا إلى الانفصال؛ وتعطيلِ تلك البُكَرِ والآصال، ثُمَّ نُمِيَ إلَيَّ عَنْهُ قَوْلٌ ضاقَ بـهِ ذَرْعي،

---

(١) بقيَّة النسخ: الكمام.

(٢) ر ب ق ط: أجزل منه العوض واهب، س: منه بعوض واهب.

(٣) ر: الأغراض.

(٤) بقية النسخ: وذنوب.

(٥) اللفظة ساقطة في س: وفي ط: حبال. والْحُبا: جمع حبوة.

(٦) ب ق س: فيك.

(٧) ر ب: فيه.

(٨) م: الانتصار. وفي حاشية س: أخذ هذا من قول المعري:

نعمت الرضى حتى على ضاحك المزن ... فـلا جـادَ لـي إلاَّ عبـوس من الـدَّجنِ

(٩) تقدمت الإشارة إلى ذلك.

(١٠) ب ق: استحكم.

(١١) والدهر مبيح... مانع: ساقطة في ع.

واجْتُثَّ مِنْهُ أَصْلي وَفَرْعي، فكُلَّما صَدَّني عَنِ الـرحلة صمَّمْتُ، ونَكَثْتُ من عُرَى التَّلوِّي ما كُنْتُ أَبْرَمْتُ، وبَعْدَ انفصالي علمتُ أَنَّ ذلك القَوْلَ غَدا زورا، وَوَشَى بِهِ مَنْ غَصَّ أَنْ يَرانَا زائراً وَمَزوراً، فـانْقَشَعَتْ تلك الْمَخِيلة، وتحرَّكَتْ لَـوْعَةُ مَـوَدَّتِهِ الدَّخيلة، وأكَّدتُ تجديدَ ذلك العَهْد الرَّائق، وكَفَّ أَيْدي تلك العوائق، فكَتَبْتُ إليه[1]:

(طويل)

أَكَـعْبَـةَ عَـلْيـاءٍ وَهَـضْبَـةَ[2] سُـؤْدَدٍ ... وَرَوْضَـةَ مَجْـدٍ بـالمفـاخِـرِ تَمْـطُرُ
هَـنيئـاً لِـمُـلْكٍ زانَ نُـورُكَ أُفْـقَـهُ ... وفي صَفْحَتَيْـهِ مِنْ مَضـائـكَ أَسْـطُرُ
وإنّي لخفّـاقُ الجنـاحَيْنِ كُلَّمـا ... سَـرَى لَـكَ ذِكْـرٌ أَوْ نَـسيـمٌ مُعَـطَّرُ
وقَـدْ كَانَ واشٍ هـاجَنَا لِتَهـاجُـرٍ ... فَـبِتُّ وأَحْشَـائي جَـوَىً[3] تَـتَفَـطَّرُ
فَهَـلْ لَـكَ في وُدٍّ ذَوَى لَـكَ ظاهِـراً ... وبـاطِنُـهُ يَنْـدَى صَـفَـاءً وَيَقْـطُرُ؟
وَلَسْتُ بِعِلْقٍ بِيـعَ[4] بَخْسـاً وإنَّني ... لأَرْفَـعُ أَعْـلاقِ الـزَّمـانِ وأَخْـطَرُ[5]

فَأَمَرَهُ[6] بمراجعتي، فكتبَ عَنْه قطعةً منها:

(طويل)

ثَـنَيْـتَ أَبـا نَصْـرٍ عِـنَـانِي ورُبَّـمـا ... ثَنَتْ عَـزْمَـةَ الشَّهْمِ المُصمِّمِ أَسْـطُرُ
وَنَـالَتْ هَـوىً مـا لَمْ تَكُنْ لِتَنَـالَـهُ ... سُيُـوفٌ مـواضٍ أَوْ قَنىً مُتَـأَطِّـرُ[7]
[١٧٦/د] /وَمَـا أَنـا إلاَّ مَـنْ عَـرَفْتَ وإنَّمـا ... بَـطِرْتَ وِدَادي والْـمَـوَدَّةُ تُـبْـطَرُ

---

(١) انظر الأبيات: المطرب: ١٨٩.
(٢) ع: ودوحة.
(٣) ط: له.
(٤) ر: يبقى بخساً.
(٥) المطرب: وأنضر.
(٦) هو ابن الحاج المتقدم أمر أبا عبدالله بن أبي الخصال بالمراجعة، وانظر الأبيات في المطرب: ١٨٩، والنفح: ٧/٣٠.
(٧) المطرب: تتأطَّر.

نَـظَرْتَ بِعَيْنٍ لَـوْ نَـظَرْتَ بِغَيْـرِهـا أَصَبْتَ وَجَفْنُ الـرَّأْيِ وَسْنَانُ اشْـطَرُ[1]
وقِـدْمـاً بَـذَلْتُ الـوُدَّ والحُبَّ فِـطْرةً ومـا الـوُدُّ إلاَّ مـا يُـخَصُّ ويُـفْـطَرُ

وكَتَبَ إلى الـوزير المشـرَّف أبي بكر بنِ محمَّـد بنِ أحمَدَ بنِ رُحَيْم يُهَنِّئُـهُ بولايته[2] خُطَّةَ الأشراف بحَضرَةِ إشبيلية وذَوَاتها، في شَوَّالٍ، سنةَ خمس عَشْرَةَ وخمس مائةٍ:

(وافر)

إذا مـا شَـرَّفَ الأشْـرافُ قَـوْمَـاً فـإنَّ بـنـي رُحَـيْـمٍ شَـرَّفُـوهُ
ومَـنْ يُـعْـرَف بِـهِ لَـهُـمْ قَـديـمـاً وإنْ رَغِـمـتْ أُنـوفٌ عَـرَّفُـوهُ
كُـفَـاةٌ لِـلْمُـلوكِ على سَـبـيـلٍ ودِيـنِ نَـصـيـحـةٍ مـا حَـرَّفُـوهُ
أبـو بَـكْـرٍ لَـهُ وَلَـهُـمْ كَـفـيـلٌ بـكُـلِّ كِـفَـايَـةٍ إذ صَـرَّفُـوهُ
ومـا الأشْـرافُ إلاَّ عَـبْـدُ قِـنٍ لَـهُـمْ فَـمَتَى تَـولَّى اسْتَـصْـرَفُـوهُ

هذه أعزَّكَ اللَّهُ بَديهةُ[3] البُشْرى، وَعُجالَةُ كعُجالةِ القِرَى، وبريدٌ، إلى أُمِّ تلْك القُرَى، فأنا لَها بـالإقْبَال ضَمينٌ، عليَّ[4] أَلِيَّـةٌ وَيَمينٌ، لَتحوطَنَّها أقْلاَمُـكَ، وَلَيُحْمَدَنَّ فيها مُقَامُكَ، ولَتُعْرَفَنَّ بالغُرَرِ والحُجولِ أيَّامُكَ، فحالَفَكَ السَّعْـدُ، ولا عَدِمَكَ المليك الجَعْدُ، و «أبْـلِ وأخْلِفْ مِثْلَها جُـدُداً بَعْدُ»[5]، ومـا حَقُّ مَنْ بَشَّرَ بـاعْتَلائـكَ، وَسَرَى بـأنْبـائـك إلى أوْليـائـكَ، أنْ يُؤخَّـرَ مُـرادُهُ؛ أوْ يُضَيَّـعَ عَمَلُهُ واعْتَقـادُهُ؛ وإنَّ الحاجَّ أبـا عَبْدِاللَّهِ بنَ شعـرانَ[6] آمِلَكَ الـدَّاعي لَـكَ ـ أبْقـاهُ اللَّهُ

---

(١) المطرب: يشطر، وشطر بصره: نظر إليك وإلى آخر في الوقت ذاته.
(٢) ر ب ق س: بولاية، ط: بخطة ولاية الأشراف، ع: يهنئه بخطه الأشراف.
(٣) ر: أيدي.
(٤) ر ب ق س: وعليَّ. والإليَّة: القَسَمُ واليمين.
(٥) حاشية س: هذا قِسم لحسّان بن ثابت؛ وتمامه:
كـــاك هشـامُ بنُ الـوليـد ثـيـابَـهُ فـأبْـلِ وأخْـلِفْ مثلهـا جُـدُداً بَعْـدُ
(٦) ب ق: شقران، ولفظة «آملك» بعدها: ساقطة في م.

[١٧٧/ظ] وَجَبَرَهُ ـ أشْعَرَني / بهذِهِ المَسـرَّةِ، والدِّيمـةِ الثَّرَّةِ، ولَقَـدْ هَمَمْتُ على هذا الْبَـرْدِ بخَلْعِ البُرْد، وَحَلِّ العَقْد، وفَضِّ النَّقْد، قَدْ أفْعَمَني[1] انْقبَاضـاً، وأعْلَمَني أنَّ لَهُ في عَمَلِكَ ـ أنْمَاهُ اللَّهُ ـ أغْراضاً، تكونُ على ذلك أثْماناً وأعْواضـاً، وأراني عِقْداً يَشْهَدُ بعَدَمِهِ، وصِحَّةِ ما اسْتَحَثَّهُ في مَقْدِمِهِ، وأنَّـه لَيْسَ له سِـوَى غَرْسٍ قـد صَارَ عَلَيْهِ كَلاًّ، بَـلْ اسْتدارَ في سـاقَيْهِ كَبَـلاً، والْتَوَى في عُنُقِـهِ غُلاًّ، وآضَ لَـهُ غُلاًّ لا مُغـلاً[2]؛ ولَـكَ الـطَّوْلُ أنْ تَفْتَـحَ نَـظَرَكَ ـ وَفَّقَـهُ اللَّهُ ـ بـالتَّخْفيف عَنْ مِثْلِهِ مِنَ الضُّعَفـاءِ، ومَنْ لا قُـدْرَةَ لَـهُ على الأداءِ، وحَمْـلِ الأعْبَـاءِ؛ فـإنَّ ذلـكَ ذِكْـرٌ في العاجل، وأجْرٌ في الآجل[3]، إنْ شاءَ الله.

ولمَّا انْتَشَرَتِ المقامَةُ القرطبيَّة[4]، أغرضت التُّهْمةُ في إنْشائها، وعـرضَتْ إلى نَفَرٍ مِنْ أدَبائِها، كانَ أبو عبدالله منهم مَعْـدُوداً، وعادَ بـالحضْرَةِ مَثْنـوءاً وكانَ مَوْدُوداً، وبَلَغَهُ أنَّ الأستاذَ أبا الحسين بنَ سـراج[5]، نَقِمَ عليه ذِكْـرَهُ فيها، فكتبَ إليه يتنصَّلُ منها ويَنْفيهـا:

مـا كُنْتُ أشْتِمُ قَـوْمـاً بَعْـدَ مَـدْحِهِمُ ولا أكَـدِّرُ نُعْمَـى بَعْـدَمـا تَـجِبُ[6]

أطَـالَ اللَّهُ بقـاءَ الـوزيـرِ الأستـاذ الأجَـلِّ، مَـلاذي وَمَفْـزَعي، ومَشْعَـري المقدَّسِ ومَشْرَعي، ومَجْدُهُ عَمَمٌ، وحَاجُـهُ أُمَمٌ، وسِرْبُـهُ حَرَمٌ، ولا زالَ مُتَنافَساً

---

(١) بقيَّة النسخ: فدافعني.
(٢) قوله: وآض له غُلاًّ لا مُغِلاًّ: ساقطة في ع.
(٣) إلى هنا تنتهي الترجمة في ر ب ق ط ع.
(٤) يُقال إن الفتح هو صانع هـذه المقامة على ابن السِّيد البَطَليوسي، وهناك ردّ عليها يُسمَّى الإنتصار، وكذلك نُسبت هذه المقامة لابن أبي الخصال، وهو هنايتنصل منها وينفيها. (انظر الرسالة في الذخيرة: ٨٠١/٢/٣، وانظر حاشيتها رقم: ٥).
(٥) ستأتي ترجمته.
(٦) هنا تنقطع المقامة في «م»، وتكملتها عن س.

في فَضْلِهِ، مُتَنافَراً إلى عَدْلِهِ، مَنْ يُسِّرَ فيه، ـ أَيَّدَهُ اللَّهُ ـ إلى الحُسْنَىٰ، وفَازَ مِنْ رِضَاهُ بالحظِّ الأَسْنَى، فَلَهُ ما تَمَنَّى ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذو حَظٍ عظيمٍ﴾[1]، و﴿مَنْ أَتى اللَّهَ بِقَلْبٍ سليم﴾[2]. وإنّي مَعَ عَدَم الاستطاعة، ومُزْجى البضاعة، أتوهَّمُ سُقوطَ الفَرْضِ، وأُخْلِدُ إلى الأَرْض، وأُجملُ الأَمْرَ بحَمْلِ العَرْض، ودونَهُ ـ أَيَّدَهُ اللَّهُ ـ مَهابَةُ إجلالٍ تُنْثِيهِ، وكَرَمٌ يُدْنيه، فأَنَا بَيْنَهُما عَصِيٌّ طَيِّعٌ: هذا يَجيءُ به، وهذا يَرْجِعُ [3]. لا جَرَمَ أَنّي أَفْقَرُ إليه مِنْ جَفْنٍ إلى كَرا، ومِنْ أُذُنٍ إلى بُشْرا، ومِنْ جَذيمةَ [4] إلى نديم، ومن مُصْعَبٍ إلى إبراهيم، ومن دُرَيْد إلى الشَّباب، ومِن القارظ [5] إلى الإياب، بَلْ مِنَ الشِّمالِ إلى اليمين، والأَنْفِ إلى العِرْنين. وسأَسْتأنف إنْ قيلَ، وأَسْتَدركُ، وَأَخُبُّ إلى عَلائهِ، وأَبْتَرِكُ، وأَتوسَّلُ بتشيُّعٍ عالٍ، وأَمتُّ بمنافسةِ مُغالٍ:

---

(١) فُصّلت: ٣٥.

(٢) إشارة إلى قوله: ﴿إلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم﴾ سورة الشعراء: الآية ٢٦.

(٣) حاشية س: أخذ هذين القولين من بَيْتَيْ المتنبي: (الديوان: ٢/٢٦٨).

الْحُزْنُ يُقْلِقُ والتَجمُّل يَرْدَعُ ... والدَّمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ

يتنازعانِ دُموعَ عَيْنٍ مُسَهَّدٍ ... هذا يجيءُ بها وهذا يَرْجِعُ

(٤) هو جذيمة بن مالك بن عامر الأبرش، وقد سبق التعريف به.

ومصعب: هو مصعب بن الزُّبير بن العوّام، أحد الولاة في صدر الإسلام، نشأ بين يدي أخيه عبدالله بن الزبير، فكان عضده الأقوى في تثبيت مُلكه بالحجاز والعراق. وإبراهيم بن مالك بن الأشتر قائد جيش مصعب، وظلّ على وفائه له.

ودُريد: هو دُريد بن الصمّة، وهو من بني جُشَم، وهو القائل:

يا ليتني فيها جَذَعْ ... أُحبُّ فيها وأُدع

(٥) القارظ: الذي يجمع القَرَظَ ويجتنيه، ومن أمثالهم: لا يكون ذلك حتّى يؤوب القارظان، وهما رجلان: أحدهما من عنزة، والآخر عامر بن تميم بن عنزة، خرجا يتتجعان القَرَظ ويجتنيانه، فلم يرجعا، فضرب بهما المثل. قال أبو ذؤيب:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... ويُنْشَرَ في القَتْلى كُلَيْبٌ لوائل

عن الشَّجر جَنَاهُ، ويَفْضَحُ الشَّناشِنَ[1] أخزم، ويَنْسُبُ الْحُكْمَ أكْثَمَ[2]، وما هو بـ ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أمينٍ﴾[3]، ولا أنا على غَيْبِ الشَّهادةِ بضنين[4]، لا سيَّما وقد افْتَتَح بمَنْ افْتَتَح، مِمَّنْ وَزَنَ فَرَجَحَ، وسَعَى فأنْجَحَ، ومَلَكَ فأسْجَحَ، وأشْفَى فَعَفَّ، وَكَفَى فَكَفَّ، وثَنَّاهُ بِمَنْ أتَى ما أتَاهُ، ويَقيلُ في الفَضْل إزاهُ، وتَخَطَّاهُ إلى صِنْوِ كماءِ الْمُزْنِ، ورَوْضِ الْحَزْن. تجافَى جَنْبُهُ عَنِ المضاجع[5]، وطَلَّقَ الدُّنْيا غَيْرَ مُراجع، وتجاوَزَهُ إلى غَمْرٍ عَمّ، وكثيرٍ في المكارم جمّ[6]، خَلَع على الْمروءَةِ عُمْرَه، وقلَّدها أمْرَه، ورَضِيَ بالكفافِ، عَلِقَ الدَّرَّةَ حاشكةَ الأخْلاف، وهَجَر مراتبَ وخُطَطا، وأبَى إلاَّ أنْ يَكونَ أُمَّةً وَسَطا، ثُمَّ جاءَ بالجلَّةِ لَفيفاً، فَنَكَّرَ مَعْروفا، ومَنَعَ الصَّرْفَ مَصْروفا[7]، ومَنْ جَرَّهُ إلى هُجْرٍ أجَرَّهُ؟، وَمَنْ قادَهُ إلى القادة؟، وَسَامَهُ هُلْكَ سامَة[8]؟ وأدارَهُ على مَحْوِ ابْن دَارَة[9]؟. وَلَوْ وُفِّقَ لأسَرَّ ما أشَرَّ، وما اغْتَرَّ.

---

(١) الشناشن: الطبائع والخلائق والسجايا. وفي المثل: شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم. وكان أخزم عاقّاً لأبيه، فمات وترك بنين عقّوا جدَّهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك.

(٢) أكثم: هو أكثم بن صيفي بن الحارث التميمي، من حكماء الجاهلية، وأحد المعمّرين، أدرك الإسلام، وفي أثناء رحلته إلى المدينة يريد الإسلام، مات في الطريق.

(٣) التكوير: ٨١.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾. التكوير: ٨١.

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعونَ ربَّهم خوفاً وطمعاً﴾. السجدة: ١٦.

(٦) الذخيرة: وتجاوزه إلى ابن عمّ. وكبيرٍ في المكارم جمّ.

(٧) يريد أنه يقلبُ قواعد النحو وأصوله، فينكِّرُ المعرفة، ويمنع صرف المنصرف.

(٨) هو سامة بن لؤي بن غالب، فقأ عين أخيه وهرب إلى عُمان. (أنساب الأشراف: ١/٤٦).

(٩) هو عبدالرحمٰن بن مُسافع، من فرسان العرب. وفي المثل: «مَحَا السيفُ ما قال ابن دارة أجمعا». (الأغاني: ٢/٢٧١، واللسان: دور).

ولمَّا توجَّهَ إليَّ بَيْنَ يَدَيْ الوزير الأَجَلّ ـ دامَ سَعْدُهُ ـ فيها ظَنَّ أخطأ، ووهْمٌ سريعٌ أبطأ، لا يَفْزَعُ لَهُ حالي، ولا يَفْرُغُ له بالي، أدْرَجْتُهُ في أثناء تَنصُّلي، وَوَصَلْتُهُ بتَوسُّلي إلى عَلائِهِ، وتَوَصُّلي به:

لِيُعْلَمَ[1] أنّي لا أضِنُّ بِمِثْلِها وأنْ لَيْسَ إهداءُ الْخَنَى من شِمالِيا

ولَنْ يَخْفى على ذي بَصَرٍ نَمَطُها، ولا يَغيبُ مُسْتَنْبِطُها. وهناك فِطْنَةٌ تُخَلِّصُ بَيْنَ الماءِ واللَّبن، وتُفَرِّقُ بَيْنَ القبيح والْحَسَن، فلْيَصْرِفْ هذا اللِّجامَ إلى مَنْ عَلَكَهُ، وَلْيُنَط هذا الدَّمَ مَنْ سَفَكَهُ، فليس الْمُزَنيُّ من جرير[2]، ولا ابنُ الزُّبيرِ من ابنِ الزَّبير[3]، والوزيرُ الأَجَلُّ يَحْجُبُ عَنْ إدْرَاكِهِ عَتْبي[4]، ويَحْرُسُ بكَرَمِ ثَنَاه غَيْبي، ويَضَعُني حَيْثُ وَضَعْتُ نَفْسي مِنْ تَأْميلِهِ، وَيَعُودُ عليَّ بِحُسْنِ تَأْوِيلِهِ، مُتَطَوِّلاً، إنْ شَاءَ اللَّه. لا زال[5] المجدُ بسُؤْدَدِهِ مُمْتِعاً، والدَّهْرُ ببقائِهِ مُشَيِّعاً بفضل اللَّه. والسَّلامُ الأَجْزَلُ الأَحْفَلُ على حَضْرته الرَّفيعة، ورحمةُ اللَّه وبركاته.

---

(١) البيت لصخر بن عمرو بن الشَّريد أخي الخنساء، ورواية البيت: (اللسان: شمل).

أبى الشَّتْمَ أني قد أصابوا كريمتي وأنْ ليس إهداءُ الخنَى مِنْ شِمالِيا

(٢) جرير: أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي، واسمه حُذيفة، الشاعر المشهور، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض. (ابن خلكان: ١/٣٢١، والشعر والشعراء: ١/٤٦٤).

(٣) ابن الزّبير: هو عبدالله بن الزبير بن العوّام، ملك الحجاز والعراق. وابن الزُّبير: هو الشاعر الأسدي الأموي. (الأغاني: ١٤/٢٠٨).

(٤) الذخيرة: عيبي.

(٥) قوله: لا زال المجد... وبركاته: ليس في الذخيرة.

[١٧٧/و] ذو[١] الْوَزَارتَيْن الكاتبُ أبو محمّد ابْنُ عَبْدِالبَرِّ/[٢]

بَحْرُ البيان الزَّاخر، وفَخْرُ الأوائل والأواخر، وواحدُ الأنْدلس الّذي فازَ فيها[٣] بحظِّ الظُّهور، وحاز قَصَبَ السَّبْق بين ذلك الجمهور، وامْتَرَىَ أَخْلافَ إسْعادِهَا وسُقِيَ صَوْبَ عِهَادِهَا، واسْتَقَرَّ في مراتب رُؤسائها، اسْتقَرار الفُلْكِ عند إرْسائها، إلاَّ أَنَّهُ حَصَل في لَهَوات الأسد؛ وصارَ[٤] إلى مَوْضِع النِّفاقِ فكسدَ، وافَى المُعْتَضِدَ بالله في طالعٍ اسْتَوْبَلَهُ، ونَحْسٍ اسْتَقْبَلَهُ، فكانَت أَيَّامُهُ لَدَيْهِ حَسَرات، ولم تُومِضْ لَهُ فِيها بُروقُ مَسَرَّاتٍ[٥]، إلى أَنْ لاذَ بالفَرار، وتَخَلَّصَ من يَدَيْهِ خُلوصَ[٦] البَدْر من السِّرار، وأَبُوهُ أبو عُمَر[٧] هو كانَ سَبَبَ نَجَاتِهِ، وخُروجِهِ

---

(١) هو أبو محمّد عبدالله بن الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبَر النمري، كان من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة، والتقدم في العلم والذكاء، عمل في بلاط المعتضد بن عبّاد، غير أنه نقم عليه، فاضطر إلى عزله، حتى كانت وفاته سنة ٤٥٨ في حياة أبيه. ترجم له صاحب الذخيرة: ١٢٥/١/٣، والضبيّ في البغية: ٣٥٤، وصاحب الصلة: ٢٧٩، وابن سعيد في المغرب: ٤٠٢/٢، واالخريدة: ٤٧٨/٢، وإعتاب الكتاب: ٢٢٠، والمسالك والممالك: ٢٤٦/٨.

(٢) بعدها في ر ب ق س: رحمه الله.

(٣) ب: بها، ر: بحظوظ.

(٤) ر: ووصل.

(٥) س: بمسرات.

(٦) ب ق ط ع: تخلّص.

(٧) هو يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات =

من لَهَواتِهِ، ولَوْلاَهُ لَوَرَدَ مَشْرَعَ الحِمام، وكَرَعَ في مَاءِ الحُسَام، فقليلاً ما هَمَّ عَبَّادٌ فأقْصَرَ، ولا تَوَهَّمَ إلاَّ وكأنَّه أبْصَرَ؛ لكنَّ إمَامَةَ أبيه الشَّهيرةَ دَفَعَت في صَدْرِ احتدامِهِ، وشَفَعَتْ لَهُ عِنْدَ إقْدامِهِ؛ وقَدْ أثْبَتُّ لَهُ ما يُتَبَيَّنُ أنَّهُ سِحْرٌ، ويُزَيِّنُ[1] به للزَّمان نَحْرٌ؛ فمن ذلك ما قالَهُ في رجلٍ ماتَ مجذوماً[2]:

(رمل)

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَراهُ أبداً ... سالِمَ العَقْلِ سَقيمَ الجَسَدِ
بَحْرُ سُقْمٍ مَاجَ[3] في أعْضائِهِ ... فَرَمَى في جِلْدِهِ بالزَّبَدِ
كانَ مِثْلَ السَّيْفِ إلاَّ أنَّهُ ... حُسِدَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَصَدِي

وَلَهُ[4] / : [١٧٨/ظ]

(مجزوء الكامل)

لا تُكْثِرَنَّ تَأمُّلاً ... واحْبِسْ عَلَيكَ عِنَانَ طَرْفِكْ
فَلَرُبَّما أرْسَلْتَهُ ... فَرمَاكَ في مَيْدانِ حَتْفِكْ

وكَتَبَ إلى أحَدِ أخوانِهِ، وقَدْ نَالَ الدَّهرُ من إخْمالِهِ وامْتِهَانِهِ[5]:

مَنْ صَحِبَ الدَّهْرَ ـ أعَزَّكَ اللَّهُ ـ وَقَعَ في أحكامِهِ، وتَصرَّفَ بَيْنَ أقْسامِهِ: من صِحَّةٍ وسَقَمٍ، وَغَناءٍ ووجودٍ وَعَدمٍ[6]، وفَناءٍ وَهَرَمٍ، وبِعَادٍ واقترابٍ،

= وبالخلاف في الفقه وبعلوم الحديث والرجال؛ توفي بشاطبة في سنة ستين وأربعمائة. (بغية الملتمس: ٤٨٩).

(١) ب ق: ويتزين به للسناء، ر س ع: ويتزيّن به للسماء نحر.

(٢) انظر: الخريدة: ٢/٤٧٨، والمغرب: ٢/٤٠٣.

(٣) ر: هاج، س: مات

(٤) انظر: الخريدة: ٢/٤٧٨، والمغرب: ٢/٤٠٣، والبغية: ٣٥٤.

(٥) ر: وامتنانه، وانظر: النص في الذخيرة: ٣/١/١٢٨ مع اختلاف يسير.

(٦) ب ق س ط: وغنىً وعدم. وبعدها: وفناء وهرم: ساقطة في بقية النسخ.

وانتزاحٍ واغْترابٍ؛ وأتْفَقَ لي ما قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الانزعَاج والإضـطراب، والتَّغَرُّبِ والإيـاب، لا والله، ما جَـرَى مِنْ حَرَكَـاتي شَيْءٌ على مُرادي واعْتقـادي؛ وإنَّمـا هَيَّأتْها الأقْدارُ، والآثارُ، وعنْدَ وُرودي، أُعْلِمْتُ بما أصابَتْكَ به صُـروفُ الأيَّامِ، مِنَ الامتهانِ والإيلام، فيعلمُ اللَّهُ ـ لقد أَلِمَتْ لذلك[1] نفـسي، وَساءَ بِهِ أَثَرُ الزَّمانِ عنـدي، وقُلْتُ: هذا عَـدْلُ ما تَهَيَّـأَ مِنْ جَلَدي[2] وَبَعْدِي، فَقَـدْ جَمَعَتْنَا حَـوادثُ الأيَّامِ وصروفُهَا، وإنْ اختَلَفَتْ أنْواعُهَا وَصُنُوفُهَا، على أنَّ الّذي[3] أَصَابَك أَثْقَـلُ عِبْئاً، وأَعْظَمُ رُزْءاً، واللَّهُ يُعَظِّمُ أَجْرَكَ، ويُجْزِلُ ذُخْرَكَ[4]، ويَجْعَـلُ هذه الحـادِثَةَ آخِرَ حَوادِثِك، وأَعْظَمَ كـوارِثِكَ، حتى تَسْتَـديمَ عِزَّكَ بَعْدَهَا[5] في سـرَّاءَ سابغَـةٍ تُنْعِمُ بَالَكَ وخاطِرَكَ، وتُقِرُّ عَيْنَك وناظِرَكَ[6]، وتَلْحَظُ خُطوبَ الدَّهْرِ وأَنْتَ عَنْهَا[7] [١٧٨/و] في جِهةٍ [8] حمايةٍ من الكفايةِ مَكينَةٍ، ودِرْعٍ مِنْ / الحماية حصينةٍ بمنّه [9].

وكَتَبَ عن الموفَّقِ أبي[10] الجَيْش، مُهَنِّئاً للمعتضد بأَخْذِ شِلْب[11].

---

(١) لذلك: ساقطة في بقيَّة النسخ.

(٢) جلدي، ساقطة في ر ط. والبَعْدُ: ضد القرب وهو أيضاً الهلاك.

(٣) الذي: ساقطة في ر.

(٤) ويجزل ذخرك: ساقطة في ب.

(٥) بعدها: ساقطة في بقيَّة النسخ.

(٦) وتقرّ عينك وناظرك: ساقطة في ر س ط ع.

(٧) بعدها في ط: لاهٍ.

(٨) جهة: ساقطة في بقيَّة النسخ.

(٩) بمنّه: ساقطة في ب ق س ع. ب: إن شاء الله. ط: ودرع من الحوادث حصينة.

(١٠) هو مجاهد العامري، صاحب دانية وهو والد زوجة المعتضد بالله. وانظر النص: الذخيرة: ٣/١/١٢٩، واورد بَعْضَهُ صاحب الخريدة: ٢/٤٧٩.

(١١) شلب: مدينة بغربي الأندلس بينها وبين ياجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، واشتهر أهلها بقول الشعر ومعاناة الأدب، وينسب إليها جماعة. (معجم البلدان: ٣/٣٥٧).

كتابي ـ أعزَّك اللَّهُ ـ عن حالٍ قَدْ طَالَ جُنَاحُها، وآمالٍ قد أَسْفَرَ صَبَاحُهَا؛ وَيَدٍ قَدْ أَوْرَى[1] زَنْدُهَا، ونَفْسٍ قَدْ آنْتَجَزَ بنُجْحٍ[2] كُلَّ مُحَاوَلٍ[3] وَعْدُهَا، بما وَرَدني بِهِ كتاباك الكريمان، أعْزِزْ بِهِمَا من جميلِ صُنْعِ اللَّهِ لك بحصولِ قاعدةِ بِلْبٍ وذَوَاتِها في قَبْضَتِكَ؛ واسْتِذْراءِ[4] ذلك الأُفقِ بظلِّ طَاعَتِكَ، وخروجِ صَاحِبِها عَنْها مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ عاصمٍ، ولا عَهْدٍ لازمٍ، قَدْ كَذَّبَهُ ظَنُّهُ في التَّماسُكِ، وأَخْلَفَهُ أَمَلُهُ في التَّهالُكِ، ورَغِمَ بِهِ أَنْفُ مَنْ بَعُدَ عَنْهُ، وَجُدِعَ[5] بِهِ مَنْ لَمْ يُوضَعْ المِيسَمُ[6] عَلَيْهِ؛ فَأَيُّ نِعْمَةٍ يا سَيِّدي، وأَعْلَى عُدَدي[7]؛ ما أَجَلَّها وأَجْزَلَها!، وأَيُّ مِنَّةٍ[8]، ما أَتَمَّها وأَكْمَلَها!، على حينَ تَضَاعفَ حُسْنُ مَوْقِعها، وبانَ لُطْفُ مَحَلِّها ومَوْضِعَها، ولاحَتْ عُنْواناً في صَحيفةِ مَسَاعينا، وبُرْهاناً ـ بحول اللَّهِ تعالى ـ على تَأَتِّي أراجينا[9]، فالحَمْدُ لله، ثُمَّ الحمدُ لله، على مَا مَنَّ بِهِ وأَحْسَنَ فيهِ، حَمْداً يؤدِّي الحقَّ وَيَقْضيه، ويَحْتوي المزيدَ ويَقْتَضيه، وَهْوَ المسؤولُ عَزَّ اسْمُهُ أَنْ يُتْبِعَ ذلكَ بأَشْكالِهِ، ويَشْفَعَهُ بأَمْثالِهِ، ويُهَنِّىءَ ذلك النُّجْحَ[10] سَلْماً وحَرْباً، وشَرْقاً وغَرْباً، والظُّهورَ بُعْداً وقُرْباً، فظهُوري مَنُوطٌ/ [١٧٩/ظ]

---

(١) ر ب ق: اشتدّ، س ط: أشيد رفدها.

(٢) ر: بنَيْل.

(٣) ر ب: مأمول.

(٤) ر ط: واسترذاء. ب ق س: واستزراء. والاستذراء: تذرُّى، والتذرّي بالشيء: الاستتار به والاكتنان.

(٥) ب ط: وخدع.

(٦) الميسم: إسم للآلة التي يوسم بها، كالمكواة، وجمعها: مياسم ومواسم.

(٧) وأعلى عددي: ساقطة في ع.

(٨) ب ق: جنة، ر: هبة.

(٩) ب ق: راجينا.

(١٠) بعدها في س: والفتح.

وانتزاح واغتراب، واتفق لي ما قد علمت من الانزعاج والإضطراب، والتغرّب والإياب، لا والله، ما جرى من حركاتي شيء على مرادي واعتقادي، وإنما هيّأتها الأقدار، والآثار، وعند ورودي، أعلمت بما أصابتك به صروف الأيام، من الامتهان والإيلام، فيعلم الله - لقد ألمت لذلك[1] نفسي، وساء به أثر الزمان عندي، وقلت: هذا عدل ما تهيّأ من جلدي[2] وبعدي، فقد جمعتنا حوادث الأيام وصروفها، وإن اختلفت أنواعها وصنوفها، على أن الذي[3] أصابك أثقل عبئاً، وأعظم رزءاً، والله يعظم أجرك، ويجزل ذخرك[4]، ويجعل هذه الحادثة آخر حوادثك، وأعظم كوارثك، حتى تستديم عزك بعدها[5] في سراء سابغة تنعم بالك وخاطرك، وتقرّ عينك وناظرك[6]، وتلحظ خطوب الدهر وأنت عنها[7] [١٧٨/و] في جهة[8] حماية من الكفاية مكينة، ودرع من / الحماية حصينة بمنّه[9].

وكتب عن الموفق أبي[10] الجيش، مهنئاً للمعتضد بأخذ شلب[11]:

---

(١) لذلك: ساقطة في بقية النسخ.

(٢) جلدي، ساقطة في ر ط. والبعد: ضد القرب وهو أيضاً الهلاك.

(٣) الذي: ساقطة في ر.

(٤) ويجزل ذخرك: ساقطة في ب.

(٥) بعدها: ساقطة في بقية النسخ.

(٦) وتقرّ عينك وناظرك: ساقطة في ر س ط ع.

(٧) بعدها في ط: لاه.

(٨) جهة: ساقطة في بقية النسخ.

(٩) بمنّه: ساقطة في ب ق س ع. ب: إن شاء الله. ط: ودرع من الحوادث حصينة.

(١٠) هو مجاهد العامري، صاحب دانية وهو والد زوجة المعتضد بالله. وانظر النص: الذخيرة: ١٢٩/١/٣، وأورد بعضه صاحب الخريدة: ٤٧٩/٢.

(١١) شلب: مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، واشتهر أهلها بقول الشعر ومعاناة الأدب، وينسب إليها جماعة. (معجم البلدان: ٣٥٧/٣).

كتابي - أعزك الله - عن حال قد طال جناحها، وآمال قد أسفر صباحها، ويد قد أورى[1] زندها، ونفس قد أنتجز بنجح[2] كل محاول[3] وعدها، بما وردني به كتاباك الكريمان، أعزز بهما من جميل صنع الله لك بحصول قاعدة شلب وذواتها في قبضتك، واستذراء[4] ذلك الأفق بظل طاعتك، وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم، ولا عهد لازم، قد كذبه ظنه في التماسك، وأخلفه أمله في التهالك، ورغم به أنف من بعد عنه، وجدع[5] به من لم يوضع الميسم[6] عليه، فأي نعمة يا سيدي، وأعلى عددي[7]، ما أجلها وأجزلها، وأي منة[8]، ما أتمها وأكملها، على حين تضاعف حسن موقعها، وبان لطف محلها وموضعها، ولاحت عنواناً في صحيفة مساعينا، وبرهاناً - بحول الله تعالى - على تأتي أراجينا[9]، فالحمد لله، ثم الحمد لله، على ما من به وأحسن فيه، حمداً يؤدي الحق ويقضيه، ويحتوي المزيد ويقتضيه، وهو المسؤول عز اسمه أن يتبع ذلك بأشكاله، ويشفعه بأمثاله، ويهنئ ذلك النجح[10] سلماً وحرباً، وشرقاً وغرباً، والظهور بعداً وقرباً، فظهوري منوط/ [١٧٩/ظ]

---

(١) ر ب ق: اشتد، س ط: أشيد رفدها.

(٢) ر: بنبل.

(٣) ر ب: مأمول.

(٤) ر ط: واستوذاء. ب ق س: واستزراء. والاستذراء: تذرّى، والتذرّي بالشيء: الاستتار به والاكتنان.

(٥) ب ط: وخدع.

(٦) الميسم: إسم للآلة التي يوسم بها، كالمكواة، وجمعها: مياسم ومواسم.

(٧) وأعلى عددي: ساقطة في ع.

(٨) ب ق: جنة، ر: هبة.

(٩) ب ق: راجينا.

(١٠) بعدها في س: والفتح.

بظهورك، وسروري موصول بسرورك، واتصال حالي بأحوالك، وحبلي بحبالك، هنأك الله وإياي ما خولك، وقرن بالزيادة آلاءه قبلك، بمنه.

وكتب في عناية:

أتم الله - أيها الأمير[1] الجليل محتده، الجميل معتقده[2]، المشهور فضله وسؤدده، - عليك نعمة ظاهرة وباطنة، وأجزل لديك[3] قسمة متوافية[4] وراهقة، وآتاك من كل حظ أجزله، ومن كل صنع أجمله، ومن كل خير أتمه وأكمله[5]، إلا[6] أن الأيام قد وصلت لنا[7] إلى التراسل سبباً، وجعلت في التواصل أرباً، فإذا أمكن سبب قدمته، وإذا تهيأ رسول[8] اغتنمته، توكيداً للحال معك، وتجديداً للعهد بيني وبينك؛ فمثل الحظ منك لا يهمل، وشبه الحق الذي لك لا يغفل، ومكاتبة الصديق عوض من لقائه إذا امتنع اللقاء، واستدعاء لأنبائه إذا انقطعت الأنباء، وفيها أنس، تلذ به النفس، وارتياح[9]، تنتعش به الأرواح، وارتباط، يتصل به الاغتباط، وافتقاد، يتبين منه[10] الاعتقاد والوداد، ومثل خلتك الكريمة عمرت معاهدها، ومثل عشرتك الجميلة شدت

---

(١) الأمير: ساقطة في ب، ر: الأمين. وانظر بعض هذه الرسالة في الخريدة: ٢/٤٧٩.

(٢) الجميل معتقده: ساقطة في ر ع.

(٣) ب ق: إليك.

(٤) ط: متوانرة.

(٥) ط: أجمله وأجزله.

(٦) إلا: ساقطة في بقية النسخ.

(٧) بقية النسخ: بيننا.

(٨) ر: رسولي.

(٩) ع: وانتعاش.

(١٠) ر ب ق س: به، ط: له.

معاقدها، ومثل محامدك اليوم تحملت مصادرها وموارِدها، وإذ قد تسببت لي(١)
أسبابها، فلا أقطعها، وإذ قد انفتحت بيننا أبوابها، فلا أدعمها، وأنا أصطحبك [١٧٩/و]
مثل هذا، متى(٢) أشف لك وبك، ومتى لك أشفّ، فإني مطلّع إلى أخبارك،
أراعيها، وحريص على أوطارك، أقضيها، ومستمطٌ لخيرك الكريمة أجلبها،
وأشاهد نعم الله منها وفيها، فمتى صدر عني «فلان»، فلم أتلقَ منك خيراً، ولم
الحظ من تلقاءاتك أثراً، وذلك لا محالة، لامتناع البحر وارتجاجه، وتعذر
المسالك وارتتاجه؛ وإذ قد دلّ صنيعه لي بك، وهان خطبه على هانب، فأنا أعتقد
أن كتابك بإزاء كتابي، وخطابك سيأتي خطابي؛ ولمّا تهيأ سفر «فلان»
صيفنا(٣) ـ سلامة الله ـ إلى الأفق الذي أنت عمادُه، والقطر الذي بسلك
زمامُه وقيادُه، وقد تقاسمه فيك أمل قد امتشعيه، وفتحتِ لك قد بثه
ونشره، امتحنته كتابي هذا امتحاداً مهداً، ومهدياً عنه حمداً، فإنه ما دخل تارةً إلينا، ولا
تكرر ثانية علينا، إلا وذكرك الجميل في فمه يثلبه ويعيبه، وأثرك الحسن عليه
يأهج به ويشينه، يتلو بذلك كله مقاماته(٤) المحمودة، ومحافله(٥) المشهودة،
في شكر الأمير(٦) الأجل أخيك ـ أطال الله بقاءه ـ والإشادة بتعظيم أمره،
وتفخيم قدره، فإنه لا يُعرف عندنا إلا بوسمه(٧)، ولا يناضل / إلا بسهمه، ولا [١٨٠/ظ]
يجاهد إلا عنه، ولا يُحتسب إلا منه(٨)، ومن جرى على البعد هذا المجرى،

---

(١) معاقدها... تسببت لي: ساقطة في ع.
(٢) رب ق س ع: إذا.
(٣) ق: صفينا، س: صيفك، واللفظة ساقطة في ع.
(٤) بقية النسخ: معاقده.
(٥) ط: ومحافله.
(٦) و س: الأمين الجليل.
(٧) بقية النسخ: فإنه لا يغدو عندنا إلا باسمه.
(٨) بقية النسخ: إلا فيه.

وشكرَ شُكْرَهُ النُّعْمى، فحقيقٌ بالإنعام، خليقٌ بالإكرام، وقد استضاف إلى هذه الحقوق التي مثلُها رُعِيَ، وشِبْهُها قُضِيَ، أنّه ضَيْفٌ لي، وأبرُّ[1] مَنْ عندي، أختصُّهُ بأتمّ[2] العِنايَة، وأعتمِدُهُ بأحوال الرِّعاية، وأشفعُ لهُ الشَّفاعَةَ الحَسَنَةَ، وأستظهرُ في جهتِهِ المعونةَ[3] التّامة والمشاركةَ البيِّنَة، وأنتَ بفضلِكَ تلقى أملَهُ بالتّحقيق ورجاءَهُ بالتّصديق، وتصِلُ فضلَكَ عليه، حتّى يكونَ قليباً يُروي، وشِفاءً[4] يُشفي، ودواءً[5] يُنهَلُ، وسَبَباً يتّصِلُ، إنْ شاء اللّهُ[6].

ولَهُ يرثي بعضَ حظاياهُ[7]:

(السريع)

بَعْضُكِ بَلْ كُلُّكِ في الرَّمْسِ ... تُعَدُّ[8] مِنْكِ النَّفْسُ بالنَّفْسِ
يا فَجْعَةً ما مِثْلُها فَجْعَةٌ ... مِنْ ناظرٍ صارَ إلى الرَّمْسِ
غَرْسٌ نَمَا حتّى إذا ما اسْتَوى ... عَدَتْ يَدُ الدَّهْرِ على الغَرْسِ

ولَهُ أيضاً[9]:

(كامل)

قُلْ في الحِمامِ، وما عَساكَ تقولُ؟ ... النَّفْسُ تَجْمَعُ والحِمامُ يَصُولُ
يا أيُّها المَلْهُوفُ كَرْباً، لا تُفِقْ ... إنْ جَلَّ صَبْرُكَ، فالمُصابُ جَليلُ

---

(١) بقية النسخ: وأثر.
(٢) ع: بأحسن.
(٣) بقيّة النسخ: واستظهر له المعونة.
(٤) ب ق: وسقاء يشفي، ر: وسقاة يسقي.
(٥) ر ب ق ط ع: ووردا، س: ورداء.
(٦) ر ب ق: إن شاء الله عزّ وجلّ.
(٧) هذه القطعة ساقطة في بقيّة النسخ، وانظر الذخيرة: ٣/١/١٣٠.
(٨) الذخيرة: لتفدينك النفس بالنفس.
(٩) البيتان ساقطان في بقيّة النسخ، وانظرهما في الذخيرة: ٣/١/١٣٠.

الوزيرُ[1] الكاتِبُ أبو الفَضْل ابنُ حَسْداي، رحمهُ اللَّهِ/[2] [١٨٠/و]

سابَقَ فبَرَزَ، وأَحْرَزَ[3] مِنَ البلاغةِ ما أَحْرَزَ، وجَرَى في مَيْدانها إلى أَبعدِ أَمَدٍ، وبَنَى أَغْراضَها بالصُّفاحِ والعَمَدِ، فغَبَّرَ وُجُوهَ سَوابِقِها، وظَهَرَ أمامَ وجيهِها ولاحِقِها؛ إذا كَتَبَ انتسبَ إليه السِّحْرُ أَصْحُّ[4] انتساب، ونَسَقَ المعجزاتِ نَسْقَ حِسابٍ؛ وأَرَى البدائعَ بيضَ الوجوهِ كريمةَ الأَحْساب، وقد كانتِ الذِّمَّةُ[5] تُقْعِدُهُ عن مَراتِبِ أَكْفائِهِ، وتَجِدُّ في طُموسِ رَسْمِهِ وعَفائِهِ، وتُصَرِّفُهُ تَصْريفَ المَهِيضِ، وتُقْعِدُهُ في ذلك الحَضِيضِ، حَتَّى ألْحَقَهُ اللَّهُ بأَقْرانِهِ، وأَقالَهُ مِنْ مَتْجَرِ خُسْرانِهِ، فتَطَهَّرَ من تِلْكَ السُّبَّةِ، واسْتَظْهَرَ بعقيدَتِهِ الَّتي قَيَّدَت في ديوان[6] الحقِّ مُرْتَسَمَهُ، وبَدَتْ مَحاسِنُهُ سافِرَةَ القِناعِ، كافِرَةً بذلك الدِّينِ الَّذي عَدَلَ بها عن الإقناعِ.

---

(١) هو أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي بن إسحاق، جرى في ميدان البلاغة والأدب، ونال حظاً من الشعر والنثر، وبرع في علم العدد والهندسة والنجوم، من بيت أشراف اليهود بالأندلس. وترجمته في الذخيرة: ٣/١/٤٥٧. والخريدة: ٢/٤٨٠، والمغرب: ٢/٤٤١، والمطرب: ١٩٦، ونفحات الأمم لصاعد: ١٠٠، وابن أبي أصيبعة: ٢/٥٠، ونفح الطيب: ١/٥٣٥، ٦٤٠، ٣/٢٦٧، ٢٩٣، وبدائع البدائه: ٣٦٧.

(٢) لم يرد هذا الترحم في س ط ع.

(٣) س: واحضر.

(٤) ع: أي انتساب.

(٥) ب: المذمة.

(٦) ديوان: ساقطة في ر س ع.

وقد أَثْبَتُّ لَهُ من ذلك ما لا يُرْجَى لَهُ لَحَاقٌ، ولا يَغْشَى تَمَامَهُ[1] مَحاقٌ، فمنها هذه القطعةُ التي أَطْلَعَها نَيِّرَةً، وتَرَكَ الأَلْبَابَ مِنْها[2] مُتَحيِّرَةً؛ في يَوْمٍ كان عند المقتدر[3] بالله، مَعَ عِلْيَةٍ، قد اتَّخذوا المَجْدَ حِلْيَة؛ والأَمَلُ قَدْ سَفَرَ لَهُمْ عَنْ مُحَيَّاهُ، وعَبَقَ لَهُمْ عُرْفُ[4] رَيَّاهُ، فَصافَحَهُ الكُلُّ مِنْهُمْ وحَيَّاهُ، وشَمْسُ الرَّاح، دائِرَةٌ على فَلَكِ الرَّاح، والْمُلْكُ يَنْشُرُ فَضْلَهُ، ويَنْثُرُ وَابِلَهُ وَطَلَّهُ، يُسْدي الْعَلاَءَ، ويَهَبُ الْغِنَى والغِنَاءَ، فَصَدَحَتِ الغواني، وأَفْصَحَتِ المثالثُ والمثاني، بما [١٨١/ظ] استَنْزَلَ مِنْ/ مَرْكَبِ[5] الْوَقار، وسَرَى في النُّفُوسِ مَسْرَى العُقَار، وَهْوَ[6]:

(البسيط)

عَهْدٌ لِلُبْنَى تَقَاضَتْهُ الأَمَانَاتُ ... بانَتْ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لُبَانَاتُ

يُدْنِي النُّوهُمُ للمُشْتَاق مُنْتَزِحاً[7] ... مِنَ الأُمورِ، وفي الأَوْهامِ راحَاتُ

تُقْضَى عِدَاتٌ إذا دَبَّ[8] الكَرى وإذا ... هَبَّ النَّسِيمُ فَقَدْ تُبْدَى تَحِيَّاتُ

زُورٌ يُعَلِّلُ[9] قَلْبَ المُسْتَهامِ بِهِ ... دَهْراً، وَقَدْ بَقِيَتْ في النَّفْسِ حاجاتُ

---

(١) ط: سلامه.

(٢) ر ب ق س: بها.

(٣) المقتدر بن هود، صاحب سرقسطة، وأقوى ملوكها، وتوفي سنة ٤٧٤ هـ.

(٤) عرف: ساقطة في ب ق س ط ع، وفي ر: لهم عن ريّاه.

(٥) ب ق: موقف الوقار.

(٦) وردت الأبيات الستة الأولى في بقيّة النسخ، تابعة للقطعة التالية التي مطلعها: «تورّد خدّك...»، بحيث يُظنّ أنهما قطعة واحدة، والصحيح أنهما قطعتان منفصلتان في موضوعين مختلفين كما ورد في «م»، فضلاً عمّا يدلّ عليه تصريعاهما. وانظر: الذَّخيرة: ٣/١/٤٩٢، والخريدة: ٢/٤٨٠، والنفح: ١/٦٤٠، ٣/٢٩٤.

(٧) الذخيرة: ممتزجاً.

(٨) ر ب ق س: عاد، وكذا في الخريدة، وفي ط: هبّ، وكذا في الذخيرة والنفح.

(٩) الخريدة: تعلل.

لَعَلَّ عَتْبَ اللَّيالي أنْ يَعُودَ إلى ... عُتْبَى، فَتُبْلَغَ أوطارٌ وَلَذّاتُ
حَتَّى نَفُوزَ بما جَادَ الخَيالُ لنا[1] ... فَرُبَّما صَدَقَتْ تِلْكَ المَنامَاتُ

وقَالَ[2]:

(بسيط)

تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلأحْداقِ لَذَّاتُ ... عَلَيْهِ مِنْ عَنْبَرِ الأصْدَاغِ لاماتُ
نِيرَانُ هَجْرِكَ لِلعُشّاقِ نارُ لَظَىً ... لكنَّ وَصْلَكَ إنْ وَاصَلْتَ جَنّاتُ
كأنَّما الرَّاحُ والرَّاحاتُ تَحْمِلُها ... بِدورُ تَمٍّ وأيْدي الشُّرْبِ[3] هالاتُ
حُشاشَةٌ ما تَرَكْنا الماءَ يَقْتُلُها ... إلَّا لِتَحْيَى بِهَا مِنَّا حُشاشاتُ
قَدْ كانَ في كَأْسِها مِنْ قَبْلِها ثِقَلٌ ... فَخَفَّ إذْ مُلِئَتْ مِنْها زُجاجاتُ[4]

ولَهُ أيْضاً[5]:

(وافر)

خَضَعْتُ ولَمْ أهِنْ ضَعْفاً وعَجْزاً ... وَصَحَّ الرَّأيُ حينَ فَهِمْتُ مَغْزَا
ولَمْ أظْعَنْ عَنِ الأوْطانِ حَتَّى ... غَدَوْتُ المُسْتَضامَ بِها المُعَزَّا
فَأَلْقَيْتُ العَصَا في خَيْرِ أرْضٍ ... وَلُذْتُ بِخَيْرِ مَنْ في المَجْدِ يُعْزَا
غَدَاني وابِلٌ فَأَصَابَ طَلّي ... أَلَا إلَّا يَكُنْ إبِلٌ فَمَعْزَا
فَخَفْضُ العَيْشِ في دَعَةٍ وأمْنٍ ... نِهايَةُ ما يُفِيدُ غِنىً وَعِزَّا

---

(١) بقية النسخ: به. وورد صدر هذا البيت في الذُّخيرة:
بُشْرى تحقَّقُ ما زال الخيال به .....

(٢) وقال: ساقطة في بَقيّة النسخ، وهو ما يشعر باستقلال القطعتين.

(٣) ر: القوم.

(٤) بقيّة النسخ: الزّجاجات.

(٥) هذه القطعة ساقطة في بقيّة النسخ.

[١٨١/و] ولَمَّا أُعْرِسَ المستعينُ[١] بالله، ببنتِ الوزير الأجلّ أبي بكْر بن عبدالعزيز/ احْتَفَلَ أبوهُ المؤتمن بالله في ذلك احتفالاً شَهَرَه، وأبْدَعَ فيه ابْداعاً راق مَنْ حَضَرهُ ونَهَرَه، فإنَّهُ أحْضَرَ[٢] فيه مِنَ الالات المُبْتَدعة[٣]، والأدوات المُخْتَرَعة، ما بَهَر الألْبابَ، وقَطَع دُونَ مَعْرِفَتِها الأسْبابَ، واسْتُدْعِى إليه جميعَ أعْيانِ الأندلس، مِنْ دانٍ وقاصٍ، ومُطيعٍ وعَاصٍ، فأتَوْهُ مُسْرعينَ، ولَبَّوْهُ مُتَسَرِّعين؛ وكانَ مديرَ تلك الإراغة[٤] ومُدَبِّرَها، ومُنْشِئَ مُخاطباتها ومحبِّرَها، الوزيرُ الكاتبُ أبو الفَضْل، وصَدَرَتْ عنه في ذلك الوَقْت، كُتُبٌ ظَهَرَ إعْجازُها، وبَهَر اقْتضابُها وإيجازُها، فمن ذلك ما خاطبَ به صاحبَ المظالم، أبا عبدالرحمن[٥] بنَ طاهر:

مَحَلُّكَ ـ أعَزَّكَ اللهُ ـ في طيِّ الجوانحِ ثابتٌ وإنْ نَزَحَتِ الدَّارُ، وعِيانُكَ في أحْناءِ الضُّلوعِ بادٍ[٦] وإنْ شَحَطَ[٧] المزار، فالنَّفْسُ فائزةٌ مِنْكَ بتمثُّلُ الخاطر بأوْفر الحَظِّ، والعَيْنُ مُنازِعَةٌ[٨] إلى أنْ تُمَتَّعَ مِنْ لقائكَ بظَفَرِ اللَّحْظ، فَلَا عائدةٌ أسْبَغُ بُرْداً، ولا مَوْهِبَةٌ أشْرَعُ[٩] وِرْداً، من تَفَضُّلك في الخُفُوفِ[١٠] إلى مَأْنَس

---

(١) المستعين: أحمد بن المؤتمن يوسف بن المقتدر أحمد بن هود، صاحب سرقسطة، حارب نصارى الشمال حتى استشهد سنة ٥٠٣ هـ.

(٢) س ط ع: أظهر.

(٣) ر ط: المستبدعة.

(٤) ط: الإراقة.

(٥) محمد بن أحمد بن إسحق بن طاهر، صاحب مرسية؛ وقد تقدم التعريف به، وانظر: النص في الخريدة: ٢/٤٨٣.

(٦) ر: مخيم.

(٧) ط: وإن شطَّ.

(٨) بقيّة النسخ: نازعة.

(٩) ب ق س ط: أسوغ، ر: اسيغ.

(١٠) ب: بالحفوف، ر: بالحقوق، والخفوف: الإسراع.

يَتِمُّ بمشاهدتك الْتئامُهُ، ويتّصِلُ بمُحاضرتِكَ انتظامُهُ، ولَكَ فَضْلُ الإجْمالِ، بالامْتاعِ من ذلك بأعظم الآمال؛ وأنا ـ أعزّكَ اللّهُ ـ على شرف سُؤْددِكَ حاكمٌ، وعلى مَشْرَعِ سَنائِكَ حائمٌ، وحَسْبي ما تَتحقّقهُ[1] من نِزاعي/ وَتَشَوُّقي وتَيَقُّنُهُ من [١٨٢/ظ] تَطلُّعي وتَتَوُّقي؛ وقَدْ تمكّنَ الارتياحُ، باستحكام الثّقة، واعترض[2] الانشراحُ، بارتقابِ الصِّلَةِ، وأنْتَ[3] ـ وَصلَ اللّهُ سعْدَكَ بسَماحَةِ شِيَمِكَ، وبارعِ كرمك ـ تُنْشِيءُ للمؤانَسَةِ[4] عَهْداً، وتُوري بالْمُكارَمَةِ زَنْدا، وتَقْتَضي بالمشاركةِ شُكْراً حافلاً وَحَمْداً، لا زِلْتَ مُهَنّأً بالسُّعودِ المُقْتَبَلةِ، مُسَوَّغاً اجْتلاءَ غُرَرِ الأماني المُتهلِّلَة، بمنّه، إنْ شاءَ اللّهُ[5].

ولهُ مُراجعاً للوزير أبي مُحمّدِ بنِ سُفْيانَ[6]، بقطعةٍ مِنْهَا:

(كامل)

قَابَلْتُ[7] بالعُتْبى كِتَابكَ حافِظاً ... لِلْعَهْدِ، حِفْظَ العَيْنِ بالأجْفانِ

وَبَسَطْتُ أوْضَحَ مِنْ زيادٍ[8] عُذْرَةً ... لَوْلَمْ تَكُنْ أقْسى مِنَ النُّعْمانِ[9]

---

(١) ر: بما تحقّقته.

(٢) ب ق ط: واعتراض.

(٣) وأنت: ساقطة في م.

(٤) ط: للمخاطبة.

(٥) إن شاء الله: ليست في بقيّة النسخ.

(٦) قد تقدم التعريف به.

(٧) م: ما نلْتُ بالعتبىٰ عتابك حافظاً.

(٨) هو النابغة الذبياني زياد بن معاوية، عاش في النصف الأخير من القرن السّابق على ظهور الإسلام، نادم ملوك الحيرة: المنذرين الثالث والرابع، والنعمان بن المنذر أبا قابوس. (الشعر والشعراء: ١٥٧ ـ ١٧٣).

(٩) هو النعمان بن المنذر أبو قابوس، غضب على النّابغة واستوجب سخطه عليه، لما يروى من أنه وصف امرأته المتجردة في شعر أثار غيرته وغضبه، فهرب إلى غسّان فصار=

أَسْقِيكَ عَذْباً بارداً وسَقَيْتَنِي إذْ جاشَ حَتْفُكَ مِنْ حَمِيمٍ آنِ
أَغَضِبْتَ(١) جَهْلاً أنْ نُسِبْتَ إلى الصِّبَا فامْرَحْ(٢)، فإنَّكَ مِنْهُ في رَيْعانِ

وركِبَ المستعينُ باللهِ يَوْماً نَهْرَ(٣) سرقُسْطَةَ يُريدُ طِرَادَ لَذَّتِهِ، وارْتِيادَ نُزْهَتِهِ، وافْتِقادَ أحدِ حُصُونِهِ المستَطِلَةِ بلَبْثِهِ، فاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أصْحابِهِ، مَنْ اخْتَصَّهُ لاسْتِصْحابِهِ؛ وفيهم أبو الفَضْلِ مُشاهِداً لانْفِراجِهِمْ، سالكاً لمنهاجهم(٤)، والمستعينُ قَدْ أخْضَرَ مِنْ آلاتِ(٥) إيناسه، وأظْهَرَ مِنْ أنواعِ ذلك وأجْنابِهِ، ما راقَ مَنْ حَضَرَ، وفاقَ حُسْنُهُ الرَّوْضَ الأنْضَرَ(٦)، والزَّوارقُ قَدْ حَفَّتْ بِهِ، والْتَفَّتْ بجَوانِبِهِ، ونَغَماتُ الأوْتارِ تَحْبِسُ السّائرَ عَنْ عَذْوِهِ، وتُخْرِسُ الطَّائِرَ المُفْصِحَ
[١٨٢/و] بِشَذْوِهِ، / والسَّمَكُ تُثيرُهَا المكائِدُ، وتَغُوصُ إلَيْها المَصائِدُ، فَيَبْدو(٧) منها للعَيْنِ، قُضْبانُ دُرٍّ أو سبائِكُ لُجَيْنٍ(٨)؛ والرَّاحُ لا يُطْمَسُ لها لَمْعٌ، ولا يُبْخَسُ مِنْها بَصَرٌ ولا سَمْعٌ، والدَّهْرُ قَدْ غَضَّتْ صُروفُهُ، واقْتَصَّ مِنْ مُنْكَرِهِ مَعْرُوفُهُ، فقال:

(بسيط)

لِلَّهِ يَوْمٌ أُنيقٌ، واضِحُ الغُرَرِ مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الآصالِ والبُكَرِ

= فيهم، وامتدحهم وغمّ ذلك النعمان، وبلغه أنّ الذي قُذف به عنده باطل، فبعث إليه. (الشعر والشعراء: ١٦٦ - ١٦٧).

(١) البيت ساقط في ر ط ع.

(٢) ب ق: فافرح.

(٣) ط: نهراً بسرقسطة، وانظر: الأبيات التالية في الخريدة: ٢/٤٨٢، والذخيرة: ٣/١/٤٩٣، والنفح: ١/٦٤٣.

(٤) ب: لمنامجهم.

(٥) آلات: ساقطة في س.

(٦) ر: الأخضر.

(٧) ب ق: فتبرزها للعين، ر س ط ع: فتبرز للعين منها.

(٨) بعدها في ط: وتبر.

كأنما الدهرُ لما ساءَ أعتبنا ... فيهِ بعُتبى، وأبدى صفحَ مُعتذِرِ

نسيرُ في زورَقٍ حفَّ السفينُ بهِ ... من جانبيهِ بمنظومٍ ومُنتثِرِ

مُدَّ الشراعُ بهِ نشراً على مَلِكٍ ... بَدءُ الأوائلِ في أيامنا[1] الأخرِ

هو الإمامُ الهُمامُ المستعينُ حَوَى ... عَلياءَ مؤتَمِنٍ عن هذي مُقتَدِرِ

تَحوي السفينةُ منهُ آيةً عجَباً ... بَحراً تجمَّعَ حتى صارَ في نَهرِ

يُثارُ[2] مِنْ قَعرِهِ النِّينانُ[3] مُصعِدَةً ... صَيداً كما ظَفِرَ الغوّاصُ بالدُّرَرِ

وللندامى بهِ عَبٌّ ومُرتَشَفٌ ... كالرِّيقِ يَعذُبُ في وِردٍ وفي صَدَرِ

والشَّربُ في وُدِّ[4] مَولًى خَلقُهُ زَهَرٌ ... يَذكُو وغُرَّتُهُ أبهَى مِنَ القَمَرِ

---

(١) بقية النسخ: أيامه.

(٢) ب ق س ط: تثار، ر: تصاد، وكذا النفح.

(٣) ط: الحيتان مصعدة كيداً.

(٤) النفح: في مدح مولى.

الوزيرُ[1] أبو عامرِ بنُ يَنَّق[2]

بَهَرَ ذكاءً وطَبْعاً، وعَمَرَ للمحاسنِ[3] رَبْعاً، فأقامَ للإعْجازِ بُرْهاناً، ونَيَّمَ أَلْبَاباً وأذهاناً، لَوْلا عُجْبُ استهواهُ، وأَخَلَّ بما حَوَاهُ، وزَهْوٌ ضَفَا على أعْطافِهِ، وأَخْفَى نُورَ إنْصافِهِ، إلاَّ أنَّ حَسَنَةَ إحْسانِهِ/ للسَّيِّئةِ[4] ناسِخَةٌ، وفي نَفْسِ [١٨٣/ظ] الامْتِحْسانِ راسخةٌ. وقد أثبتُّ لَهُ ما تَسْتَبْدِعُهُ، ويَفْتِنُكَ مَنْحاهُ فيه ومَنْزَعُهُ؛ فمن ذلِكَ قَوْلُهُ يَمْدَحُ[5]:

(بسيط)

حَسْبي مِنَ الدَّهْرِ أنَّ الدَّهْرَ يُنْتِجُ[6] لي ... نُكْرَ[7] الخُطوبِ وأنّي عَائِرُ[8] الأَمَلِ

دَعْني أُصَادِي زَمَاني في تَقَلُّبِهِ ... فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍ غَيْرِ مُنْتَقِلِ؟

---

(١) أبو عامر محمد بن يحيى بن محمّد بن خليفة بن يَنَّق، حذق علوم عصره في الأدب والبلاغة، ولازم أبا العلاء بن زهر فأخذ عنه علم الطبّ، فمال إليه الناس، وأظهر مَيْلاً إلى التأليف، فصنَّف في الحماسة وفي ملوك الأندلس وأعيانها وشعرائها، وتوفي في سنة ٥٤٧ هـ (التكملة لابن الأبار: ١٩٨، والخريدة: ٢/٤٨٤، والمغرب: ٢/٣٨٨، ومعجم الصدفي: ١٦٢، والحلل السندسية: ٣/٢٦٤).

(٢) بعدها في ر: رحمه الله تعالى، ع: أعزّه الله.

(٣) ر ب س ط: المحاسن.

(٤) بقيّة النسخ. لتلك السيئة ناسخة.

(٥) انظر: الخريدة: ٢/٤٨٤، والمغرب: ٢/٣٨٨، ولم يرد فيه البيت الأول.

(٦) الخريدة: يفتح لي.

(٧) ب ق: بكْر، وكذا الخريدة.

(٨) ط: عاثر الأمل.

وكُلّما رَاحَ جَهْماً رُحْتُ مُبْتَسِماً ... والبَدْرُ[1] يَزْدَادُ إشْرَاقاً مَعَ الطُّفَلِ

ولا يَرُوعَنْكَ إطْراقي لِحادِثَةٍ[2] ... فاللَّيْثُ مَكْمَنُهُ في الغِيلِ للغِيَلِ

فما تَأَطَّرَ عِطْفُ الرُّمْحِ مِنْ خَوَرٍ ... فيه ولا احمَرَّ صَفْحُ السَّيْفِ من خَجَلِ

لا غَرْوَ إنْ عُطِّلَتْ مِنْ حِلْيِهَا هِمَمي ... فَهَلْ يُغَيِّرُ[3] جِيدُ الظَّبْيِ بالعَطَلِ؟

وَيْلاهُ هَلاَّ أنالَ القَوْسَ بارِيهَا ... وَقَلَّدَ العَضْبَ[4] جِيدَ الفارسِ البَطَلِ؟

ومِنْها في المديح:

أغَرُّ إنْ تَدْعُهُ يَوْماً لِنائِبَةٍ ... جُلًى، وهَلْ[5] يَكْشِفُ الجُلَّى سِوَى جَلَلِ؟

قَدْ أَوْسَعَ الأَرْضَ[6] عَدْلاً والبِلادَ نَدًى ... فالرَّوْضُ طَلْقُ الرُّبَى والشَّمْسُ في الحَمَلِ

يَرْعَى الممالكَ[7] في قُرْبٍ وفي بُعُدٍ ... ويَأْخُذُ الأَمْرَ بَيْنَ الرِّيثِ والعَجَلِ

ذُو عَزْمَةٍ لِخُطُوبِ الدَّهْرِ جَرَّدَها ... أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ المَطْرُورِ في القُلَلِ

وذُو أيادٍ على العافينَ[8] جَادَ بِهَا ... أَشْفَى مِنَ البَارِدِ السَّلْسَالِ لِلْغَلَلِ

مُصَرِّفٌ قَصَبَ الأَقْلامِ نَالَ بِهَا ... مَنَالَهُ بِشَبَا الخَطِّيَّةِ الذُّبُلِ

مِنْ كُلِّ أَهْيَفَ ما في مَتْنِهِ خَطَلٌ ... والسُّمْهَرِيَّةُ قَدْ تُعْزَى إلى الخَطَلِ

---

(١) ط: كالبدر، وكذا المغرب.

(٢) ر: بحادثة.

(٣) س ط: يُغَيِّر.

(٤) س ق ط ع: السيف.

(٥) ر ب ق س ع: ولا يكشف، وكذا الخريدة.

(٦) م: الدهر.

(٧) ب ق: المماليك.

(٨) ط: العالين.

[١٨٣/و] /دَعْ عَنْكَ ما خَلَدَتْ يُونانُ مِنْ حِكَمٍ ... وسارَ في حُكَمَاءِ الفُرْسِ مِنْ مَثَلِ

وانْظُرْ إلَيْهَا تَجِدْهَا احْرَزَتْ سَبَقاً ... في الْجِهْدِ مِنْهَا وحازَ الخَصْلَ[1] في مَهَلِ

وَلَهُ يتغزَّلُ[2]:

(طويل)

وهَيْفَاءَ يَحْكِيهَا القَضِيبُ تَأَوُّداً ... إذا ما انْثَنَتْ في الرَّيْطِ او جِبْرَايَتِهَا

يَضِيقُ الإزارُ الرَّحْبُ عن رِدْفِهَا كَمَا ... تَضِيقُ بِهَا الأَحْشَاءُ عَنْ زَفَرَاتِهَا

وَمَا ظَبْيَةُ أَدْمَاءُ[3] تَأْلَفُ وَجْرَةً ... تَرُودُ ظِلَالَ الغُصْنِ[4] أَوْ أَثْلَاتِهَا

بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ أَوْمَتْ بِلَحْظِهَا ... إلَيْنَا، ولم تَنْطِقْ جِدَارُ وُشَاتِهَا

---

(١) ر ب ق ط ع: السَّبْق، وكذا الخريدة. والخصل: الخطر الذي يُخاطر عليه، واحرز خصله: إذا غلب.

(٢) انظر: الخريدة، وورد البيتان الأخيران في المغرب: ٣٨٩/٢.

(٣) ب ق: إذ ما.

(٤) ب ق: الغيل.

الوزيرُ[1] الكاتِبُ أبو بَكْرِ بنُ قُزْمَانَ[2]

مُبرِّزٌ في البَيانِ، ومُحْرِزُ الخَصْلِ عِنْدَ تَسابُقِ الأعْيانِ، اشْتَمَلَ عليه المتوكلُ باللهِ اشتمالاً أرْقاهُ إلى مَجالسَ، وكَساهُ مَلابِسَ، فاقْتَطَعَ أسْمَى الرُّتَبِ وتبوّأها، ونالَ أسْنَى الحُظْوَةِ[3] وما تَمَلّاها، فإنَّ دَهْرَهُ كَرَّ عَلَيْهِ بخطوبِهِ، وسَفَرَ لَهُ عَنْ قُطُوبِهِ، فَكَدَّرَ عَيْشَهُ بَعْدَ ما صَفا، وقَلَّصَ بُرْدَهُ الّذي كانَ ضَفا، وتجرَّعَ آخِرَ عُمْرِهِ مِنْ كؤوسِ الذُّلِ أبْشَعَها ذَوْقاً، ولَبِسَ مِنْ ملابسِ الهَوانِ أشْوَهَها طَوْقاً، في قِصَّةٍ أساءَ بها[4] ابنُ حَمْدينَ وما أجْمَلَ، وجاءَ بها شَوْهاءَ لا تُتأمَّلُ، وأخْلاقُهُ هي التي فَلَّتْ مِنْ غَرْبِهِ، وكانت سَبَباً لطولِ كَرْبِهِ، فإنَّها كانت تَحْتَدِمُ في جوانِحِهِ[5] احْتِدامَ الغَيْظِ، وتكاد/، تَميِّزُ مِنَ الغَيْظِ، وكانَ ـ رحمه الله ـ ظاهِرَ الصَّوابِ، [١٨٤/ظ] مَتَى نَبَسَ، طاهرَ الأثْوابِ[6]، مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، مُعْجِزاً بِبَيانِهِ، مُوجِزاً في كُلِّ أحْيانِهِ.

---

(١) هو محمَّد بن عبدالملك بن عيسى بن قزمان (عمُّ الزجَّال بن قزمان)، وتوفي سنة ٥٠٨ هـ، من أهل البلاغة والبيان، وذكر ابن بسّام (الذخيرة: ٢/٢/٧٧٤) أن المتوكل صاحب بطليوس أول مَنْ اتخذه كاتباً، وساءت حياته لتوعرّ أخلاقه في آخر عمره (الصلة لابن بشكوال: ٥١٢، والخريدة: ٢/٤٨٧، والنفح: ٤/٢٤، والمغرب: ١/٩٩).

(٢) بعدها في ر ب ق: رحمه الله تعالى.

(٣) ب ق س ط: الحظوظ.

(٤) ط: أساء بها إلى ابن حمدين، وستأتي ترجمة ابن حمدين بعد قليل.

(٥) ط: في صدره.

(٦) ط: القلب.

وقَدْ أَثْبَتُّ لَهُ ما يُعْلَمُ بِهِ حَقِيقَةُ قَدْرِهِ، ويُعْرَفُ كَيْفَ أَساءَ الزَّمانُ إليه بِغَدْرِهِ، فمن ذلك قوله[1]:

(كامل)

رَكِبوا الخُيولَ مِنَ الخُيولِ، وَرَكَّبُوا ... فَوْقَ الْعَوَالي الشُّمْرِ زُرْقَ نِطافِ
وتَجلَّلُوا الغُدْرانَ مِنْ مَاذِيِّهِمْ ... مُرْتَجَّةً إلاَّ عَلَى الأَكْتافِ

ولَهُ يَتَغَزَّلُ[2]:

(خفيف)

قُلْتُ للعَيْنِ حينَ أذْرَتْ على الخَدْ ... دِ دُموعاً لا تَسْتَفيقُ انْهِمالا
جَزَعاً مِنْ صُدودِ أخْوَرَ كَمْ حَيْـ ... ـيرَ بالاً وكَمْ جَنَى بَلْبالا
لا تَرومي مَنالَ[3] ما لَمْ يُنالا ... والْمَحيبِ كما رَأَيْتِ الْهِلالا
فأَجابَتْ لَقَدْ أَحَلْتَ مَنالاً[4] ... هُوَ أَنْأَى من الْهِلالِ مَنالا
إنَّ بَدْرَ السَّماءِ يَطْلُعُ لِلأبْـ ... ـصارِ مَمْسىً وَمَصْبَحاً وزوالا
فإذا[5] ما اسْتَسَرَّ آبَ وَقَدْ ذا ... بَ اكْتِئاباً مِنْ أنْ يُغَبَّ وِصالاً
وَهُوَ البَدْرُ قَدْ أَجَدَّ مَلالاً ... واجْتِنَاباً كَمَا أَجَدَّ كَمالا
يَتَوارى مَعَ العُيونِ نَهاراً ... ومَعَ اللَّيْلِ لا تَراهُ خَيالا

---

(١) انظر: الخريدة: ٢/٤٨٧، والمغرب: ١/١٠٠، وهي ثلاثة أبيات في الذَّخيرة: ٢/٢/٧٨٥.

(٢) هذه القطعة زيادة في م، وانظرها في الذخيرة: ٢/٢/٧٨٥.

(٣) الذخيرة: مثال ما لن تنالى.

(٤) الذخيرة: مثالا.

(٥) الذخيرة: وإذا.

وَلَهُ أَيْضاً[1]:

(طويل)

وشَمْسٍ كَنَوْناها بِبَدْرٍ صِيانَةً ... وقَدْ عادَ وَجْهُ الأَرْضِ أَسْوَدَ حالِكا

/أَطَرْنا بِهِ طَيْرَ الدُّجَى عَنْ بلادِهِ ... إلى أَنْ رَأَتْ عَيْنايَ فيها المَسالِكا [١٨٤/و]

حَجَبْنا بها بَيْتاً مِنَ اللَّهْوِ لَمْ نَزَلْ ... عُكُوفاً بها حَتَّى قَضَيْنا المَناسِكا

---

(١) هذه الأبيات زيادة في م.

الوزيرُ[1] الكاتِبُ أبُو بَكْرِ بنُ الْمِلْحِ[2]

حَلَّ كَنَفَيْ الْعِلْم والْعَلْيَا، وأَخذ بطَرَفَيْ الدِّين والدُّنْيا، فَهَصَرَ أَفْنَانَ الفُتُوَّة، واقْتَصَر بُرْهَةً على اجْتلاءِ غُرَرِ الأماني الْمَجْلُوَّة، لم يَتَأَنَّس بها إلاَّ بنَشْوَةٍ، ولم يَتَنَفَّسْ فيها إلاَّ عَنْ صَبْوَةٍ، ولا طافَ مُدْتَها إلاَّ برُكْن اسْتِتَار، ولا عافَ مَوْرِدَ استهتارٍ، والدِّينُ يَلْحظُهُ بطَرْفٍ كَلِفٍ، وقَلْبٍ عَلَيْهِ مُؤْتَلِفٍ؛ إلى أَنْ اقْتَصَرَ باطِلُهُ، واسْتَبْصَرَ من الرُّشْدِ[3] مُسَوِّفُهُ ومَاطِلُهُ[4]، فَعَرِيَ مِنْ ذلِكَ اللِّبوس، وبريءَ من تلك الكُؤوس، وأَصْبَحَ ثانيَ الأكابِرِ، وَرَائِيَ أَعْوادِ المنابِرِ؛ وكانَ ـ رحمه اللهُ ـ مُدَّةَ الشَّبابِ، والْوُلوجِ في ذلك الباب، احلى من الضَّرَب، وأَشْهَى من لَيْلَةِ الهَرَب، وبَقِيَتْ مِنْ ذلك في لهَواتِهِ بقيَّةٌ لم يَقْصِرْ عن سَالِفِهَا، وَلَمْ يَكْبِرْ فؤادُ آنِفِهَا[5].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح، وهو من بيت أصالة، وفارس ميداني الزهد والبطالة، هذا ما قاله عنه ابن بسّام في الذخيرة: ٢/١/٤٥٢، وترجم له في الخريدة: ٢/٤٨٨، والمغرب: ١/٣٨٣، والذيل والتكملة للمراكشي: ٦/١١٨، والتكملة لابن الأبار: ٤١٤. والنفح: ٤/٧٠، ١٤٨، ٢٦٣، ٣/٤٦٦، والمعجب: ٢٨٣.

(٢) بعدها في ر: رحمه الله تعالى.

(٣) من الرشد: ساقطة في بقية النسخ؛ وبعدها في ط: موسوفة.

(٤) ر ب ق: مماطله.

(٥) وكان ـ رحمه الله ـ مدة الشباب... فؤاد آنفها: ساقطة في بقيَّة النسخ.

وقد أثبتُّ لَهُ ما يُسْتَجاد، ويُسْتَزادُ لَهُ تهائمُ ونِجاد، فمن ذلك قَوْلُهُ، مِنْ قصيدةٍ في أخْذِ سَبْتَةَ[1]:

(كامل)

واللَّيْلُ[2] يَرْكُضُ عَابِداً من طِرْفِهِ ... مَرْفُوعَ ذَيْلِ البُرْد مَقْبُوضَ الرِّدَا

/والجَوُّ مَخْرورُ القميصِ فكُلَّما ... مَلأَتْهُ أنفاسُ الرِّياحِ تَقَدُّدا [١٨٥/ظ]

والرَّوْضُ يَبْعَثُ[3] بالنَّسيمِ كأنَما ... أهْداهُ يَضْرِبُ لاصْطِباحَكَ مَوْعِدا

سَكْرانُ من مَاءِ النَّعيمِ[4] فكُلَّما ... غَنَّاهُ طائرُهُ وأطْرَبَ رَدَّدَا

يَأْوي[5] إلى زَهْرٍ كأنَّ عُيُونَهُ ... رُقَباءُ تَقْعُدُ لِلأَحِبَّةِ مَرْصَدَا

زَهْرٌ يَبُوحُ بِهِ اخْضِرارُ نَبَاتِهِ ... كالزَّهْرِ أشْرَجَهَا[6] الظَّلامُ وأوْقَدَا

وَيَبِيتُ في فَنَنٍ تَوَهَّمَ ظِلَّهُ ... يُمْسي ويُصْبِحُ في القَرَارةِ مِرْوَدا

وَلَهُ منها يَصِفُ ما سَالَ مِنَ الدَّم[7]:

قَدْ[8] ظَلَّ أنْفُ الأرْضِ أحْسَنَ رَاعِفاً ... مِنْهُ، وطَرْفُ الأرْضِ أخْزَرَ أرْمَدَا

وأحَمَّ يَثْأَرُ للغَديرِ كأنَّما ... سَالَ النَّجيعُ خِلالَهُ وَتَوَلَّدا

---

(١) من قصيدة في أخذ سبتة: ساقطة في بقيّة النسخ، وفي الذخيرة: قال من قصيدة في المعتمد. ومدينة سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسىً على البحر، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية. (معجم البلدان: ١٨٢/٣).

(٢) هذا البيت والذي يليه ساقطان في بقيّة النسخ، وانظر القصيدة في الذخيرة: ٤٥٤/١/٢، ومنها ستة أبيات في الخريدة: ٤٨٨/٢، وأربعة في المغرب: ٣٨٣/١.

(٣) رع: يعبث بالنسيم كأنّه.

(٤) ر: من ماء الشباب.

(٥) الخريدة: يهوي.

(٦) ع: .... ثمامه ... كالزُّهْر اشرقها.....

(٧) وله منها يصف ما سال من الدّم: ساقطة في بقية النسخ.

(٨) البيت والذي يليه ساقطان في بقيّة النسخ، ولم يردا في المصادر.

قَـدْ خَفَّ مَـوْقِعُـهُ عَـلَيْـهِ وَرُبَّمـا ... مَنَـحَ النَّعِيـمُ بِعَـطْفِـهِ فَتَـأَوَّدا[1]

أَعْلَى[2] مَحَـلِّ الشِّعْرِ أَنَّ قَصـائِـدي ... جَعَلَتْ مَـديحَـكَ بـالْمعـانِي مَقْصَـدَا

خَـطَبَتْـكَ[3] تَـرْكَبُ بَـطْنَ كَفِّي مِنْبَـرًا ... وَدَعَتْـكَ تَعْمُـرُ ظَهْـرَ كَفِّي مَسْجِـدا

أَثْقَلْنَ[4] أَعْنـاقَ الـمَـآرِبِ لُـؤْلُـؤاً ... وَمَـلأْنَ آفـاقَ الـبِـصـائِـرِ إِثْـمِـدا

كَمْ قَـدْ رَكِبْتُ إِلَيـكَ كـاهِـلَ هِمَّـةٍ ... كـادَتْ تُغـالِطُ فِي أَخِيـهِ الفَـرْقَـدَا

أَبْغِي لَـدَيْـكَ العَيْشَ أَخْضَـرَ يـانِعـاً ... فـأَجُـوبُ جُنْـحَ اللَّيْـلِ أَسْفَـعَ أَسْـوَدَا

يَقْـظـانَ تَحْسِبُنِي الكـواكِبُ نَـاظِـراً ... فِيهـا يُنـاظِـرُ[5] لِلْغَـزَالَـةِ مَـوْرِدَا

وإِذا تَكَـنَّفَنِـي الـنَّهـارُ لَبِـثْـتُـهُ ... وَهَجـاً لَفُوحـاً أَوْ سَـرابـاً مُـزْبِـدَا

[١٨٥/و] /رَطْبَ الجوانحِ فِي الثِّيابِ[6] كأَنَّمـا ... تَهْـدَيْتُ فِي المـاءِ الحَفِيِّ الهُـدْهُـدَا

وَلَهُ مِنْ قصيدةٍ يَصِفُ حُلولَهُ عند المعتضد باللَّه [7]:

(كامل)

هـابَتْ[8] مَـوارِدُهُ لَـدَيْـكَ كـأَنَّمـا ... وَقَـفَتْ ركـائِبُـهُ بـرِيفِ الْكَـوْثَـرِ

وَسَمَـا بِمُـبْلِغِـهِ[9] إِلَيـكَ كـأَنَّمـا ... قَـطَعَ المراحِـلَ فِي بُروجِ المُشْتَـرِي

نَقَـلَ الـوِدادَ على قِـطارِ قَصـائِـدٍ ... وَخَـدتْ[10] إِلَيكَ بِضَحْضَحـانٍ مُضْمَرِ

---

(١) س: وتأوّدا.

(٢) الأبيات المتبقية لم ترد في بقية النسخ.

(٣) الذخيرة: خطبته... ظهر كفّك.

(٤) الذخيرة: أثقلت... وملأت آماق.

(٥) الذخيرة: يراقب.

(٦) الذخيرة: اليباب.

(٧) الأبيات ساقطة في بقيّة النسخ، وهي من قصيدة أوردها صاحب الذخيرة: ٢/١/٤٥٦ - ٤٥٨.

(٨) الذخيرة: طابت.

(٩) الذخيرة: يلّغه إليك.

(١٠) الذخيرة: رَنّحت زماناً في جَناب الدفتر.

بِحِمْلِنَ طيبَ الحَمْدِ فيك كَأَنَّما ... يَنْشُرْنَ في[1] الفلوات طِيبَ العَنْبَرِ
أَضْمَرْتُ[2] هذا القَصْدَ نَحْوَكَ حَجَّهُ ... فَقَضَيْتُ فَرْضَ المؤمنِ المُتَنَضِّرِ

وَلَهُ أيضاً[3]:

(طويل)

هِيَ الْخَمْرُ مِنْ ريقِ الحبيبِ مَذَاقُهُ ... لَدَيْهَا ومِنْ أَنفاسِهِ مُتَنَسَّمُ
خَبَتْ تَحْتَ مَزْجِ الماءِ شُعْلَةُ نَارِهَا ... فَلَمْ يَبْقَ إلَّا نُورُهَا المتَجَسَّمُ

وَلَهُ يتغزَّلُ[4]:

(مسرح)

ظَبْيٌ يَموجُ الهوى بناظِرِهِ ... حَتَّى إذا ما رَمَى[5] بِهِ انْبَعَثَا
مُبْتَدِعُ[6] الخَلْقِ[7] لا كَفَاءَ لَهُ ... يَعُدُّ شَكْوَى صَبَابَتِي رَفَثَا
أَنْكَرَ سُقْمِي وَمَا قَصَدْتُ لَهُ ... وَمَا تَعَرَّضْتُ لِلْهَوَى عَبَثَا
أَقْسَمَ في الحُبِّ أَنْ أَمُوتَ بِهِ ... فَمَا قَضَى بِرُّهُ[8] ولا حَنَثَا

وَلَهُ يَتَغَزَّلُ[9] :

---

(١) الذخيرة: بالفلوات.
(٢) البيت ساقط في الذخيرة.
(٣) البيتان ساقطان في بقيّة النسخ.
(٤) انظر: الخريدة: ٢/٤٩٠، والذخيرة: ٢/١/٤٥٣.
(٥) ع: زكا، الذخيرة والخريدة: رنا.
(٦) ر ط: مستبدع.
(٧) الذخيرة: البخل.
(٨) ع: فما قضى نسكه.
(٩) انظر: الذخيرة: ٢/١/٤٥٣، ومنها ثلاثة أبيات في الخريدة: ٢/٤٨٩، وبيتان في المغرب: ١/٣٨٤.

(خفيف)

حَسِبَ القَوْمُ أنّني عَنْكَ سالٍ ... أنْتَ تَدْري صَبابَتي[1] ما أُبالي

قَمَري، أنْتَ كُلُّ حينٍ وَبَدْري[2] ... فَمَتى كُنْتَ قَبْلَ هذا هِلالي؟

أنْتَ كالشَّمْسِ لَمْ تَغِبْ[3] لي ولكن ... حَجَبَتْ لَيْلَها حِذارَ المَلالِ

ما مَلِلْنا[4] فكانَ ذا، غَيْرَ أنّا ... قَدْ حَسِبْناهُ من صُروفِ اللَّيالي

وَلَهُ[5] عِنْدَما دَبَّ إلى مِنْبَرِهِ وَسَعَى، وَهَبَّ مِنْ تلك النَّوْبَةِ التي كانَتْ تُنْعى:

(متقارب)

وكُنْتُ فَتَى الكاسِ عَهْدَ الصِّبا ... فَرَدَّنيَ الدَّهْرُ شَيْخَ الدُّعاءِ

وَلَهُ[6]:

---

(١) ط: تعيستي، س: قضيّتي، وكذا في المغرب، وفي الذخيرة والخريدة: سريرتي.

(٢) ع: شمسي.

(٣) الذخيرة: لم تغيّر.

(٤) البيت ساقط في بقية النسخ.

(٥) إلى هنا تنتهي ترجمة ابن الملح في ر ب ق س ط، وفي ع زيادات نثبتها في نهاية الترجمة، وبنهاية هذه الترجمة ينتهي القسم الثاني من القلائد. وفي ب ق هذه الخاتمة: «تمّ القسم الثاني من قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، المضمّن غُرَر علية الوزراء وفِقَر الكتّاب البلغاء».

وخاتمة ط: «انتهى القسم الثاني من قلائد العقيان ومحاسن الأعيان بحول الله وقوّته، والحمد لله كما يجب لجلاله، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه وسلّم كثيراً أثيراً إلى يوم الدّين، والحمد لله ربّ العالمين».

وخاتمة ع: «كمل القسم الثاني بحمد الله وحُسن عونه، وصلّى الله على محمّد نبيّه».

وبذلك يبتدىء القسم الثالث من القلائد في بقيّة النسخ، بترجمة الفقيه أبي الوليد الباجي. أمّا الترجمتان التاليتان فهما زائدتان في «م».

(٦) الأبيات زيادة في م.

مَـالـي وَلِلْحُبِّ يُجْفِيـنِي وَأُظْهِـرُهُ ... وَلِـلأَسَـى فِـيهِ يَـطْوِينِي وأَنْشُـرُهُ

وكَـمْ هَمَـمْتُ فَـلَمْ أَقْـدِرْ عَلَى جَلَدٍ ... مَـا أَجْمَـلَ الصَّبْـرَ بِي لَـوْلَا تَعَـذُّرُهُ!

أَسْـلَمْتُ قَلْبِي إِلَى وَجْـدِي وقُلْتُ لَـهُ: ... صَبْـراً، لَعَلَّكَ يَـوْمـاً سَـوْفَ تَشْكُـرُهُ

(بسيط)

ولَهُ مِنْ قَصيدةٍ في إِعْذار[1]:

بِمُـزْدَوجِ المقْـرَاضِ فَخْـرَ مُغَلَّبٌ ... بما اخْتُصَّ مِنْ أَمْرٍ على الحَكَمِ الفَرْدِ

هـو الـدَّهْـرُ لَمْ يَسْتَعْقِبِ الـدَّسَّ وِتْـرَهُ ... على خَطَإٍ كـانَتْ خَـطَايَـاهُ أَوْ عَمْـدِ

فَـرائضُ عِـزٍّ لا خَـبَـايـا مَـذَلَّـةٍ ... وَلُـطْـفُ حَلِيمٍ لا تَـقَلُّبُ ذِي حِقْـدِ

(طويل)

وَلَهُ مِن قصيدةٍ في قَصْد المعتمد[2]:

عـامَـتْ مِنَ الـمَكْـرُمـاتِ راحَتُـهُ ... [مِنْ][3] قَبْـلُ ثِرْبُ العُلَى وقَبْـلُ نَصَخْ

غُـرَّتُـهُ الـشَّـمْسُ والـحَيَـا يَـدُهُ ... بَيْنَهُمَـا لِلنَّجيـعِ قَـوْسُ قُـزَحْ

(شرح)

وَلَهُ من قصيدةٍ[4]:

سَتَـرْتُمُ الحُسْنَ ضَنّـاً لا فَقَـدْتُكُـمْ ... فكـانَ بـالـوَهْمِ مَـرْجُـوّاً وَمَـظْنُـونَـا

مَهْـلاً فلَمْ نَعْتَقِـدْ دِينَ الهَـوَى تَبَعـاً ... وَلَا قَـرَأْنا صَحِيفَ الـوَصْـلِ تَلْقِينـا[5]

(بسيط)

---

(١) الأبيات زيادة في م.

(٢) البيتان زيادة في م، والبيت الثاني منهما في النفح: ٤/٧١؛ وفيه أنه من قصيدة في المعتضد والد المعتمد.

(٣) زيادة يقتضيها الوزن.

(٤) الأبيات زيادة في م ولم نجدها في المصادر.

(٥) ينظر في هذا إلى تونية ابن زيدون.

قَدْ نَصْرِفُ العَذْلَ يُغْوينا ويُرْشِدُنَا ... ونَتْرُكُ الدَّارَ تُشْجِينا وَتُسْلِينا
ونَتْبَعُ الحيَّ والأَشْواقُ مُحْرِقَةٌ ... نَحُومُ بالْماءِ والأَرْمَاحُ تَحْمِينا
[١٨٦/ظ] /كَواكِبٌ بِسماءِ النَّقْعِ قَدْ جُعِلَتْ ... لَنا رُجوماً وَمَا كُنَّا شَياطِينَا

وَلَهُ مِنْ قصيدةٍ[١]:

(طويل)

خَوافِقُ قَدْ رِيشَتْ بأَجْنحَةِ الهَوى[٢] ... تَطيرُ بأَفْقِ الرُّوم كُلَّ مَطَارِ
بِكُلِّ مُبَاهٍ بالسِّلاحِ كأَنَّما ... يَجُرُّ مِنَ الخَطِّيِّ فَضْلَ إزارِ
مُهينٍ لِدُنْيَاهُ يَظُنُّ حَيَاتَهُ ... إذا لَمْ يَمُتْ في اللَّهِ دارَ بَوارِ

وَلَهُ أَيْضاً[٣]:

(بسيط)

لي هِمَّةٌ تَتَعَدَّى حَدَّ صاحِبِها ... تَطيرُ بالماءِ في حَظٍّ وَمَا وَقَعَا
تَمْتَدُّ مِنْها يميني كُلَّما قَبَضَتْ ... عِزّاً ويَشْمَخُ أَنْفي كُلَّما جُدِعَا
لَمْ أَتَّخِذْ حَيْثُ مَضَّتْ هِمَّتي ثِقَةً ... ولَوْ حَرَرْتُ فُؤادِي نَحْوَهُ قُطِعَا
ورُبَّ راكِبِ لَيْلٍ ظَلَّ في نُوَبٍ ... للَّيْلِ يُنْكِرُ سَعْدَ عِنْدها بُلَعَا[٤]
مُذَبْذَبُ الْعَزْمِ يَجْفُو ظِلَّ صاحِبِهِ ... تَبَرُّماً بِدجى عَبْقِيَّةٍ جُرَعَا

ولَهُ أَيْضاً يَصِفُ شَمَّامةً ويُكَنِّي عَنْها[٥]:

---

(١) الأبيات زيادة في م، وانظر: الذخيرة: ٢/١/٤٦٣، وفيها: يصف حَلْبة الخيل.
(٢) الذخيرة: الهدى.
(٣) الأبيات زيادة في م، ولم نجدها في المصادر.
(٤) سعد بُلع: من منازل القمر، وهما كوكبان متقاربان معترضان خفيّان.
(٥) الأبيات زيادة في م، وانظر: الذخيرة: ٢/١/٤٧٢.

(بسيط)

أنـا الْمُـدَارَةُ بَيْنَ الكـأْسِ والـطَّبَقِ ... والْمُسْتَعَـارَةُ لـلآدابِ[1] والـحَـدَقِ
أكـونُ لِـلْوَرْدِ والـخَـيْـرِيِّ آوِنَـةً ... وتـارةً لِـغُـصـونِ الأس والْـحَـبَـقِ
لَـوْلا صِيَـانَـةُ جِسْمي عَنْ مُجَاذَبَـةٍ ... لثـارتِ الْحَرْبُ بَيْنَ النَّـوْرِ والـوَرَقِ
خِفْتُ الـزَّمانَ على تَغْيير عَهْدِهِمَـا[2] ... فـفي ثـيـابيَ[3] آثـارٌ مِـنَ الـحَـرَقِ
/كـأنّني نُقْطَةٌ في الصَّحْن[4] صَـافِيَـةٌ ... قَدْ غَيَّرتْ بَعْضَ لَوْني خُضْرَةُ الأُفُقِ[5] [١٨٦/و]

ولَهُ من قصيدة[6]:

(الطويل)

وأغْيَـدَ حَيَّـاني بغَيْـداءَ، والْهَـوى ... يُعيـدُ الْهَوى، يـا حَبَّذا الْغِيـدُ والْعِيـدُ
سَقَتْ لَـوْعَتي مِنْـهُ ومنهـا مَـرَاشِفٌ ... تَـطيبُ بحُبِّ الْحَرِّ، والْبَـرْدُ مَـوْجُـودُ
عَـطَفْتُ على الـدَّلَّيْنِ أمْتـارُ مِنْهُمـا ... حَيَـاةً، يُؤَدِّيـهـا لَـهـاةٌ وعُـنْـقُـودُ
مَـنَحْتُهُمـا أوْقـات لَيْـلي وبَيْـنَنَـا ... لِسِـرِّ الْهَـوى وَقْتٌ إذا شِئْتَ مَحْـدودُ
وَمَا عَنَّ لِلْفَحْشاءِ في الطِّيب [خاطرٌ][7] ... ولا طـافَ للْواشينَ بـالْحـال تَنْكيـدُ
سَكِـرْتُ ومَنْ أمْسَى بحـالي فَـإنَّـه ... بِسُكْرَيْنِ: للألحاظِ والكأْسِ مَقْصـودُ
ومـا زِلْتُ مَخْصُـوصـاً بـطيبٍ يَعِلُّني ... بِهـا الرَّشَـأُ الأحْـوى أوْ الْغـادَةُ الـرُّودُ
إلى أنْ وَشَى بـالْفجرِ خـاطِـرُ نَفْحَـةٍ ... يُسـايـرُهَـا للطَّيْـرِ: سَجْـعٌ وتَغْـريـدُ
ولاحَ عمـود الصُّبْح صَلْبـاً كَـأنَّـهُ ... لِفِعْـلِ الدَّيـاجي في يَـدِ الأُفْقِ إقْليـدُ

---

(١) الذخيرة: للآناف.
(٢) الذخيرة: عهدتها.
(٣) الذخيرة: إهابي.
(٤) الذخيرة: الصَّحو.
(٥) الذخيرة: الورق، وإلى هنا تنتهي الترجمة في م.
(٦) الأبيات زيادة في «ع»، ولم نجدها في غيرها من المصادر.
(٧) زيادة يقتضيها الوزن.

(الـربع)

يـا عَـابِـدَ الـرَّحـمٰنِ، كَـمْ لَـيْـلَةٍ أَرْقْـتَـنِـي وَجْـداً ولَـمْ تَـشْـعُـرِ
إذ كُـنْتَ كـالـغُصْـنِ ثَنَتْـهُ الصَّبـا وصَـخْـنُ ذَاكَ الـخَـدُّ لـم يَـشْـعُـرِ

ولَهُ أيضاً[1]:

(بسيط)

مَـا لي ولِلْبَـدْرِ لم يَسْمَـحْ بِـزَوْرَتِـهِ لَـعَـلَّهُ تَـرَكَ الإجْـهـالَ أوْ هَـجَـرَا
إنْ كَـانَ ذاكَ لِـذَنْبٍ مـا شَعَرْتُ بِـهِ فَـأكْـرَمُ النَّـاسِ مَنْ يَعْفُـوا إذا قَـدَرا

وَلَهُ أيْضاً[2]:

(طويل)

وأهْيَفَ لا يَـلْوي على عَـتْبِ عـاتِـبٍ ويَقْضي عَلَيْنا بـالـظُّنُـونِ الكـواذِبِ
يُـحَكِّـمُ فـيـنـا أمْـرَهُ فَـنُـطيـعُـهُ ونَحْـسِبُ[3] مِنْـهُ الْحُكْمَ ضَرْبَـةَ لازِبِ

وَلَهُ أيْضاً[4]:

(كامل)

وَعَلِقْتُـهُ حُلْوَ الشَّـمـائِـلِ مـاجِـنـاً خَنِثَ الـكـلامِ مُـرَنَّـحَ الأعْـطافِ
مـا زِلْـتُ أنْصِـفُـهُ وَأوْجِـبُ حَـقَّـهُ لـكِـنَّـهُ يَـأبَى عـلى[5] الإنْـصَـافِ

وَلَهُ أيْضاً[6]:

---

(١) انظر: المطمح: ٢٢٣، والذخيرة: ١/٢/٧٣٧، والحلة: ٢/٩٤.
(٢) المطمح: وقوله ايضاً، الذخيرة: وله؛ وكذا الحلة: ٢/٩٣.
(٣) الذخيرة: ويحسب.
(٤) المطمح: ٢٢٤، وفيه: وقوله ايضاً؛ وفي الذخيرة: وله؛ وكذا الحلة: ٢/٩٤.
(٥) المطمح: عن.
(٦) المطمح: ٢٢٤، وفيه: وقوله ايضاً، وفي الذخيرة: وله.

(طويل)

حَبِيبٌ[1] إنْ يَنْأَى عَنِ الْقَلْبِ شَخْصُهُ ... يَكادُ فُؤادي أنْ يَطيرَ من البَيْنِ

ويَسْكُنُ[2] ما بَيْنَ الضُلوعِ إذا بَدا ... كَأَنَّ على قَلْبي تَمائِمَ مِنْ عَيْني

وَلَهُ[3] إليَّ: /

[١٨٦/و]

(طويل)

قَدِمْتَ أبا نَصْرٍ عَلَى حَالِ وَحْشَةٍ ... فَجاءَتْ بِكَ الآمالُ واتَّصَلَ الأُنْسُ

وَقَرَّتْ بِكَ العَيْنانِ واتَّصَلَ المُنَى ... وفازَتْ عَلَى يَأْسٍ بِبُغْيَتِهَا النَّفْسُ

فَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْوَزَارَةِ كُلِّهَا ... وَمَنْ رَأْيُهُ في كُلِّ مُظْلِمَةٍ شَمْسُ

وَلَهُ في غَيْر ذلك[4]:

(طويل)

أفَدْيِ[5] أبا عَمْرٍو وإنْ كَانَ جانياً ... عَلَيَّ ذُنُوباً لا أُعَدِّدُ بالبَهْتِ[6]

فَمَا كَانَ ذَاكَ الْوُدُّ إلَّا كَبَارِقٍ ... أَضَاءَ لِعَيْنِي ثُمَّ أَظْلَمَ لِلْوَقْتِ[7]

وَلَهُ أَيْضاً[8]:

---

(١) المطمح: حبيب متى ينأى عن العين شخصه، وفي الحلة: ٢/٩٤: حبيب إذا ينأى عن العين.

(٢) الذخيرة: ويهدأ.

(٣) المطمح: وكتب إليَّ يهنّئني بقدوم من سفر، وانظر الذخيرة: ١/٢/٧٣٨.

(٤) المطمح: وقوله أيضاً، وانظر: المغرب: ١/٢٠٠، والحلة: ٢/٩٦.

(٥) المغرب: أخذت.

(٦) المطمح: لا تُعدّد بالبهت، والمغرب والحلة: لا تعدد بالعَتْب.

(٧) المطمح: في الوقت، والمغرب: في قلبي، والحلة: عن قرب.

(٨) البيتان زيادة في «م»، ولم يردا في المطمح أو في غيره من المصادر.

(طويل)

أَلَا هَـلْ أَتَـتْ أَسْمَـاءَ عَـنِّي تَـحِيَّـةٌ كَمَا صَاغَ مِسْكٌ في الْمَفَارِقِ صائكُ؟
وَهَـلْ خَبَّـرَتْهـا الـرِّيـحُ أَنِّي وامِقٌ وأَنِّي لأَبْـرادِ الْمَـدَائِـحِ حـائـكُ؟

وَلَهُ يَمْدَحُ[1] وَلِيَّ العَهْد سَيْرَ[2] بنَ عليّ بنِ يوسفَ بنِ تاشفين:

(كامل)

بِـوَلِيِّ عَهْـدِ الْـمُـسْـلمِينَ وعَـدْلِـهِ أَمِنَ الأَنـامُ مِنَ الـزَّمـانِ الجـائِـرِ
مَلِكٌ لَـهُ في المَجْدِ أَبْعَـدُ غَـايَـةٍ وَرِثَ السِّيـادَةَ كـابـراً عَـنْ كَـابِـرِ
يَهْـوَى المكارِمَ لا يَمَـلُّ مِنَ النَّدَى جَمُّ الْمَـوَاهِبِ كالغَمَـامِ الْهَـامِـرِ
وَعَلَيْـهِ مِنْ صُنْـعِ الإِلَـهِ سَكِينَـةٌ مِـلْءُ الـقُلوبِ ونُـزْهَـةٌ لـلنَّـاظِـرِ

وَلَهُ يَمْدَحُهُ[3] أَيْضاً:

(كامل)

يـابْنَ المُلوكِ الأَكْـرَمِينَ مَنَـاسِبَـاً وَولـيَّ عَهْـدِ الـمسـلمِينَ الأَوْحَـدا
[١٨٧/ظ] /مَهَّـدْتُمُ بـالسَّيْفِ دِينَ مُحَمَّـدٍ وَشَـدَدْتُمُ بـالعَـدْلِ أَرْكـانَ الهُـدا
تُـزْهَى المَنَابِـرُ إِذْ تُقام بـذِكْـرِكُمْ وتَـذِلُّ عِنْـدَ سَمَـاعِ بـإِسْكُمُ العِـدَا
فَبَقيتَ لـلإِسـلامِ تَنْصُـرُ حِـزْبَـهُ وأُطيـلَ فيمـا تَبْتَغيـه لَـكَ المَـدا

---

(١) الأبيات زيادة في «م» ولم ترد في المطمح أو في غيره من المصادر.

(٢) هو أبو محمّد سير بن عليّ بن يوسف بن تاشفين، استقرّت له بيعة أبيه بعد أن خلعها عن أخويه تميم وإبراهيم ابني يوسف بن تاشفين، وكان كامل الأدوات من الفروسية وغيرها، ولم تطل مدته، فهلك في حجر أبيه سنة ٥٣٣. (البيان المغرب: ٤/٤٥، ٧٨، ٧٩).

(٣) الأبيات زيادة في «م»، ولم ترد في المطمح أو في غيره من المصادر.

آلْوَزيرُ[1] الْكَاتِبُ أَبُو جَعْفَرابنُ مَسْعَدَةَ

هِلَالٌ في سَمَاءِ الكتابةِ طَلَعَ، وزُلالٌ مِنْ عُنْصر السِّيادَةِ والنَّجابَةِ نَبَعَ، شَدَّ بالأدَب عَضُدَ الحَسَب، وأَمَدَّ بالعَقْل الغريزي[2] العَقْلَ المُكْتَسب، فارْتَدى مُشْرقاتِ المحاسنِ واشْتَمَلها، وتلقَّى باليمين راية الوفاءِ فاحْتملها، وَزَانَ الرِّياسةَ بما حَرَز مِنْ خصائص المَجْد، كما يزينُ عُنُقَ الحَسْناءِ زاينُ العِقْد؛ ما صابَرَ ولا تملَّقَ، ولا تطبَّع بغير التحقيق ولا تخلَّق.

وقَدْ أَثبتُّ من شعره وفرائد نثره، ما تَشْهَدُ بهذه الأوْصاف، شهادة العَدْل الرِّضَى، وتَظْهَرُ في مَيْدانِ القَوْل ظهور الحُسام المنتضَى؛ فمن ذلك قولُهُ يصف بلنسيَةَ[3]، وقد خاضَ قَوْمٌ عندَهُ في ذكرها، ووصْفِ جمالها وعِظَمِ نهرها:

---

(١) هذه الترجمة زيادة في «م»، ولم نعثر عليها فيما رجعنا إليه من المصادر؛ وهو أحمد بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن مسعدة العامري، غرناطي، أبو جعفر، كان من جلّة الفقهاء، ونبهاء النبلاء، بارع في الأدب، مشهور الإحساس، وله رواية في الحديث، وله منظوم ومنثور. (وردت ترجمته في الذيل والتكملة: ٤٦٨/٢، والديباج المذهب: ٢٥٥/١، وبغية الوعاة: ٣٧٣/١، وجذوة الاقتباس: ١٣٧/١، وسلوة الأنفاس: ٢٤١/٣، وأعلام المغرب العربي: ٢٣٩/٣، ووردت إشارة عنه في النفح: ١٧٩/١)، وأذكر هنا أن الأخ المغربي الباحث عبدالعزيز الساوري كان قد نبّهني إلى بعض مصادر ترجمة ابن مسعدة، فَلَهُ الشكر الصادق على هذا الفضل - وانظر دراسة عن ابن مسعدة للمحقق في مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، م٢ ع ٢ سنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٧ م.

(٢) في الأصل: العزيزي، ولعلّه على ما أثبتناه.

(٣) كورة بلنسية: من شرق الأندلس، وهي مدينة متكنة الحضارة، جليلة القدر، =

(وافر)

بلنسيةٌ تفوتُ الوصفَ حُسْناً ... ويعجزُ عن بدائعها التعريفُ
فكَمْ فيها حدائقُ مونقاتٌ ... لمبصرها، وكَمْ رَوْضٌ أريضُ
وأنهارٌ تفيضُ بضفَّتَيْها ... كما انسابَتْ أراقمُ لا تغيضُ
مناظرُ لو بَدَتْ لصريع سكرى ... لأحْيَتْهُ وقد عابَ الجريضُ[1]/ [١٨٧/و]
هيَ الفردوسُ في الدنيا جمالاً ... لساكنها، مكارهُها[2] البعوضُ

ولَهُ وقد ذهب الأميرُ عبدالله بن مَزْدلي[3]، إلى امتحان طَبْعه في التعريض بتصريحٍ غير تعريض، فارْتَجل:

(بسيط)

يا أيُّها الملكُ السامي بهِ الكرمُ ... ومَنْ بجُودِ يَدَيْهِ يُطْرَدُ العَدَمْ
ومَنْ أبَرَّ على الأمْلاك قاطبةً ... عِلْماً وبأساً وسَيْباً ظلَّ يَنْتَجِمْ
وحازَ خَصْلَ سِباقٍ في عُلىً وَنَدَىً ... قَدْ قَصَّرَتْ عَنْ مَداهُ العُرْبُ والعَجَمْ
بَعُدْتَ يافعَ سِنٍّ هِمَّةً وقَعُدْ ... تَ مَقْعَداً مَا إلَيْهِ تَطْمَحُ الهِمَمْ
تَلْوِي اللِّثامَ على البَدْرِ التَّمامِ كما ... تَسْعى بِلَيْثٍ إلى الهَيْجاءِ وتَقْتَحِمْ
إذا غَشيتَ الوَغَى مُسْتَلْئِماً[4] جَعَلَتْ ... أيْدي الحُتوفِ عِدَاةَ اللهِ تَخْتَرِمْ
«عَلَيْكَ[5] هَزْمُهُمْ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وما عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إذا انْهَزَمُوا»

= وقد أُطبعت بقلّة الهمّ، ويتفاخر أهلها بكثرة الأغاني وأسباب الراحات. (المغرب: ٢/٢٩٧، وترصيع الأخبار: ١٨، للعذري، والنفح: ١٧٩).

(١) في الأصل: الحريص.

(٢) ورد البيت في النفح: ١/١٧٩، وفيه: وكارهها.

(٣) من الأمراء المرابطين، تولى أمر غرناطة من قبل يوسف بن تاشفين، وعمل على استرداد بلنسية من المسيحيين وذلك سنة ٤٩٥ هـ.

(٤) بهمزة منقلبة إلى ياء.

(٥) البيت للمتنبي، انظر ديوانه: ٣/٣٦٥.

لِيَهْنَأ الغُرُّ مِنْ لَمْتُونَةٍ بِكَ ما ... حازُوهُ مِنْ مَفْخَرٍ بِأَعْظَمَ ما غَنِموا
أَقَمْتَ رَايَةَ مَجْدٍ فَخْرَهَا لَهُمُ ... وشَيَّدْتَ بُنْيانَ عِزٍّ لَيْسَ يَنْهَدِمُ
فَالعَدْلُ مُنْتَشِرٌ والدَّهْرُ مُؤْتَمِرٌ ... والعَصْرُ مُفْتَخِرٌ والسَّيْفُ والقَلَمُ
بَقِيتَ سامِيَ قَدْرٍ تَسْتَجِدُّ على ... مَرِّ الجَدِيدَيْنِ مُلْكاً ظِلُّهُ حُرُمُ

وَلَهُ، والقِطْعَةُ مُرَكَّبَةٌ على البَيْتِ الأَخِيرِ:

(طويل)

أَلا مَنْ عَذِيرِي[1] مِنْ عَدُوٍّ مُمَاتِرٍ ... أَرَاهُ صَدِيقاً لي، أُضِيءُ وأَقْدَحُ
أُنَاضِلُ عَنْهُ وهْوَ يَنْحَتُ أَثْلَتِي ... وأُلْبِسُهُ حُرَّ الثَّنَاءِ ويَقْدَحُ / [١٨٨/ظ]
يَرِيشُ ويَبْرِي في أَذَاتِي جَاهِداً ... وأُغْبِقُهُ كَأْسَ الصَّفَاءِ وأُصْبَحُ[2]
يُقِيمُ مِنَ الإِطْرَاءِ عِنْدِي شَهَادَةً ... على الوُدِّ زُوراً، والضَّمِيرُ يُجَرَّحُ
أُجَمِّلُكَ ما تَنْفَكُّ تَنْوِي مُسَاءَتِي ... وأُمسِي مُجِدّاً[3] في رِضَاكَ وأُضْبِحُ
تُعَامِلُنِي بِالغَشِّ مِنْكَ مُدَاجِياً ... وتُوهِمُنِي مَكْراً بِأَنَّكَ تَنْصَحُ
تُعَلِّلُنِي بِالقَوْلِ، والنَّبْلُ قَاتِلِي ... كَمَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، ساعَةَ يَذْبَحُ

ولَهُ ارتجالاً وقَدْ أَتاهُ مُتَخَصِّصٌ مِنَ العامَّةِ شافعاً في رَجُلٍ نَبِيلٍ، يَشْفَعُ لَهُ ذاتَهُ، ويَرْفَعُ أَذاتَهُ[4]:

(مجزوء البسيط)

يا مَنْ يَكُونُ جَهُولاً ... حَتَّى يُوافِيَ رَمْسَهْ
أَشافِعاً جِئْتَ لَيْـ ... ـتَ الفُجْلَ يَهْضِمُ نَفْسَهْ

---

(١) في الأصل: عديري بدال مهملة.
(٢) في الأصل: وأصبح، ولعلّه على ما أثبتناه، لتكرّر الكلمة في بيتٍ تالٍ.
(٣) في الأصل: محدّاً.
(٤) في الأصل: أذاته.

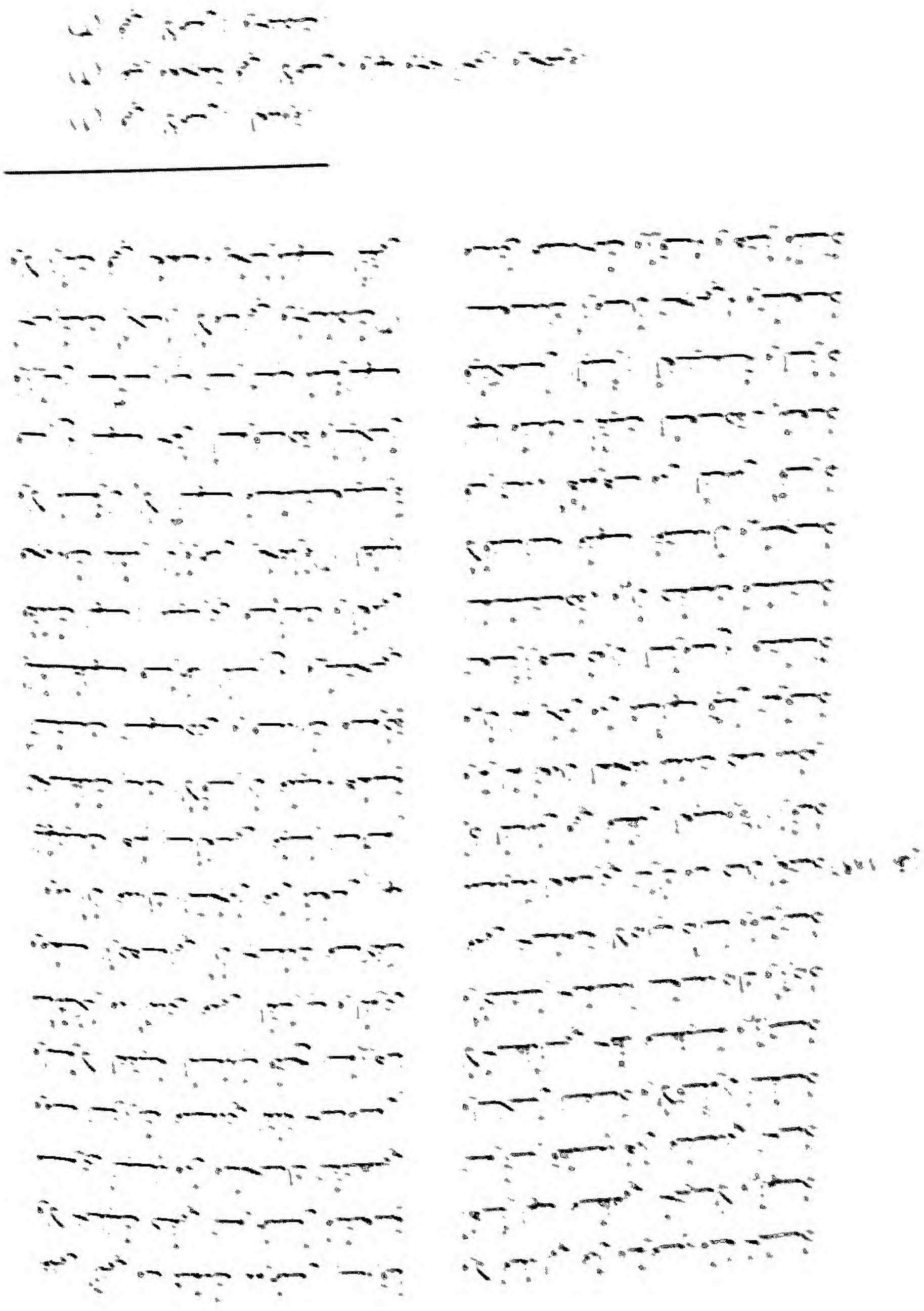

فراجعه الوزير أبو جعفر:

يا سيدي الأعلى، ومَوْرِدي الأحلى، خضل واديك، وأهلّ بالمسرّات ناديك، ولا فتىء الصُّنْع الكريم يُراوحك ويُغاديك، لا غرو - أعزّك الله - أن أوثر الإحجام، وأنت فارس الكلام، وأن أقف ولا أسير، ولك على ذلك اللقم زئير، وأنّه وافاني قريضك الفذّ، الذي لا يُدرك عفوه المُغذّ، قد راق لفظاً ومعنى، وفاق رصفاً ومبنى /، وغدا لأشتات البديع جامعاً، فأراني القول في مقاد الطبع طيّعاً سامعاً، يخطب ودّي إليّ، ويخلع حُلاه الغرّ عليّ، ويطالبني بأن أقرن إليه تربه، وأخاشن بجيشي عضبه وأوازن بطيشي سكنه، فوجب الشكر على اعتقاده الحسن، وجوب الفرائض والسنن، وألزم التوقف على المجاوبة لولا أن أضع واجبه، فإنك أرهقتني صعودك، وسبرت بثمامي عودك، ومن لي بمراكضتك وأنت صاحب التبريز، أو بمعارضتك وهو معي الزيف وعندك الإبريز!

(١٨٩/و)

لشدّ ما ضايقت القريحة عمّا سمتني إياه، حتى سمحت بما منه بما تراه، وحظّ مُجاريك[1] في هذا الباب الخسر، وقصد من طاولك - وإن طال باعه - أن يلزم خطة القصر، فكيف بمن حظّه ثمد، وجفن الفكر لديه أرمد؟!

وابن[2] اللبون إذا ما لُزّ في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

وعين[3] الرضى عن كل عيب كليلة، وسرواتك بالإغضاء عليه كفيلة،

---

(١) في الأصل: مجاريك.

(٢) البيت لجرير، وانظر مادة «قنعس» في اللسان.

(٣) تمام البيت:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

والبيت لعبدالله بن معاوية بن جعفر. (انظر: بهجة المجالس: ١/١١٦، وعيون الأخبار: ٣/٧٦).

ويعلم الله وكفى به شهيدا، ما أطويه من إمحاض ودك، وأنشره من شكر مهدك، وأستشعره من الاغتباط[1] بمواخاتك[2]، والمحاسبة بخلالك[3] وأدواتك، والله تعالى يصل بك المتاع، ولا يخلي محلك من المواهب الرباع، بجلاله وقدرته، وسلامه/ الجزيل الحفيل عليك ورحمته وبركاته:

[١٩٠/ظ]

(الطويل)

نزعت أبا بكر جوادا[4] وبرزت ... جيادك، لا ينأى عليهن امادُ
أخذت على الآداب كل ثنية ... فأعجز إتهام هناك وإنجادُ
وجست خلال[5] الشعر تحمي حريمه ... كما حمت الآجام تطرق آسادُ
وقلت، فأسمعت الغريب منقحا ... فسلم نقاد، وأذعن حسادُ
محاسن جادتها مواطن غفلة[6] ... كما وكلت بالمشرفية أغمادُ
أقامت بها تلك الخلال غريبة ... كمكنون در عطلت منه أجيادُ
بعثت القريض الفض يفقح روضه ... فتحصر أفنان البديع وينادُ
نظام ولا السلك المحكم سرده ... وقول بميدان البلاغة مجلادُ
قريب إلى فهم البكي إبانة ... بعيد على روم المعارض نداد
وسمتني الجري الغلاب وقد أتى ... لدهري تأويب علي وإسادُ
على حين ألوى بالروية شاغل ... وأخنى على نار البديهة إخمادُ
فظلت أرجي عذر نفس عليلة ... تلم بمعناها الشكاة وتعتادُ

---

(١) في الأصل: الاعتباط.
(٢) في الأصل: بمواخاتك.
(٣) في الأصل: بخلالك.
(٤) غير مقروءة في الأصل، ولعلها على ما أثبتناه.
(٥) في الأصل: خلال.
(٦) في الأصل: عفلة.

فـلا قَـوْلَ إلاَّ أنْ تَجَشَّمَ[1] خـاطِـرٌ ... ولا قَـدْحَ إلاَّ أنْ تَـعَـاقَـلَ أصْـلادُ

وأيْنَ مِنَ الـعَـدِّ الْمُعينِ صُبَـابَـةٌ؟ ... وأيْنَ مِنَ العَفْـوِ المُطاوِعِ إجْهـادُ؟

وَلَمْ أكُ أجْـريهـا قُـبَيْـلَ فكَيْفَ إذْ ... عَدَتْ دُونَ مَجْراها مِنَ الدَّهْرِ آسْدادُ؟

[١٩٠/و] /فَـمعـذِرَةً مِـنّي إلـيـكَ فـإنّـني ... رَكَضْتُ بِهِمْـلاجٍ وعـارَضَ إقْـعـادُ

ويَهْنِيكَ أضْـدادُ الخِصَـالَ جَمَعْتها ... فَـطَبْعَـكَ سَلْسَـالٌ وذِهْنُـكَ[2] وَقّـادُ

وَجـدُّكَ[3] مِفْصَـالٌ وهَـزْلُـكَ بَـيِّنٌ ... وحِلْمُـكَ قَصْـدٌ والْحَفيـظَةُ إقْصـادُ

وَوُدِّي لَـكَ الغَمْـرُ النَّميـرُ وإنْ عَـدَتْ ... مَـوَدّاتُ قَـوْمٍ وَهْـيَ كَـدْرٌ وإنْمـادُ

وَدُونَـكَ شُكْـرٌ مِثْـلَ مـا شَكَـرَ الْحَيَـا ... بِـشَـقٍّ جَـديـثٍ إذْ تَبَـسَّـرَ رُوّادُ

بَقِيتَ سَليمَ الحـالِ تَسْتَقْرِبُ الْمُنَى ... وتَسْتَتْبِـعُ الأمْـرَ الـعَصِيَّ فَيَـنْقَـادُ

ولا بَـرَحَ الصُّنْـعُ الجميـلُ مُخَيِّمـاً ... بِسـاحِكَ، يَصْفُـو مِنْهُ، فَـوْقَـكَ أبْـرادُ

وأهْـدي إلى الأسْتـاذِ مِنّي تَـحِيَّـةً ... تُعَـطِّلُ عَـرْفَ الْمِسْـكِ طيباً وَتَـزْدَادُ

وحَضَرَ أحدُ الزُّعماءِ مَأْدُبَةً أسْمِعَ فيها هذا الشِّعْرَ:

(الخفيف)

قَـدْ مَـرَرْنَـا عَلَى مَغَـانيـكِ تلك ... فَـرَأَيْـنـا بِهـا مَـشَـابِـهَ مِنْـكِ

فأُعجبَ بحسنِهِ ومُطْرِب لَحْنِهِ، وكلَّفَهُ أن يَصْنَعَ شعراً على قافيته ووزنِهِ، فَقَالَ:

(الخفيف)

سَـائِلِ الرَّبْـعَ حينَ سَـارُوا بِسَلْمَى ... واسْتَقَـلُّوا، هَـلْ آذَنُـوهُ بِتَـرْكِ؟

---

(١) في الأصل: تحشّم.
(٢) في الأصل: ودهنك.
(٣) في الأصل: وحدك. غير معجمه في الأصل، ولعلها على ما أثبتناه.

أمْ طَـوَوْا دُونَـهُ النَّـوَى طَيَّهُمْ عَنْـ ـكَ فَـأَمْسَى يَبْكي وظَلْتَ تُبَكِّي
بِـدُمـوعٍ تَـرْوي ثَـراهُ سَـجَـامٍ وأُوارُ الْجَـوَى بِصَـدْرك تُـذْكـي
كَتَمـوا سِـرَّهُمْ فَنَمَّ بِهِـمْ عَـرْ فُ كـأَنَّ الـبَيْـداءَ فَـارَةُ مِـسْـكِ
فـي سـبـيـل الإلـه مـا فَـعَـلوهُ بَتَكـوا حَبْـلَ وَصْلِهِـمْ أَيَّ بَتْـكِ!

وَلَهُ وَهُوَ مُعْتَقَلٌ إلى صديقٍ كانَ يَمُتُّ إليه بذمَامٍ، وكانَ بِهِ/ كثيرَ الإلمام، [١٩١/ظ] قَصَّرَ بِهِ في أمْرٍ كَلَّفَهُ وأَغَبَّهُ وأَخْلَفَهُ:

(الكامل)

مـاذا التَّصمـامُمُ يـا أبـا الْعَبَّـاسِ هَـلْ في قَضَـاءِ لُبَـانَتي مِنْ بَـاسِ؟!
أَمْ عَـاقَ عِنْـدَكَ عـائقٌ عَنْهَـا فَجِئْ بـالعُـذْرِ فيهـا وانْصَـرِفْ للياسِ
وارْغَبْ بنَفْسِـكَ عَنْ مَحَـلِّ مُقَصِّـرٍ إنَّ الْـمُقَصِّـرَ سـاقِطٌ في النَّـاسِ
ضَيَّعْتَ مَـأْرَبَـةَ الصَّـديقِ تَنَـاسِيـاً مـا الْحُـرُّ بـالنَّاسي ولا الْمُتَنَـاسي
لَـوْ أَنَّ وُدَّكَ ظَـاهـريٌّ[1] كُـنْـتُ أَتَّـ ـهِمُ الضَّميـرَ، وجَـالَ فيـك قياسي
قَـدْ كَـانَ مـا بَيْني وبَيْنَـكَ مِنْ ذمـا مِ الاغتـرابِ ومِنْ رِضَـاعِ الْكَـاسِ
وَصـدَاقـةٍ شَـدَّ الْصِّبَـا أَسْبَـابَهَـا فَكـأَنَّهـا مَـرَسٌ مِـن الأَمْـراسِ
تَقْضي عَلَيْـكَ بـأَنْ تُبَـادِرَ نَحْوَ مـا أَدْعُـو إِلَيْـهِ وأَنْ تَكُـونَ تُـواسي
لا أَنْ تُـرىَ فَـهِمَـاً أَلَـمَّ بـجـانبـي يَبِسَ الْمَـدَامِـعِ بـارِدَ الأَنـفـاسِ
تَغْـدو على لَهْـوِ الْفُكَـاهَـةِ مُقْبِـلاً وأَرُوحُ فـي رَمْسٍ مِـنَ الأَرْمـاسِ
وَتَـظَلُّ تَـرْمـي الاهْـتِبَـالَ بِـغَـفْـلَةٍ رَمْيـاً يُقَـرْطِسُ في سَـوَاءِ الـرَّاسِ
مَحَّتْ مَعَـالِمُ مِنْ وفـائِكَ فـاغْتَـدَتْ مَـعْـهـدَةً فـي الأَرْبَـعِ الأَدْراسِ
وَحَكَيْتَ في الـطَّبْـعِ الـزَّمـانَ تَقَلُّبَـاً وَتَـنَكُّـراً، فَـلَبِئْسَ بُـرْدُ الكَـاسـي

---

(١) في الأصل: طاهري.

لي عَنْكَ مُنْتَزَحٌ فَكُنْ أَوْلى يَكُنْ مُتَصَرِّفاً بِتَصَرُّفِ الأَحْرَاسِ
وَلَتُوحِشَنْ إيحاشَ غَيْرِ مُوَاصِلٍ فَلِذاكَ عِنْدي أَبْلَغُ الإيناسِ

وَلَهُ في نَازِلَةٍ نَزَلَتْ بِنَفَرٍ مِنْ جيرانِهِ، وأَهْلِ مكانِهِ، يَصِفُها على ألسنتهم:

(الوافر)

[١٩١/و] /أَيا لِلنَّاسِ مِنْ أَمْرٍ عُجَابٍ ولا عَجَبٌ لِشَرٍّ يَسْتَطِيرُ
فَإِنَّ جَمِيعَنا فَوْضَى كَسَرْحٍ بِلا راعٍ، وذُؤْبانٌ[1] تَغِيرُ
حَضَرْنا مَجْلِسَ الوالي أُناساً لِنَشْهَدَ والدَّوائِرُ قَدْ تَدورُ
فَلَمَّا أَنْ قَصَصْنا ما عَلِمْنا طُلِبْنا بِالزِّيادَةِ وَهْيَ زُورُ
فَخَلَّصْنا الشَّهادَةَ فَامْتُحِنَّا أَعاذَ اللَّهُ مِنْ حُكْمٍ يَجُورُ
وَصِرْنا بِالهَوانِ إلى ثِقافٍ ولا وَزَرٌ يُجِيرُ ولا وَزِيرُ
«فَلَيْتَ[2] لَنا، مكانَ المَلْكِ عَمْرٍو، رَغُوثاً، حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُورُ»

ودَخَلَ عَلَيْهِ فَتىً من أَهْلِ الأدب والفقهِ في مَجْلِسٍ، فَجهلَهُ ولَمْ يَلْقَهُ بما يُتَعيَّنُ لَهُ، فلمّا خَرَجَ سَأَلَ عَنْهُ، وعُرِّفَ بِهِ، فكَتَبَ إليه مُعْتَذِراً عَمَّا كانَ مِنْهُ:

(الخفيف)

قُلْ لِطَوْدِ العُلومِ عُذْراً فَإِنَّني لَمْ أَكُنْ جاهِلاً بِهِ في السَّلامِ
غَيْرَ أَنِّي إِذا تَأَمَّلَ عُذْري لاحَ مَرْآهُ مِثْلَ بَدْرِ التَّمامِ
هو رَبُّ العُلومِ والنَّاسُ مُوسى فَصَعِيقٌ لَدَيْهِ كُلُّ الأَنامِ

فَراجَعَهُ الوزيرُ أبو جَعْفَر ارتجالاً:

(الخفيف)

أَمْتَعَ اللَّهُ بِالفَقِيهِ وَلا زالَ مُوَقًّى حَوادِثَ الأَيَّامِ

---

(١) غير معجمة في الأصل.

(٢) البيت لطرفة. الديون: ٩٦، والرغوث: كل مرضعة.

أتتِ القِطْعَةُ الخطيرَةُ كالزُّهـ ـرِ تَبَدَّتْ مِنْ طِرْسِهَا عَنْ كمامِ
وأتتْ نَظْمَهَا الّذي ضُمِّنَ الدُّرْ رَ ولكنَّهُ نَفيسُ الكلامِ
/بَسَطَتْ عُذْرَهُ فَحَقٌّ مِنَ الشُّكْـ ـرِ لَهَا والقَبولُ أوْفَى السِّهامِ [١٩٢/ظ]
ولَديَّ اغْتِباطُ مَنْ أحْرَزَ العِلْـ ـقَ سَنِيّاً بِهِ وَرَيَّ الأوامِ
واعْتِذاري مِثْلُ اعْتِذارِكَ لي فاقْـ ـبَلْهُ إنَّ الانْصافَ خُلْقُ الكرامِ
وَتَمَلَّا عَيْشاً هَنِيّاً يُوالِيـ ـكَ وَنُعْمَى مَأمونَةُ الانْصِرامِ

وكَتَبَ ابْنُ لابرَ الشّاعرُ، إلى أحَدِ قرابته، هذه القطعَةَ، مِن مَجْلِس راحِهِ، وقد حَكَّمَ في عَقْلِهِ راحَه:

(مجزوء الرمل)

يا فَقيهاً وَصَفُوهُ بِوَفاءٍ وارْتِباطِ
وعَفافٍ وَوَقارٍ وانْقِباضٍ وانْبِساطِ
وعُلوٍّ قَرَنوهُ[1] بالثُّرَيّا والْمَناطِ
قَدْ تَفَضَّلْتَ بِدارٍ أنْبَطَتْ[2] غَيْرَ اغْتِباطِ[3]
وأراحَتْ كُلَّ هَمٍّ فَتَفَضَّلْ بِخِلاطِ
دُمْتَ في حالِ اعْتِلاءٍ والأعادي في انْحِطاطِ

فراجَعَهُ الوزيرُ أبو جعفر عنه، بَعْدَ أنْ بَعَثَ إليه ما طَلَبَه منه:

(مجزوء الرمل)

أيُّها الفاضِلُ والشَّيْـ ـخُ المُزَنّى بالـلُّواطِ
ومَنِ الْمِسْكُ لَدَيْهِ واقِعٌ دُونَ الضُّراطِ

---

(١) من غير إعجام في الأصل.
(٢) غير معجمة في الأصل.
(٣) في الأصل: اعتباط.

والّـذي أفـتـح لـلـثـغـ ـر مـنـاهـاً ذا نـعـاطـي
فـهـو يـأتـي مـنـهُ دأبـاً بـخـبـائـط والخـتـلائـط
[١٩٢/و] إن لـثـمـتَ الـشـفـهـةَ الـثـغـ ـرَ عـسـى عـنّـا بـأسـقـاط
فـلـعـمـرِي لـك خـلـطـاً (١) مـنْ لـعـام وسـبـاط
فـتـنـهـنـا أكـلـهـا مـنْ قـذال (٢) وسـبـاط
لا تـخـفْ حـفـظَ فـيـهـا لاسـتـواكِ خـفـظَ خـائـط

ولَهُ إلى أحد قرابته، وقد كُلِّف بغرس حديقة بأرض السُّلطان، في مجرى سَيْل، وذلك فَيْعَلَة أضيع من [حاطب](٣) ليل:

(المتقارب)

ألا قُـلْ لِمَنْ يَـشْـتَـغِـلُ الـرِّيـاحـا ويَـعْـتَـقِـدُ الخُـسْـرَ فـيـه رِبـاحـا
غَـمَـسْـتَ بِـوادي مَـطَـخْـشَـارِشَ (٤) مَـكـانـاً سَـيُـضْـحِـي حِـيـاً مُـسْـتَـبـاحـا
وغـادَرْتَ مَـالَـكَ نَـهْـبـاً لِـكُـلْ فَـيَـاعٍ، فَـهَـلْ كـانَ هَـذا صَـلاحـا؟
أفِـقْ عَـنْ عِـمَـارَةِ ذاكَ الـمَـكـانِ ولا تَـلْـقَ بـالـغَـبْـطَـةِ الانْـتِـعـاشـا
فـإنَّـكَ فـيـهِ، وتَـرْكُ الـثَّـرَاثِ بِـمَـدْرَجَـةِ الـحـادِثـاتِ الـطُّـرَحـا
كَـنَـارِكَـةٍ بَـيْـضَـهـا بـالـعَـرَاءِ وفُـلْـيَـةِ بَـيْـضٍ أُخَـرَى جَـنَـاحـا

ولَهُ في غَرَضٍ من الأغراض غَرَضٌ، وبمضمار قَوْلٍ رَكَضَ فيه ونَهَضَ:

(الطويل)

قَـفَـيْـنَـا لكم بـالْـيَـأْسِ لا عَـنْ وُجُـوبِـهِ عَـلَـيْـنَـا ولكنْ حَـقُّ تَـكْـرِمَـةِ الـضَّـيْـفِ

---

(١) في الأصل: فعزحنا.
(٢) في الأصل: قذال.
(٣) بياض في الأصل.
(٤) مطخشارش: موضع بغرناطة. (النفح: ٢/٥٥٩).

فقد فصل الإشهاد غير حظوظكم ... وبالنقد يمتاز الصحيح من الزيف
فدونكم لا تحملوا بمقابل ... مكشفة حملاً على ظبة السيف

ولما نفذ من أمير المسلمين في جهته ما نفذ، وأخذه من الثقات ما أخذ، [١٩٣ ظ] كتبت إليه من مرسية وإلى رئيسه ذاهباً في طريق تسليته، وتأنيسه، فراجعني:

يا سيدي الأعلى، ومورديَّ الأحلى، وعلق الغبطة بيدي الأعلى، وقى الله من الردى طوادك، وسقى - غير مفسده - أنجادك وأغوارك.

كتبته من مكان اعتقالي ببلنسية - حرسها الله -، وقد وافاني لك خطاب خطير، سفر عن درٍّ هو الكلم، وحكم أفرغها خاطرك على القلم، ألفاظ تبكت الحفاظ، وفقر تحطم فقار البلغاء، وتسفر بين النفس والسراء.

بمعانٍ لو أن ميتاً بها ظلـ ... ـل يناجي لعاد في الأحياء

لا غرو إن تعاطاها سحبان[1] أن يسحب ذيل التقصير، ويخطو في ذلك الميدان بإتباع القصير، فلله أدبك، ما أكمل وأبرع، وحسبك، ما أكرم وأفرع، وجزى الله منك يا سيدي وداً توخى الاهتبال، وساهم في الحال، وأهدى من التذكير غرضاً سرى وسلى، واسترد الأنس وقد كان ولى.

وما ظنك - أعزك الله - بمن أصيب على وجه لا يجب، ورضي فيه بما للمعتجب أن يعتجب، فسيم بلوى العناة، وضم إلى مثوى الدعار والجناة لا لدنيئة بها التبس، ولا لريبة فيها انغمس، وإلى الله أحاكم/ من ركبني بظلمه [١٩٣/و] فهو العدل الذي لا يتعلق الجور بحكمه، لا إله إلا هو.

وليس بنكير أن يحل بي ما أحل، ويستحل مني سناً حرم وما حل، دهر

---

(١) سحبان بن ذفر بن إياس الوائلي من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان، اشتهر بالجاهلية وعاش زمناً في الإسلام.

كُلُّه ذُنُوبٌ، ونوائبُ على الحُرِّ تَنُوبُ، وعَصْرٌ لا يُميِّزُ الصِّحَّةَ من المَرَضِ، ولا يُفَرِّقُ بين الجَوْهر والعَرَض؛ الرَّفيعُ فيه غُفْلٌ وَمَخْطوطٌ، مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، يَتَجرَّعُ رَنَقًا، وتَرْكضُ رَزَاياهُ إليه خَبَبًا وَعَنَقًا[1]، والدَّنيءُ يَجْني المعيشَةَ غَضَّةً ناضِرَةً، ويَرْتَقي مَنْزِلَةً إلى السِّماكِ ناظرة؛ لكن عندي تَسْليمٌ إلى القَدَر وتَفْويضٌ، وشُكْرٌ لِلَّه بما قَضَاهُ طويلٌ عَريضٌ، وَجَلَدٌ صُلْبُ المَعْجَمِ لم يُوهَنْ مِنْهُ ذلك الحارِبُ، وبصيرَةٌ شَدَّ قِوَاها الْعِلْمُ اليقين، بأَنَّ الشَّرَّ لَيْسَ ضَرْبَةَ لازِبٍ، وسيؤول إلى كانَ ما يَكُونُ، ومَرْجِعُ كُلِّ عاصِفَةٍ إلى سُكونٍ، واللَّهُ يُحْسِنُ المآل، ويُمَكِّنُ مِنْ تَواصي الآمال، وَهُوَ المَدْعُوُّ أَنْ يُوزِعَ شُكْرَ اهْتِبَالِكَ ويَحْفيكَ[2]، ويَحْرُسُ الْحَظَّ الْجَليلَ المقادَ فيك؛ وأَنْ يُبْقِي رَبْعَ الأَدَبِ بكَ آهلاً، ويُصْفي لَكَ شِرْبَ الحياةِ عالاً وناهلاً؛ بعزَّتِهِ، والسَّلامُ عَلَيْكَ مِنِّي ورَحْمَةُ اللَّه وبركاته.

[١٩٤/ظ] وكَتَبَ إلى صديقٍ لَهُ، مَعْنِيًّا بإنسانٍ من جيرانِهِ، اشْتَكَى إليهِ صَرْفَ زمانِهِ: /

يا سَيِّدي الأَعْلى، وعتادي الأَسْرى، وظهيري الأَعَزَّ الأَوْفى، أَطَالَ اللَّهُ بَقاءَكَ، ومَجْدُكَ مُشْرِقُ الأنوار، وزَنْدُكَ في المكارمِ وارٍ.

الحَسَنَةُ كاسْمِهَا حَسَنَةٌ، ولا كَوَضْعِهَا في مُقِلٍّ غَيْرِ مُحِلٍّ، صَانَ عَنْ المَسْأَلَةِ وَجْهَهُ، فَلَمْ يُخْلِقْهُ، واحْتَبَسَ ماءَهُ فَلَمْ يَهْرِقْهُ. «وفلانٌ» ـ سَلَّمَهُ اللَّهُ ـ الَّذي إليه أُشيرُ، وعليه هذه المُقدِّمَةَ أُديرُ، وفي عِلْمِكَ ما يَتَذَمَّمُ به، وَيَلْزَمُ صِلَةَ سَبَبِهِ، وقَدْ أَمْلَقَ وأَضاقَ، وجُرِّعَ صَابَ المَتْرَبَةِ وَذَاقَ، وهو بسبيلِهِ مِنَ الصَّبْرِ على

---

(١) في الأصل: غنقا، بعين معجمة، والصواب حذفها. والعَنَقُ: ضَرْبٌ من سَيْر الدابة والإبل.

(٢) من غير إعجام في الأصل.

الضُّرِّ، والتَّبْلُغِ بمثل بُلْغَةِ الذرِّ؛ وأَنبْتُ الآنَ مِنْ فَرْطِ عَيْلَتِهِ، وجَمْعِهِ في الصَّوْمِ بَيْنَ يَوْمِهِ ولَيْلَتِهِ، بما أَهْدَى إلى الفؤاد سَنَانا، وأَوْسَعَهُ اشْفاقاً عَلَيْهِ وحَنَانا.

وَحَقَّ عَلَيْنا أن نَفْرضَ لَهُ مَعْروفاً يُزيحُ فاقَتَهُ، وَيُتيحُ من عِلَّة العَدَم إفاقَتَهُ؛ وأَنْتَ بكريم خليقَتِكَ تَضْرِبُ في مَعونَتِهِ بسَهْمٍ، وتَتَلَقَّى مَقْصَدَهُ بِوَجْهٍ مِنَ المَبَرَّةِ طَلْقٍ غَيْرِ جَهْمٍ، مُسْتَجْزِلاً حَظَّ الثَّوابِ والأَجْر، ومُسْتَجدّاً لَبُوسَ الثَّناءِ والشُّكْر، إنْ شَاءَ اللَّهُ؛ والرَبُّ لا يُخْليك من عَملٍ مَبْرورٍ، وقِسْمٍ من النِّعْمَةِ مَوْفورٍ، بعزَّتِهِ، والسَّلامُ الكريمُ الْعَميمُ عليك يا سيِّدي الأَعْلَى، ورَحْمَةُ اللَّهُ تَعالى.

وكتَبَ إلى أَحَدِ الفقهاء المُشَاوَرين، في الْمَعْنى الَّذي تَضَمَّنَتْهُ الرِّسالةُ؛

يا سيِّدي الأَعْظَم، وعمادي الأكرم، / ومُنْصَلي الأكْدم، أطالَ اللَّهُ بَقاءكَ [١٩٤/و] مُنْبَجِسَ النِّعْمَة، مُنَفِّسَ الغُمَّةِ عَنْ ذي الغُمَّة.

لِلْقَدَرِ أَسْبَابٌ تُخْرِجُ الحُرَّ عن سَجِيَّتِهِ، وتُنْطِقُ لسانَهُ بِغَيْرِ نِيَّتِهِ؛ ومُؤَدّي الرُّقْعةِ «أبو فلانٍ» ـ سَيِّدي وأَعْلى عُدَدي، أَبْقاهُ اللَّهُ وأَذْهَبَ جَوَاهُ ـ هُوَ مِنْ ذوي الهَيْئات، وَحَامِلي المروءات، ويَجْمَعُني وإيَّاهُ ذِمَامٌ لا أَحْقِرُهُ، وعَهْدُ طَلَبٍ، كالصُّبْحِ لاَحَ مَسْفَرُهُ، وَقَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَ زَوْجِهِ طَلاقٌ، سَبَبُهُ ضَجَرٌ وإغلاقٌ، وإنَّما انْصَرَمَ الأَجَلُ، وخُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ؛ حَصَلَ في قصَّة الفرزدق[1] مَعَ نُوَّارَه، واسْتَشْعَرَ النَّدَمَ، وَصَلِيَ بِنَارِهِ، ولَهُ بها عَلاقَةٌ مَزَّقَتْ سبائبَ جَلَدِهِ، وخَلَّدَت وساوسَ الغَرَام في جِلْدِهِ، ويَبْعَثُ عليه شَديدَ الاشفاقِ، ما سَلَفَ بينهما مِنْ حُسْنِ العِشْرَةِ والاتِّفاق، ما فَرَكَهَا ولا فَرَكَتْهُ؛ وقَدْ شَركها في الولد وشَرَكَتْهُ، وتَشَفَّعَ بي منك إلى الفَضْلِ الباهرِ، والمذهب الطَّاهر، في أن تَلْتَمِسَ لَهُ وَجْهاً يَرُدُّ عِصْمَتَها إليه، ويُبْقي طائشَ لُبِّهِ عَلَيْهِ، وتَأْخُذَ بوصيَّةِ صاحبِ الشَّرْع ـ عَلَيْهِ

---

(١) ذلك أنَّه طلّق زوجه، وكان النّدم عاقبته.

السّلامُ - في إقالَةِ عَثْرَتِهِ، ورعايَةِ نَباهَتِهِ، في النّاس وأثرَتِهِ؛ وفي اختلافِ العُلماءِ انْكِشافُ الغَمّاءِ، فإن انْتَجَهُ ذلك، اسْتَبْقَيْتَ رَمَقَهُ، وأنْمَتَ أرَقَهُ، وادّخَرْتَ عَنْهُ جزيلَ الثّواب.

والرَّجُلُ مِنْ مُواقَعَةِ مِثْلِها تَوّابٌ، لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ ثانيةً، ولا يَبْلُغُ بنفسِهِ [١٩٥/ظ] مَبْلَغاً يَضَعُهَا في يَدِ الكَرْبِ عانيةً، إنْ شاءَ اللّهُ. / والربُّ يجزيك بالْحُسْنَى، ولا يُخْليكَ مِنَ الحظِّ الأسْنَى، بقدرته، والسّلام المُجرّدُ المردودُ عليك، يا سيّدي الأعظم، ورَحْمَةُ اللّهِ وبركاتُهُ.

وانْتَقَدَ على بَعْضِ أخوانه كلماتٍ في محاضَرَةٍ[1] شَهِدَها أقْوامٌ لَدَيْهِ، فستَرَها عَلَيْهِ، ثم كَتَبَ إليه يُجفيها، ويُلْغِزُ لَهُ فيها؛

وَصَلَ اللّهُ ياخي - الاودّ، وحُسامي الأحَدُّ - جَدَلَك وإقْبالَكَ، وأنْعَمَ عَيْشَكَ وبالَكَ، العادَةُ أحبُّ الطبيعة، فالنّفْسُ للنّزاع إلَيْها جميعه؛ وكُنْتُ أخا سَفَرٍ، وخَليفَ رَوْحاتٍ عَلَيْهِ وبُكَر، أسْري لَيْلاً وَقَدْ غَوّرَتِ النُّجوم، كأنّي السِّرّ المكتومُ، وأسيرُ تأْويباً إذا أصْبَحَ، والْحافِرُ والْخُفُّ يَلْطمان حَدَّ الأبْطح، فأنا بِهِ جَمُّ الوُلُوعِ، وعلى مَحبّتِهِ مَخْنِيُّ الضُّلوعِ؛ ولمّا رَأيْتُ هذا الهواءَ الدَّفِيءَ، والجَوَّ الطَّلْقَ المضيءَ، ووَجْهَ الشُّتْوَةِ بانْصرامها وانهزامِهَا قد سِيءَ، ثَارَ بِنَفْسي للحركة لاعجٌ، وهَاجَ عَزْمي مِنْهُ هائجٌ، كما شَاقَ الْصَبُّ استقلالُ الظَّعْن، وَقَدْ أبْصَرَ بحلاّتهم فُتّاتَ[2] العِهْن؛ وَهَأنا - بحَوْل الله - أقْرَعُ الظُّنْبُوبَ[3] - وأوضِعُ اليَعْبُوبَ[4]، لأتَجدَّدُ مِنَ الأخلاق، وأتَرَدَّدُ بين الشّام والعراق.

---

(١) في الأصل: محاصرة.

(٢) من غير إعجام في الأصل.

(٣) دون إعجام في الأصل، ولعلّها على ما اثبتناه، والظُّنبوب: حرف السّاق اليابس من قُدُم.

(٤) اليعبوب: فرس الربيع بن زياد، صفة غالبة.

وَمَنْ[1] كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطاً مَشَاهَا.

وَحَقُّ إعْلامِكَ ـ بما تَحرَّكْتُ إليه، وعَقَدتُ النِّيَّةَ عَلَيْهِ، وفي الرُّقْعَةِ مِمَّا أَحْصَاهُ عَلَيْكَ الكاتِبُ الْحفيظُ ـ ما نَفْسُ الصَّديقِ للوُقُوع/ عَلَيْهِ تَفيظُ[2]، فإيَّاهُ [١٩٥/و] تَأَمَّلْ، ولَهُ فافْطَنْ، وفيه النَّظَرَ فَأَمْعِنْ، وتَحفَّظْ بَعْدَ ما تَبْغي النَّصيحةَ، إصاخَةً وسَمْعا، إنْ شاءَ اللَّهُ، والسَّلامُ الكثيرُ الموفورُ عَلَيْك مِنِّي، ورحمةُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ.

وكَتَبَ مُراجعاً على اسْتِفْتاحِ مخاطَبَةٍ؛

فَسَحَ اللَّهُ لسَيِّدي الأَسْنى، وقائدِ رضى الحُسْنَى، وعلْقِ المضنَّةِ بيدي المقتنى، مُدَّةَ المَهَل، وسوَّغَهُ في مَشارعِ النَّباهَةِ العَلَلَ والنَّهلَ، وأَبْقَى رَبْعَ الْمَعارِفِ بِهِ وادِعَ الأَهْل، ولا زَالَت الأَلْسُنُ تَتَهادى ثَنَاءَهُ، وغَوارِفُ الصُّنْعِ الأَحْسنِ تتحدَّى فِنَاءَه.

للَّهِ نُبْلٌ اقْتَعَدْتَ صَهْوَتَهُ، وأَدَبٌ وَرَدْتَ صَفْوَتَهُ، وهِمَّةٌ بَعُدَ مَرْمَاهَا، وذاتُ شَرَفٍ مُنْتَمَاها، يُهْدِي الوُدَّ وإنْ لم يَشْهَدْ، ويَهدي في اقتناءِ أَعْلاقِ السَّناءِ القَصْدَ مَنْ لَمْ يُهْدَ، ويُوجبُ عَلَيْكَ حَقّاً، فَيَسْتَوْجِبُ أَكْبَرَ مِنْهُ؛ لأحرزتَ مع الشَّباب حُنْكَةَ الشَّيْب، وبَرَزْتَ مِنْ مَلابسِ الْحَمْد في قشيب، وأَكْرِمْ بخطابٍ خطيرٍ لك وافاني، أَراني الدُّرَّ كلاَمَاً، وأَبْدَى لي السِّحْرَ حلالاً لا حَرَامَاً:

وَضُمِّنَ صَدْرُهُ ما لم يُضَمَّنْ صُدورَ الغانياتِ مِنَ الحُلِيِّ

خَطٌّ كما اشْتَهى خُلِقَ، ولَفْظٌ صُبِّحَ بماءِ البلاغَةِ وعُبِق، ومَعْنىً في الإبْداع أَمْعَنَ، وثَغْرَةَ البنان طَعَنَ.

فَأَقْسِمُ بمنىً وَمُشْعَرِها/، ومُشْعِرِ البُدْنِ ومُعَقِّرِها، لا بَلْ بِهَزْمَةِ المَلِكِ، [١٩٦/ظ]

---

(١) البيت؛ وصدره: مَشَيْنَاهَا خُطاً كُتِبت علينا.

(٢) اللفظة من غير إعجام في الأصل، وفاظت نفسه تفيظ أي خرجت روحه.

ومُديرِ الفَلَكِ، لَوْ أنّها تَشَخُّصَتْ بَشَراً، لكان الْفَتَى البَسّام، أَوْ لو طُبِعَتْ سَيْفاً، لكانَ الجُرازَ الحُسامَ؛ لا جَرَمَ أنّهُ طَلَعَ عليَّ طُلوعَ الغائب رَجَعَ؛ ووَقَع مِنّي وقُوعَ الّذي يَقَع، وغَيَّرَ قِبَلي بما أَجْنانيهِ[1] مِنْ ثَمَرِ البِرِّ، والتَّقْريظِ، الْمُبِرِّ، تَبَعَ حَقّاً لا أُضَيِّعُهُ، واقتضاني شُكْراً أُوفّيهِ، وحَمْداً أُذيعُهُ، وعِنْدي لَكَ وُدٌّ مَعينٌ، لا يَكْدُرُ مَوْرِدُهُ، وبِكَ اغتباطُ مَنْ حَوَتِ الْعِلْقَ السَّريَّ يَدُهُ؛ وَهْيَ النُّفُوسُ ـ أعزَّكَ اللّهُ ـ أَجْناداً[2]، تُشاهَدُ أَرْوَاحاً وإنْ نَأَت أَجْساداً، فما تَعارَفَ مِنْها تَأَلَّفَ، وما تَناكَرَ فيها تَنافَرَ؛ ولَشِدَّ ما اسْتَشْعَرْتُ إليك نزاعاً، وعليك حِرْصاً، بحسب ما كانَ «فُلانٌ» ـ أَبْقاهُ اللّهُ ـ يُورِدُ على سَمْعي مِنْ غُرَرِ خِلالِكَ، وزاكي أحوالك، تلاوةً ونَصّاً، فَآخُذُ لَكَ بتلك، بالصَّفْقَةِ الرّابِحَةِ في السَّبْق، إلى احْتِيازِ حَقّ المفاتحة، وأنا بكَ جِدُّ جَذْلانُ، ولَكَ المُعْتَدُّ صَدْراً في نُخْبَةِ الخُلّان، وفي مُوالاتكَ المُنافِسُ بالمُعَلّى والنّافِسُ؛ حَرَسَ اللّهُ يا سيّدي منك هِمَّةً تَنْزَعُ بالهمم إليها، وتَجْمَعُ أَوْزاعَ المذاهب عَلَيْهَا، ولا أَخْلى الأدب فيكَ مِنْ مَحَلٍّ في مِضْمارِهِ، ومُخْصِبِ الفَهْمِ في كاذِبٍ بجمارِهِ، وأَوْزَعني شُكْرَ المِنْحَةِ السنيّةِ في حُلَّتِكَ، وحَجَبَ [١٩٦/و] عوارِضَ الغِيَرِ عن إنائِكَ، بجلالهِ وحَوْلِهِ، وأَقْرِأْ/ عَلَيْكَ سلاماً يَعْبَقُ شَميماً، ويَتَّسِقُ بلبَّةِ سَرْوِكَ دُرّاً نَظيماً، والسَّلام الأَحْفَى الأَذْكى، عَلَيْكَ ورحمةُ اللّهِ وبركاتُهُ.

وكَتَبَ عن الأمير عَبْدِ الله بنِ مَزْدلي، إلى أَهْل بَلَنْسِيَةَ في مَنْهَدِهِ نحو الثَّغْرِ لتلافيه، وغَلْقِ رَهْنِهِ فيهِ؛

كِتابُنا ـ أَمَّنَ اللّهُ نَواحيكُمْ، ويَمَّنَ مَذاهِبَكُمْ وَمَناحيكُم ـ من مَضْرَب

---

(١) في الأصل: احنانيه.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف: «الأرواحُ جنود مُجَنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف».

مَحَلَّتِنَا ـ عَصَمها اللَّهُ ـ بظاهر مُرْسيةَ ـ رَعَاها اللَّهُ ـ، في السَّابع عَشَر، من شَهر ربيع الأوَّل، سنةَ اثْنَتي عَشْرَةَ وخَمْسَ مائةٍ، ونَحْنُ نَجدُّ إلى ما قِبَلَكُم السَّيْرَ، ولَوْ اسْتَطَعْنَا لامْتَطَيْنا أجْنِحَةَ الطَّيْر أضْراحاً لداعي ذَاكَ الثَّغْر، خَفَره اللَّه وَعَصَمَهُ، وَدَرَأ في صَدْر العَدُوِّ الْمُنيخِ بِهِ دَمَّرَهُ اللَّهُ وقَصَمَهُ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أنَّا اسْتَشْعَرْنا للنَّبَإِ الطَّارىءِ مِنْ حَضْرَةِ سَرَقُسْطَةَ ـ ثَبَّتها اللَّهُ ـ تَلَظِّياً وانزعاجاً، واسْتَحَالَ عِنْدَنَا لذلك المَشْرَبِ أُجاجاً، وَرَأَيْنا أنَّها ـ واللَّهُ يُكْفيها ـ نازِلَةٌ تَعُمُّ أطْواقاً وأثْباجاً، والربُّ يُوسِعُ تلك الخُطَّةَ الضَّيِّقَةَ بلُطْفِهِ وقُدْرَتِهِ انْفِرَاجاً، جَلَّت قُدْرَتُهُ.

ولَمْ يَمْنَعْنَا عن إجابة تلك الإهانةِ، إلاَّ مَا كُنَّا بسبيلِهِ من التَّحصينِ على هذا الثَّغْرِ المُصاقِب، مِنْ عادِيَة عَدُوِّهِ المُراقب، الَّذي تَوقَّعْنا أنْ تَظْهَرَ بَعْدنا جَنَادِعُهُ[1]، ويَعْدَم بمغيَّبِنَا قَادِعُهُ/ ورادِعُهُ، فأقَمْنَا على النَّظر في سَدِّه، وإقامَةِ [١٩٧/ظ] أوَدِهِ وشَدِّهِ؛ وإذ أتَيْنا عَلَى ما أوْجَبَ الحَزْمَ مِنْهُ، ولم تَسَعِ الغَفْلةُ عَنْهُ، شَمَّرْنا عَنِ السَّاعِدِ، وثُرْنا نَسْتَقْرِبُ في غَوْثِهِ المَدى المُباعد، وعلى عَقِبنا ـ بحَوْل اللَّه ـ تَلْحَقُ مِنْ أجْنَادِ إشبيلية[2] وقرطبة[3] ـ حماهما اللَّهُ ـ جُموعٌ تَغُصُّ الْمَلأ، وتُلْفَى وَراءَ الحَوْزَةِ بَحْراً وكَلْكَلاً، وتَسومُ عَدُوَّ اللَّه قِرَاعاً يَدُقُّ الصِّعَادَ السُّمْرَ، ويُذيقُ المنايا الحُمْرَ؛ واللَّهُ يُعِزُّ حِزْبَ الإسلام، ويَأْتي على عَبَدَة الأصْنام، بالاسْتِئصالِ والاصْطلامِ، بقُدْرَتِهِ الباهرة، وقُوَّتِهِ القاهِرَةِ، والسَّلامُ عليكُمْ كثيراً عَميماً مَوْفُوراً، ورحمةُ اللَّهُ وَبَرَكاتُهُ.

---

(١) يقال للشرِّير المنتظر هلاكه: ظَهَرَتْ جَنَادِعُهُ واللَّهُ جادعه.

(٢) إشبيلية: بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة ولام وياء خفيفة، مدينة كبيرة بالأندلس، تسمّى حمص أيضاً، وبها كان بنو عبّاد.

(٣) قرطبة: قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، بها الجامع المشهور، تغلّب عليها النصارى سنة ٦٣٣ هـ.

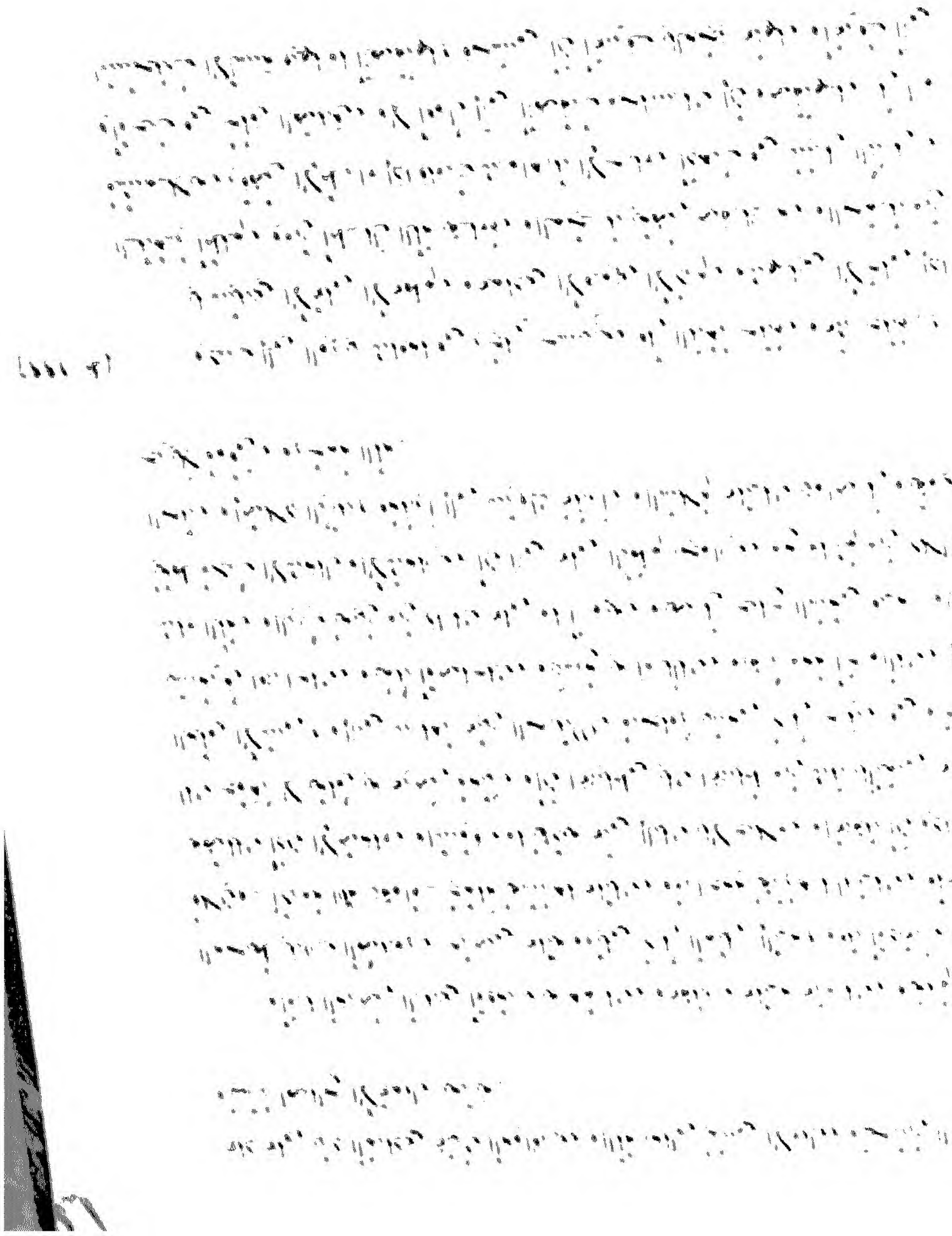

الْمَصير، فالحظُّ ضَئيلٌ، وَشَبَا الذِّهْن فَليلٌ، وَنَاهيكَ بِمَنْ اصْبَحَ جَمْعُ أُنْسِهِ مُنْفَضّاً، ولَزِمَ مِنَ الباديةِ أَرْضاً:

تَصْدَا[1] بها الأَفْهَامُ بَعْدَ صَقَالِهَا وَتَرْتَدُّ ذُكْرانُ الْعُقُولِ إِنَاثَا

وذو الوزارَتَيْن الكاتِبُ الأَجَلُّ يَمْنَحُ التَّجاوزَ جميلاً، ويَضَعُ مِنْ رِضَاهُ على ذَلك إنْ رَآهُ طَرْفاً كَليلا، مُحْتَمِلاً على عَادَةِ إجْمالِهِ أَكْرَمَ احْتِمَالِهِ، واللَّهُ يُديمُ الامْتَاعَ بوُدِّهِ، ويَصِلُ مُحَصِّن/ الدِّفاع عَنْ مَجْده، بقُدْرَتِهِ، والسَّلامُ الجزيلُ الحفيلُ، الْبَرُّ الأَبرُّ عليك يا عِمادي، ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُهُ. [٢٠٠/ظ]

وكَتَبَ إلى وَالي بَلَنْسِيَةَ مُهَنِّئاً، وقَدْ صَدَرَ مِنْ غَزَاةٍ عَظَّمَتْ قَدْرَهُ، وحَطَّمَتْ ظَهْرَ الشِّرْك وصَدْرَهُ.

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ القائدِ الأَعْلى ضافِيَةً ملابسُ العزَّةِ عَلَيْهِ، صافيةً مَواردُ السَّعَادَةِ لَدَيْهِ، عافِيَةً مَنازِلُ الكَفَرَةِ على يَدَيْهِ، ولا زَالَ مَيْمُونَ الطَّائر، مُهْدي المَسارِّ والبَشائرَ.

كَتَبْتُهُ يَوْمَ «كَذا»، وقد اتَّصَلَ بي مَا تَكَنَّفَكَ في وُجْهَتِكَ الحميدةِ الأَثَرِ، السَّعيدةِ الْوِرْدِ والصَّدْر، مِنْ الصُّنْع الجميل، وتَسَنَّى لَكَ مِنَ الْغَزْوِ الْمَعْسُولِ، الَّذي أَقْحَمَ سُيوفَ الأَوْلياءِ رقابَ الأَعْداءِ، وأَوْطَأَ حِمَاهُمْ إيطاءً شَمَلَهُمْ بالكَرْبَةِ السَّوْداءِ، وأَفَاءَ على المسلمينَ منهم التَّأْثيرَ، والْمَغْنَمَ الكثيرَ؛ وأَصْدَرَهُمْ في ظِلِّ الأَمن، وعزِّ الظُّهور، فَسُرِرْتُ بذلك سُرورَ الْوَليِّ المُصَافي، الآخذ في جَميعِ أَعْمالِك وأحوالك بحظِّ المُساهمة الوافي، وعِنْدَك من الشُّكْرِ لله بهذه النِّعمة المُحَدَّدَةِ ما يَكونُ لحقِّها قَضَاءً، ولشفيعها اسْتِدْعاءً؛ وما زَالَ رَأْيُكَ المُسدَّد، وتدبيرك المؤَيَّدُ، يَجْنيانِكَ الظَّفَرَ حُلْوَ الثَّمَرِ، وَيُفيدانك الحظَّ الأَخْطَر، والثَّناءَ

(١) بتخفيف الهمزة.

الأعْطَر، فَهنيئاً لَـكَ، ولَنَا بـكَ/ هذه الْغَـزْوَةُ التي أَوْسَعَتْ شَـملَ الشِّـرْكِ تَشْتِيتاً، [٢٠٠/و]
وأَوَدَ الثَّغْـرِ شَدّاً وتَثْبيتـاً، ورَفَعَتْ لـك ذِكْـراً وَصيتـاً؛ واللَّهُ يُجْـرِي على يَـدَيْـكَ
الْفُتـوحَ، ولا يُخْليكَ من المتجـر الرَّبيح، والسَّعْي النَّجيـح، بقُـدْرَتِـهِ، وعنـدي
التَّطَلُّعُ الوكيدُ إلى عِلْم أَحْوالك، في اسْتِقْرارك واحْتِلالك؛ فَلكَ أَتَمُّ الفَضْلِ في
المُرَاجَعَةِ عَنْها، لِيَقَعَ الابْتِهـامُ؛ والربُّ يُمـرُّها على السُّمـوُّ، ويُجْريهـا بعزَّتِـهِ،
والسَّلامُ الأَجْزَلُ الأَحْفَلُ على القائد الأَعْلى، وَرَحْمَةُ الله وبركاتُهُ.

كَمُـلَ القِـسْمُ الثَّـاني بـحمـدالله تـعـالى ومنّـه
وحُـسْـن تـوفـيـقـه ويُـمْـنـه، وصـلّى الله
عـلى سيِّـدنـا مـحـمَّـدٍ نـبـيّـه وآلـه وسـلَّم